الاسلام وتحديات العصر

الكتاب الرابع عشر

# المسيح والمسيحية والإسلام

تاليف

دكتور عبد الغني عبود

كلية التربية جامعة عين شمس

الناشر

دار الفكر العربي

الطبعة الأولى

يناير ١٩٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم

— « اذ قالت الملائكة : يا مريم ، ان الله يبشرك بكلمة منه ، اسمه المسيح عيسى بن مريم ، وجيهـا فى الدنيا والآخرة ، ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلا ، ومن الصالحين »

( قرآن كريم : آل عمران — ٣ : ٤٥ ، ٤٦ ) .

* * *

— « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقـه من تراب ، ثم قال له : كن ، فيكون »

( قرآن كريم : آل عمران — ٣ : ٥٩ ) .

* * *

— « واذ قال الله : يا عيسى بن مريم ، أأنت قلت للناس : اتخذونى وأمى الهين من دون الله ؟ قال : سبحانك ، ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ، ولا أعلم ما فى نفسك . انك أنت عـلام الغيوب . ما قلت لهم الا ما أمرتنى به ، أن اعبـدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلمـا توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شىء شـهيد . ان تعذبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم ، فانك أنت العزيز الحكيم »

( قرآن كريم : المـائدة — ٥ : ١١٦ — ١١٨ ) .

## محتويات الكتـــاب

| الموضـــوع | الصفحة |
|---|---|
| الخطيئة الأولى ... ... ... ... ... ... ... ... | ١٥٨ |
| الوهية المسيح ... ... ... ... | ١٦٥ |
| صلب المسيح ، وقيامه من الأموات ... ... ... | ١٧٤ |
| البشـــارة ... ... ... ... ... ... ... | ١٩٣ |
| **وللمسلم أن يفخر بمسيحه ... ... ... ... ... ...** | **(٢٠٠ — ٢٣٧)** |
| **مراجع الكتـــاب : ... ... ... ... ... ... ...** | **(٢٣٩ — ٢٥٤)** |
| أولا : المراجع العربية ... ... ... ... ... ... | ٢٣٩ |
| ثانيا : المراجع الأجنبية ... ... ... ... ... | ٢٥٣ |

بسم الله الرحمن الرحيم

ليست هذه السلسلة سلسلة دينية بالمعنى التقليدى ، كما يبدو للوهلة الأولى من عنوانها ، وان كان الدين الاسلامى يعتبر محورها الأساسى .

ولقد كان الدافع الى اصدار هذه السلسلة ، بعيدا كل البعد عن الدين ، قريبا كل القرب من العلم الخالص ... فى مجال التربية ، الذى تخصصت فيه ، وحوله تدور قراءاتى ودراساتى ، وما أقوم به من أبحاث .

وصحيح أن الدين ليس حكرا على متخصصين فيه ، كما هو الحال فى الكيمياء والطبيعة والصيدلة والهندسة والأدب واللغة والتربية ، ولكن المتخصصين فيه ـ بالضرورة ـ أقدر على العطاء ، وغير المتخصصين فيه لابد أن يكون عطاؤهم أقل ، وبجهد أكبر .

ويعود الدافع الى اصدار هذه السلسلة ، الى سنوات خلت ، حيث كان يضمنا ( سمنار ) الدراسات العليا بكلية التربية جامعة عين شمس ، وأراد أحد الدارسين تسجيل رسالة عن ( التربية الاسلامية ) ، يحصل بها على درجة الماجستير فى التربية ، وهالنى رد أحد الزملاء ـ الأساتذة ـ عليه ـ بأنه لا يوجد ـ للأسف ـ تربية اسلامية (١) .

---

(١) الف الزميل كتابا فى ( التربية الاسلامية ) ، بعد حوالى اربع سنوات من قوله هذا ، وذلك عندما صار ( الحصان الاسلامى ) ، هو ( الحصان الرابح ) ، فى الساحة العالمية .. كما هو واضح اليوم .. والحمد لله .

ولم يكن بين يدى الرد ليلتها على الزميل ، ولا قدرة — بالتالى — على مناصرة الطالب ، ومن ثم أمسكت عن الرد ، حتى يكون بين يدى الدليـل •

ورجعت الى ما كتب عن ( التربية الاسلامية ) ، فى الكتب والمجلات العلمية ، فلم أجـد فيما كتب متصلا بالتربية الاسلامية ، سـوى •• العنوان ، رغم أن بعض ما قرأته كان لمفكرين اسلاميين •• كبار •

وكان على أن أعتمـد على الله وعلى نفسى ، فى التصدى لهـذه المغالطة العلمية ، التى يقول بها بعض رجال التربية عن جهل ، ويسكت عنها البعض الآخر عن قصور •

وجمعت المـادة العلمية فيما يزيد على عام كامل ، وبدأت أنظم هـذه المـادة ، وكتبت — بالفعل — على أساسها — كتابا متكاملا عن ( الأيديولوجيا والتربية ، فى الاسلام ) ، ولم يكن ينقصـه سوى أن يدفع الى المطبعة ، ليرى — بعدها — النور ، ويبث — بعدها — نور الحقيقة ، فى قلوب الجاهلين بها ، والمتغافلين لهـا •

ثم عدت الى نفسى ، وقلت لها : ولكن المسئوليه أمام الله أكبر من هذا الجهد الذى بذلته ، فقد كان لابد — فى نظـرى — من مزيد من البحث •

وقلت لنفسى أيضا : ولكن هـذا الجهد الذى بذل كبير ، وهو جـدير بأن يرى النور •

واستقرت نفسى على أن ألخص هـــذا الذى كتبته ، فى ستين صفحة ، نشرت تحت نفس العنوان ، فى المجـلد الثالث من ( الكتاب السنوى ، فى التربية وعلم النفس ) ، الذى صدر مع مطلع سنة ١٩٧٦ •

ثم استقرت — بعد ذلك — على نشر هـذا المقـال ، مع مقالين آخرين ، ظهرا فى مجلات علمية أخرى ، عن ( التربيـة الاسلامية ) ، فى كتاب يصدر قريبا ، تحت عنوان (مقولات فى التربية الاسلامية) (١) . نظرا لأن كل مقال من المقالات الثلاثة ، قـد صدر — حيثما صدر — مليئا بالأخطاء المطبعية ، التى أفسدت المعنى الذى كنت أريده فى بعض المواقف افســادا .

واستقرت نفسى — قبل ذلك وبعده — على أن أعمق مفهومى عن الاسلام ، وعن ( الشخصية القومية الاسلامية ) ، فهى المنطلق الحقيقى للحديث — الصادق — عن ( التربية الاسلامية ) .

ذلك أننا ندرس نظام التربية فى أى مجتمع ، فى ضوء (الشخصية القومية ) لذلك المجتمع ، وبدون تلك ( الشخصية القومية ) ، يكون نظام التربية — فى نظرنا — نحن رجال التربية — معلقا فى الهواء .

وفى ضوء تلك ( الشخصية القومية ) درست — وتدرس — التربية فى البلاد الرأسمالية عموما ، وفى كل بلد منهـا ، كما تدرس التربيـة فى البلاد الشيوعية عموما ، وفى كل بلد منها .

وفى ضـوئها كذلك ، درست — وتدرس — التربيـة المسيحية ، والتربيـة اليهودية .

---

(١) صدر الكتاب بالفعل ، تحت عنوان ( فى التربية الاسـلامية ) ، ونشرته ( دار الفكر العربى ) سنة ١٩٧٧ ، وضـم الى جانب المقال المذكور فيه ، مجموعة مقالات ، كانت قـد نشرت فى مجـلات علميـة مختلفة ، بمناسبات مختلفة ، تدور كلها حول هـذا ( المحور ) ، الذى اتخذ ( عنوانا ) للكتـاب .

وقـد صدر بعده كتابان على نفس الطـريق ، نشرتهما ( دار الفكر العربى ) أيضا ، فى منتصف سنة ١٩٨٢ ، أحدهما ، هو ( التربية الاسلامية ، والقرن الخامس عشر الهجرى ) ، والثانى هو ( الفكر التربوى عند الغزالى ، كما يبدو من رسالته « أيهـا الولد » ) .

أما التربيـــة الاسلامية •• فلم تجد ــ حتى الآن ــ فى حــدود علمى ــ من درسها هــذه الدراسة العلمية المنهجية •

ومن ثم كان هناك من يقول ، بأنه لا توجد تربية اسلامية ، لأن الشخصية الاسلامية اليوم ، شخصية ، لا هى الى الاسلام تنتمى ، ولا هى عن الاسلام تعرف الكثير ، ومن ثم صارت تلك الشخصية شرا على الاســلام ، وخطرا عليه ، أكبر من الشر والخطر الذى يستطيعه أعداء الاسلام أنفسهم •

ومن ثم فالشخصية القومية الاسلامية المعاصرة ، لا يمكن أن تكون هى المدخل الصحيح لفهم التربية الاسلامية ، وانما المدخل الصحيح لها ، هو تلك الشخصية القومية الاسلامية ، فى عصور الاسلام الأولى •

ولو عاد المسلمون الى فهم الاســلام من جــديد ، كما يجب أن يفهم ، لعــادوا الى أنفســهم ، ولعـــادت اليهم قوتهم وعزتهم •• وحضارتهم ، خاصة وأن الدراسة التى قمت بها ، أكدت لى أن الاسلام قادر على مواجهة ( تحديات العصر ) ، وأن المسلمين ــ بالاســلام ــ قادرون على مواجهة تلك التحديات ، وأنهم ــ بدونه ــ عاجزون •

ومن ثم يكون الهدف من السلسلة •• تربويا خالصا •

ولكنه هدف •• دينى أيضا •

فالمسلمون اليوم ، بفعل عوامل متعددة ، لا يعرف الكثيرون منهم عن الاسلام الكثير ، وهم يعرفون عنه ما يعرفه غيرهم لهم ، لا ما يجب أن يعرفوه بأنفسهم ، من مصادره الصحيحة : الكتاب والسنة •

بينما هم يعرفون عن النظم والفلسفات المعاصرة •• ذات البريق ــ الأخاذ ــ الكثير والكثير •• لأن غيرهم أراد ذلك لهم •• بفعل عوامل متعددة كذلك •

والوظيفة الرئيسية لهذه السلسلة هى : أن تضع الاسلام — بجوانبه المتعددة — وجها لوجه — أمام النظم والفلسفات المعاصرة .. لنرى : أيها أقدر على مواجهة تحديات العصر .

وعندما يكتشف المسلم ، أن اسلامه هو القادر على مواجهة تحديات العصر ، وأن الفلسفات والنظم المعاصرة ، ان هى لا ألوان من العلاج مؤقتة .. مفلسة ، فانه — لابد — سيعود الى نفسه ، ويصالح دينه ، ويقرأ عنه ، ويقف على ما فيه .. وقوفه على ما فى الفلسفات المستوردة ، ذات البريق الأخاذ ... الخادع .

وعند هذا الحد ، تقف رسالة السلسلة .

ومن هنا قلت وأصررت ، على أنها ليست سلسلة دينية بالمعنى التقليدى .

ومن أراد الدين بالمعنى التقليدى ، فكتبه معروفة ، وكتابه معروفون .

ولكن المسلمين الذين أكتب هذه السلسلة لهم ، ليسوا مستعدين — منذ البداية — لأن يضيعوا وقتا فى قراءة تلك الكتب الدينية ، وفى القراءة لهؤلاء الكتاب المعروفين ، لأن الاسلام — كما فهموه — لا يصح أن يضيعوا فيه وقتا ، يضيعون أكثر منه فى المذاهب ذات البريق .. الخداع .

وبعد اتضاح معالم ( الشخصية القومية ) الاسلامية ، مقارنة بمعالم ( الشخصيات القومية ) الأخرى ، التى نراها فى ظل الأيديولوجيات المعاصرة ، من زوايا عديدة .. وذلك خلال هذه السلسلة ، سوف أعود من حيث بدأت ، فألخص ما وصلت اليه ، وأتخذ منه منطلقا للحديث عن ( التربية الاسلامية ) .

والجهد الذى يجب أن يبذل فى اعداد هـــذه السلسلة كبير ،والجهد الذى يجب أن يبذل ــ بعدها ــ فى الحديث عن ( التربية الاسلامية ) كبير •• ولكن الهدف الذى تحققه السلسلة ، والدراسة الخاصة بالتربية الاســلامية ــ بعدها ــ فى نظرى ــ أكبر وأعظم • وفى سبيله تهون الصعاب ــ وعلى الله قصــد السبيل •

**دكتور عبد الغنى عبود**

القــاهرة فى : ــ جمادى الأولى ١٣٩٦ هـ •
ــ مايـــــو ١٩٧٦ م •

## وهـذا الكتاب .. الرابع عشر

بعد أكثر من عام من ظهور الكتاب الثالث عشر ، من كتب هـذه السلسلة ، عن ( اليهود ، واليهودية ، والاسلام ) ، يصدر هذا الكتاب الرابع عشر ، عن ( المسيح ، والمسيحية ، والاسـلام ) ــ على غير ما تعودنا فى كتب السلسلة السابقة ، حيث كانت الفترة الزمنية التى تفصل بين الكتاب والكتاب الذى يليه ، هى ستة أشهر فقط .

ورغم ذلك ، فان هـذا الكتاب ، يصدر فى ( مكانه ) الطبيعى من السلسلة ، بعد كتاب ( اليهود ، واليهودية ، والاسلام ) ، وقبل الكتاب الأخـير من كتب السلسلة ، وهو ( المسلمون ، وتحـديات العصر ) ــ كتابهـا الخامس عشر .

ومثلما يصدر هـذا الكتاب الرابع عشر من السلسلة ، فى (مكانه) الطبيعى منها ، فانه يصدر ــ شاء الله له ــ فى ( زمانه ) الطبيعى أيضا ، وسط أحداث لبنان الدامية ، التى بدأت مع الكتاب الثالث عشر ، عن ( اليهود واليهودية والاسلام ) ، وحولها دار تقديمه .

* * *

يرد اسم المسيح فى القرآن الكريم ٢٥ مرة باسم عيسى ، و١١ مرة باسم المسيح ، ويرد اسم أمه مريم ٣٤ مرة ، ويرد اسم عمران ، الذى تنتسب اليه العذراء البتول ، ثلاث مرات ، ويرد اسم زكريا ، الذى كفل العذراء ٧ مرات ، ويرد اسم ابنه يحيى ٥ مرات .

أى أن عيسى بن مريم ، يتكرر ــ والمتصلين به ــ فى القـرآن الكريم ، ٨٥ مرة ــ وهو رقم كبير ، اذا قورن باهتمام القرآن الكريم ، بالأنبياء الآخرين ، عليهم أفضل الصلاة والسلام ، فقـد تكرر اسم نوح مثلا ٤٣ مرة ، وتكرر اسم داود ١٦ مرة ، وتكرر اسـم سليمان ١٧ مرة ، وتكرر اسم لوط ١٧ مرة .

على أن أمر السيد المسيح ، عليه السلام ، لا يقف عند حد تكرار اسمه مرات معينة ، تزيد عما تكرر به اسم غيره من الأنبياء ، بل يتعدى ذلك الى ( الطريقة ) ، التى تكرر بها هـذا الاسم •

لقد تكرر اسم داود عليه السلام على سبيل المثال ١٦ مرة كما سبق • بطريقتين :

ـ الطريقة الأولى ، هى تلك التى يأتى فيها ذكر النبى ( داود ) عرضا ، وبسرعة ، فى مثل قوله سبحانه : « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ، ان ربك حكيم عليم • ووهبنا له اسحق ويعقوب ، كلا هدينا ، ونوحا هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون ، وكذلك نجزى المحسنين • وزكريا ويحيى وعيسى والياس ، كل من الصالحين • واسماعيل واليسع ويونس ولوطا ، وكلا فضلنا على العالمين » ( الأنعام ـ ٦ : ٨٣ـ٨٦ ) •

ـ والطريقة الثانية ، هى تلك التى يأتى فيها ذكر النبى ( داود ) ، مشيرا الى ( شىء من ) حيـاته وأعماله ، وسر تفضيله على غيره من الناس ، فى مثل قوله سبحانه : « اصبر على ما يقولون ، واذكر عبدنا داود ذا الأيد ، انه أواب • انا سـخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق • والطير محشورة كل له أواب • وشددنا ملكه ، وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب • وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب ؟ اذ دخلوا على داود ففزع منهم ••• » ، الى آخر الآيات ، التى تحتل الأرقام من ١٧ ـ ٢٦ من نفس السورة ـ سورة الأنعام •

ويكاد الحديث عن عيسى بن مريم ، ألا يرد فى القرآن الكريم ، حين يرد ، الا بهذه •• الطريقة الثانية ، وكذا الحديث عمن لهم به صلة ، سواء أمه مريم ، وكفيلها زكريا ، وابنه يحيى •

بل ان القرآن الكريم يخصص لاثنين من الشخصيات المتصلة به ، سورتين كاملتين من سور القرآن الـ ١١٤ ، هما سورة آل عمران ( رقم ٣ من المصحف ، وأطول سور القرآن الكريم ، بعد سورة البقرة ) ، وسورة مريم ( رقم ١٩ من المصحف ، وعدتها ٩٨ آية ) .

بل ان سورة المائدة ( رقم ٥ من المصحف ) . تتخذ اسمها من المائدة التى طلبها المسيح عليه السلام ، من ربه سبحانه ، بناء على طلب الحواريين :

— « اذ قال الحواريون : يا عيسى بن مريم ، هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال : اتقوا الله ان كنتم مؤمنين . قالوا : نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ، ونعلم أن قد صدقتنا ، ونكون عليها من الشاهدين ... » ( آيات ١١٢ ، ١١٣ ) .

ولا يقف الأمر — فى الاسلام — عند اهتمام القرآن الكريم بالمسيح ومن لهم به صلة ، بل ان الأمر يتعدى ذلك الى اهتمام النبى صلى الله عليه وسلم به وبهم ، على نحو ما تسجله لنا كتب الحديث الصحاح .

ومن هذا الاهتمام الاسلامى بالمسيح ، كان اهتمام المسلمين به ، وبكل من اتصل به ، وحبهم له ولهم .

ولكن الاسلام حينما كرم المسيح على هذا النحو ، كرمه بوصفه عبدا لله ورسولا .. لا ينقص ولا يزيد — وعلى هذا الأساس ، أحبه المسلمون — عبدا لله ورسولا .. لا ينقص ولا يزيد أيضا .

فاذا زاد الأمر عن ذلك ، كان القرآن الواضح فى حبه للمسيح والمتصلين به .. واضحا أيضا فى عداوته لهم جميعا :

ـ « لقد كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح بن مريم ، قل : فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا ؟ » ( المائدة ـ ٥ : ١٧ ) .

واذا زاد الأمر عن ذلك أكثر ، فكان ( اعلان الحرب ) على المنكرين ألوهية المسيح ، كان الأمر أكثر اختلافا .. اكراما للمسيح ذاته .

ومن ثم فالكتاب ، ليس موضوعا واحدا . انه موضوعات متعددة ، لأن المسيح لايمكن أن يفهم ،الا كعبد لله ورسول ، كما هو فعلا ، وكانه معبود ، كما أراد له البعض ذلك وفرضوه .

ومن أجل ذلك ، كان حجم الكتاب الكبير : ٢٥٨ صفحة ، مقتربا من حجم كتابين اثنين من كتب السلسلة قبل هذا الكتاب .. وكان عدد المراجع الضخم : ١٥٢ مرجعا عربيا ، مضافا اليها ٢٠ مرجعا أجنبيا .. وكان الجهد فى التأليف ، الذى استغرق ما يزيد على عام كامل ، على عكس ما حدث فى أى كتاب آخر من كتب السلسلة ، لم يتعد تأليفه نصف العام .

ولكنه جهد واجب ، اذا نحن أردنا أن نفهم ( الاسلام وتحديات العصر ) ، محور هذه السلسلة ، فقد صارت المسيحية الصليبية .. أو المسيحية المشركة بالله ، السائدة فى عالم اليوم ، هى التحدى الأكبر ، للاسلام وللمسلمين ، فى هذا العصر ـ كما سنرى فى الكتاب القادم ـ الخامس عشر ـ والأخير ـ من كتب السلسلة ، ان شاء الله .

جعل الله الجهد المبذول فيه خالصا له ، وعلى الله قصد السبيل .

**دكتور عبد الغنى عبود**

القاهرة فى :
ـ ربيع الثانى ١٤٠٤ هـ .
ـ يناير ١٩٨٤ م .

# الفصل الأول

## عصــــره

**تقـــديم :**

فى الكتاب السادس من كتب السلسلة ، عن ( أنبياء الله ، والحياة المعاصرة ) ، رأينا أن أنبياء الله ، عليهم أفضل الصلاة والسلام ، بشر ، وان ميزهم الله على غيرهم من البشر بتلك ( الموهبة الروحيــة ) ، التى يستطيعون ــ بها ــ الاتصال بالملأ الأعلى ، ليتمكنوا ــ بهذا الاتصال ــ « من وضع الأقدام من جديد .. على طريق الله » (١) ، بعد أن تكون هذه الأقدام ، قد انزلقت بأصحابها ، من فوق هذا الطريق .

وفى هذا الكتاب السادس عن ( أنبياء الله ) ، رأينا أن هؤلاء الأنبياء، لم يكن ممكنا لهم أن يقوموا ( برسالتهم ) تلك فى حياة الناس ، ما لم يكونوا بشرا ، « فبشرية الرسول ، هى الأمر المنطقى ، فى حياة الأنبياء والرسل ، وغير هذه البشرية ، هو الأمر غير المنطقى » ، « وبشرية الرسول مطلوبة ، لأنه يرسل الى بشر ، فلابد أن يكون من هؤلاء البشر،حتى يترجم تعاليمه ، الى سلوك حى ، بارز فى تصرفاته ، قبل أن يبرز من خــلال الألفاظ ، التى يدعو بها الناس الى طريق الله » (٢) .

ومن ثم كان منطقيا ، أن يكون كل رســول من هؤلاء الرســل والأنبياء فيما يدعو اليه ــ على نحو ما رأينــا فى الكتاب ــ متأثرا « بظروف الزمان والمكان » (٣) ، وألا تكون رسالته ، بمعزل عن هذه

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : انبياء الله ، والحياة المعاصرة ــ الكتاب السادس من سلسلة ( الاسلام وتحــديات العصر ) ــ الطبعــة الأولى ــ دار الفكر العربى ــ سبتمبر ١٩٧٨ ، ص ٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٨ .

الظروف ، التى جاءت ــ أساسا ــ لاصلاحها ، « ومن ثم يتفق الرسل جميعا فى هذا الجوهر » ، وهو « تصحيح العقيدة » ، « ثم يختلفون بعد ذلك اختلافات ( نوعية ) ، حسب المرض الاجتماعى ، الذى استشرى بسبب فساد العقيدة ، وقد اختلف هذا المرض ، من مجتمع الى آخر »(١)ــ على نحو ما رأينا فى كتابنا الأول من كتب السلسلة .

ومن ثم كان منطقيا ، أن نبدأ الحديث عن السيد المسيح ، بالحديث عن عصره ، وأوضح ما ميز هذا العصر ، لأنه بدون فهم ( ظروف ) عصر المسيح ــ لا يكون ممكنا فهم ( رسالته ) ، ( والملامح الأساسية ) لهذه الرسالة .

ولا يمكن الحديث عن عصر المسيح ، دون التنقيب عن ( الضمير )، الذى جاء المسيح يخاطبه ، وقد كان هذا الضمير ، تتنازعه عوامل ثلاثة ، هى ( الحضـــارة الاغريقية ) ، التى شكلت عقل الانسان ، و ( الدولة الرومانية ) ، التى حددت له ( مؤسساته ) ، التى يعيش بينها ، وأطر الحياة فى هذه المؤسسات .. ثم ( الدين اليهودى ) ، الذى جاءت المسيحية أساسا لاصلاحه ، بعد أن صار عامل ( تخريب ) فى العقل وفى أطر الحياة معـا ...

**الحضـــارة الاغريقية :**

وهى واحدة من حضارات حوض البحر الأبيض المتوسط ، فى تقسيم ألدوميبلى الشهير ، مكونة ــ بذلك ــ مع مصر وما بين النهرين وبلاد الروم ، مجموعة حضارية واحدة (٢) .

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : العقيـــدة الاسلامية والأيديولوجيات المعاصرة ــ الكتاب الأول من سلسلة ( الاسلام وتحديات العصر ) ــ الطبعة الثانية ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٨٠ ، ص ٥٤ .

(٢) الدوميبلى : العلم عند العرب ، وأثره فى تطـــور العلم العالمى ــ نقله الى العربيـــة : الدكتور عبد الحليم النجـــار ، والدكتور محمد يوسف موسى ــ قام بمراجعته على الأصـــل الفرنسى : الدكتـــور حسين فوزى النجار ــ جامعة الدول العربية ــ الادارة الثقافية ــ الطبعـــة الأولى ــ دار القلم ــ ١٩٦٢ ، ص ٢٤ .

وبالرغم من أن بلاد الاغريق — أو اليـونان — لم تدخل التاريخ المدون « الا سنة ٣٠٠٠ ق٠م ، فيما يسميه المؤرخون بعصر الحضـارة الايجية والهومرية ، الذى امتد من سـنة ٣٠٠٠ ق٠م الى سـنة ٧٠٠ ق٠م » (١) ، بينمـا « بدأت مصر تدخل تاريخهـا المدون سنة ٤٢٤١ ق٠م » (٢) — أى قبل بلاد الاغريق بأكثر من اثنى عشر قرنا من الزمان — الا أن الحضارة الاغريقية كان لها تأثيرها الواضح ، فى الشرق عموما ، وفى المسيحية على وجه الخصوص •

ومعروف أن الحضارة الاغريقية قد بدأت متأخرة عن حضـارات حوض البحر الأبيض المتوسط الأخرى ، على نحو ماسبق • وبالرغم من أن هذه الحضارة — فى أساسها — تعود الى احتكاك الاغريق والأثينيين (٣) منهم بوجه خاص — بالغرباء ، عن طريق الحروب أول الأمر ، ثم عن طريق التجـارة بعـد ذلك (٤) ، حيث كان وقوع بلادهم فى عمق من البحر الأبيض ، مما مكنهم من الاتصال — بحريا — بالبلاد ذات الحضارات القديمة ، على هذا البحر ، « فى شمال فلسطين » (٥) ، تماما كما اتصلوا « بالحضارات الشرقية والجنوبيـة لحوض البحر الأبيض المتوسـط ، واكتسبوا من هذه الحضارات ، الشيء الكثير » (٦) •

وكان على رأس هذا الحضارات التى استفادوا منها ، « الحضارة

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : دراسة مقـارنة ، لتاريخ التربية — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٩٧٨ ، ص ١١١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٩ .

(٣) كانت أثينا Athens واحدة من ٢٦٠ مدينة يونانية مستقلة ، كانت تتكون منها بلاد اليونان .

(٤) فتحية حسن سليمان : التربية عند اليونان والرومان — مكتبة نهضـة مصر ، ص ٢١ .

(٥) لانسلوت هوجبن : العلم للمواطن — ترجمة دكتـور عطيـة عبد السلام عاشور ، ودكتور سيد رمضان هدارة — مراجعة دكتـور محمد مرسى أحمـد — رقم (١٠١) من ( الألف كتاب ) — الجـزء الأول — دار الفكر العربى ، ص ١٠٦ .

(٦) فتحية حسن سليمان ( المرجع الأسبق ) ، ص ١٩ .

المصرية » (١) القديمة ، التى أخذوا منها « الكثير من معارفهم الدينية والفلسفية والعلمية ، كالفلك والطب والزراعة والهندسة والفنون الجميلة »(٢) ، «وفنون العمارة والنحت والتصوير» ، وما « يتجاوز الفن الرفيع الى أشياء أخرى ، تمس الفنون التطبيقية ، وتمس الحياة اليومية، وقد تمس السياسة أيضا » (٣) .

وكان كثير من فلاسفة الاغريق المشهورين ، كسولون وأفلاطون ، قد تلقوا تعليمهم فى جامعات مصر (٤) ، « وزار مصر كثيرون من عظماء اليونان المشهورين ، أمثال طاليس وفيثاغورس وصولون وأفلاطون ودمقريطس » (٥) .

وبالرغم من ذلك فقد استطاعت بلاد اليونان ، أن تسبق غيرها من البلاد التى أخذت حضارتها عنها ، خاصة فى مجال الفلسفة ، وذلك لأن هذه البلاد ، « لم تحكمها دولة عريقة ، ولم تكن فيها الى جانب الدولة الحاكمة ، دولة من دول الكهانة ، التى تتأصل فى البلاد ، وتتوارث فيها أسرار المعرفة ، والبحث فى أصول الخلق والحياة ، أو فى المسائل

---

(١) الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : الثقافة والتربية ، فى العصور القديمة ، دراسة تاريخية مقارنة ( دراسات فى التربية ) — دار المعارف بمصر — ١٩٦١ ، ص ٨٥ — نقلا عن :
— Mahaffy J. P. , What Have the Greeks Done for Modern Civilisation ? — New — York, 1909, p. 11.

(٢) السيد محمود ابو الفيض المنوفى : أصالة العلم ، وانحراف العلماء — رقم ( ٤ ) من ( موسوعة وحدة الدين والفلسفة والعلم ) — دار نهضة مصر ، للطبع والنشر — ١٩٦٩ ، ص ١٠ .

(٣) طه حسين : مستقبل الثقافة فى مصر — مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر — ١٩٣٨ ، ص ١٧ .

(٤) محمد توفيق خفاجى : أضواء على تاريخ التعليم ، فى الجمهورية العربية المتحدة — اشراف ومراجعة دكتور ابراهيم حافظ — وزارة التربية والتعليم — مركز الوثائق والبحوث التربوية — مطبعة وزارة التربية والتعليم — ١٩٦٣ ، ص ١٥ .

(٥) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الأول ، من المجلد الثانى ( حياة اليونان ) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٥٣ ، ص ١٣٠ .

الالهية ، التى يستأثر بها الكهان ورؤساء الدين » (١) .

وبينما تعتبر القرون الثامن والسابع والسادس قبل الميلاد ، هى « عصر البناء ، فى الحضارة اليونانية » (٢) ، يعتبر القرن الخامس قبل الميلاد ، التالى لهذه القرون الثلاثة ، « بحق — من أزهى العصور فى تاريخ اليونان ، وهو عصر ( بركليس ) ، الذى نبغ فيه الشعراء والخطباء والكتاب ، والممثلون والمصورون والفلاسفة ، وغيرهم وغيرهم . ممن هم فخر اليونان ، وغرة فى جبين التاريخ » (٣) .

وغير صحيح ، ما يشيعه البعض ، عن جهل ، أو عن سوء نية وقصد ، من أن حياة الاغريق قد نمت وازدهرت ، لأنهم قد نحوا الدين من حياتهم العامة ، على عكس ما فعلته المجتمعات التى سبقت اليونانيين على طريق الحضارة ، ثم تخلفت عنهم على نفس الطريق ، ومن ثم فقد رفعوا « من شأن العقل » (٤) ، وصبغوا تعليمهم بالصبغة المدنية (٥) ، ومن أيامهم — وعلى يديهم — « بدأت العلاقة بين التعليم والسياسة ، تلك العلاقة ، التى استمرت حتى وقتنا الحاضر » (٦) .

وانما الصحيح ، هو ما يراه ول ديورانت ، من أن الحضارة الاغريقية ، كانت حضارة دينية ، كغيرها من الحضارات التى سبقتها ، والتى لحقت بها ، حيث « كانت قوانين اليونان ، ترى المروق من

---

(١) عباس محمود العقاد : الثقافة العربية ، أسبق من ثقافة اليونان والعبريين — رقم (٣٠٩) من ( المكتبة الثقافية ) — الهيئة المصرية العامة للكتاب — ١٩٧٤ ، ص ٤٤ .

(2) SMITH, WILLAM A. : Ancient Educotion, Philosophicol Library, New — York, 1955, p. 96.

(٣) صالح عبد العزيز : تطور النظرية التربوية ( دراسات فى التربية ) — الطبعة الثانية — دار المعارف — ١٩٦٤ ، ص ١٠ (من المقدمة) .

(٤) دكتور رءوف سلامة موسى : فى أزمة العلم والجامعات — دار ومطابع المستقبل ، ص ٣٤ .

(5) SMITH, WILLIAM A., Op. Cit., p. 131.

(٦) الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : دراسات فى التربية المقارنة — الطبعة الأولى — مكتبة الأنجلو المصرية — ١٩٥٨ ، ص ٣٧ .

الدين — أى الامتناع عن عبادة الآلهة اليونانية — جريمة كبرى ، يعاقب عليها بالاعدام ، وهذا هو القانون ، الذى حكم به على سقراط بالموت » (١) .

وهكذا نجد — مع و ل ديورانت — أن « الحياة فى بلاد اليونان ، لم تكن حياة دنيوية ، كما يصفها المؤرخون ، بل كان للدين فيها شأن كبير ، فى كل مكان » ، الا أنه « « بينما كان الكهنة فى مصر ، وبلاد الشرق الأدنى ، يسيطرون على الدولة ، كانت الدولة فى بلاد اليونان ، هى التى تسيطر على الكهنة ، وكان لها الزعامة فى الشئون الدينية ، ولم يكن الكهنة ، سوى موظفين صغار ، فى الهياكل » (٢) .

وربما أتى ( اللبس ) — فى هذه القضية — كما نرى من كلام و ل ديورانت السابق — وكما نرى من ( استقراء ) ( الواقع الدينى ) عند الاغريق — من أن الدين كان عند الاغريق ، ذا ( طابع فردى ) ، لا ( طابع قومى ) ، فانه « لم يكن للدولة دين رسمى ، يتمسك به جميع أفرادها ، أو عقائد ثابتة مقررة ، ولم يكن قوام الدين هو الاقرار بعقائد معينة ، بل كان قوامه الاشتراك فى الطقوس الرسمية ، وكان فى وسع أى انسان ، أن يؤمن بما يشاء من العقائد ، على شريطة ألا يكفر بآلهة المدينة ، أو يسبها . وملاك القول ، أن الدين والدولة ، كانا شيئا واحدا ، فى بلاد اليونان » (٣) .

وقد كانت هذه ( الفردية ) الدينية ، هى التى لم تقم تعارضا بين الدين والفلسفة ، بل جعلتهما أيضا ، شيئا واحدا .

وعندما غزا اليونانيون الشرق ، كان لابد أن ( تصطدم ) ( الفكرة )

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الخامس ، من المجلد الرابع (١٦) ( عصر الايمان ) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ص ٩١ .

(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الأول ، من المجلد الثانى ( حياة اليونان ) ( مرجع سابق ) ، ص ٣٤٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

اليونانية / الغربية ، بالفكرة الدينية الشرقية ، فيثبت ( العقل ) الشرقي أصالته واستاديته ، امام ( العقل ) اليوناني الغازى ، على النحو الذى يوضحه و ل ديورانت ، حيث « لم تدخل الصفات الذهنية اليونانية فى العقل الشرقى ، ولم يحدث ما امتاز به اليونان من نشاط ، وحب للجديد ، وحرص على الشئون الدنيوية » ، « تغييرا فى أخلاق الشرقيين ، بل حدث عكس هذا — حدث على مر الأيام ، أن جاشت أساليب التفكير والاحساس الشرقية من أسفل ، وغمرت الطبقة اليونانية الحاكمة ، ثم نقلها هؤلاء الى الغرب ، فكانت هى التى بدلت العالم ( الوثنى )»(١).

ويختم ول ديورانت حديثه عن هذا ( اللقاء ) بقوله : « وقصارى القول . أن اليونان عرضوا على الشرق الفلسفه ، وأن الشرق عرض على اليونان الدين ، وكانت الغلبة للدين ، لأن الفلسفة كانت ترفا ، يقدم للأقلية الضئيلة ، أما الدين ، فكان سلوى للكثيرين » (٢) .

أى أن الشرق المغزو .. كان هو الذى غزا بلاد اليونان الغازية .. فكريا وعقائديا ، فى النهاية .

ولقد كانت هذه ( الفردية ) الدينية ، وما تبعها من ( فوضى ) دينية، نتيجة احتكاك الاغريق بالشرق ، وتأثر بعضهم بالمفاهيم الدينية السائدة فيه .. مما عجل بتفكك المجتمع اليونانى وتحلله ، ثم سقوطه سريعا ، تحت أقدام الرومان .

ولقد تنبه الى هذا السقوط المحتمل ، قبل وقوعه ، فلاسفة الاغريق ، من أمثال أفلاطون Plato ( ٤٢٧ — ٣٤٨ ق.م ) ، الذى حاول انقاذ الموقف ، على طريقة الفلاسفة فى انقاذ المواقف ، بأن تصور لمواطنيه ، الحياة « فى مجتمع مثالى Utopia ، ينعمون فيه

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث ، من المجلد الثانى ( حياة اليونان ) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٥٤ ، ص ٤٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٧ .

بالأمن والسعادة معا »(١) ، وقد حدد معالم الحياة فى هـذا المجتمع ، فى كتابيه ( الجمهورية ) و ( القوانين ) .

ومن ثم « حاول المشرعون والساسـة والفلاسـفة ، أن يصوغوا مبادىء لتنظيم العلاقات الاقتصادية ، وأنواع السلوك الأخرى ، وبناء الدولة »(٢) ، قبل أن تنهار هذه الدولة ، ولكن يبدو أن جهودهم كانت قد أتت متأخرة ، بعد أن كانت هياكل الدولة الرئيسية قد انهارت بالفعل، تحت أقدام الأسبرطيين — ثم تحت أقدام الدولة الرومانية ، المجاورة لبلاد اليونان ، والتى كانت نامية وقتها .

ومع ذلك ، فقد خلف الاغريق من بعدهم ، ما كان ذا أثر فعال فى صياغة شكل الحياة فى الامبراطورية الرومانية ذاتها ، وما كان ذا أثر فعال فى الدين المسيحى نفسه ، على نحو ما سنرى .

ويمكن توضيح ( المعالم ) الأساسية ، التى خلفها الاغريق بعد اندحارهم ، فيما يلى :

١ — تمزيق الكيان الانسانى الواحد ، بالاعلاء من شـأن بعض المواهب التى منحها الله للانسان ، والحط من شأن بعضها الآخر ، فلقد أعلى الاغريق على سـبيل المثال ، من شأن العقل ، وحطوا من شـأن الجسد ، ومن ثم اتسمت فلسفتهم بالنزعة « الأرستقراطية ، التى نظرت باحتقار الى العمل اليدوى ، والجرى وراء الثراء ، ورفعت من شأن المحارب والسـياسى ، والمسـئولين عن الزراعة » ، وحرم « العبيـد وغيرهم ، ممن يزاولون الحـرف اليدوية » (٣) ، من حقوق المواطنة .

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : الأيديولوجيا والتربية ( مدخل لدراسة التربية المقـارنة ) — الطبعـة الثالثة — دار الفكر العربى — ١٩٨٠ ، ص ٣٨ .

(٢) جورج سول : المذاهب الاقتصادية الكبرى — ترجمة وتقـديم راشد البراوى — الطبعة الثالثـة — مكتبة النهضـة المصرية — ١٩٦٢ ، ص ١٧ ، ١٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٨ .

والتمتع بالديمقراطية ، التى اشتهرت بها أثينا ، بل انها فرضت على اليونانى ، « أن يستخدم العبيد ، وغيرهم من الناس ، ليعتنوا بشئونه المادية ، بما فى ذلك ، ان استطاع ، العناية بأملاكه وأمواله ، وهذا التحرر وحده ، هو الذى يترك له الوقت الكافى ، للقيام بأعباء الحكم والحرب ، والأدب ، والفلسفة » (١) •

٢ — وقد ترتب على ذلك ، أن كان هناك تمييز صارخ بين الاغريق وغير الاغريق ، سواء فى داخل حدود مجتمعهم الاغريقى ، وفى خارج هذه الحدود • ففى داخل حدود بلادهم ، نجد « أفلاطون ، يندد باستعباد اليونان لليونان ، ولكنه فيما عدا هذا ، يقرر الاسترقاق ، بحجة أن لبعض الناس عقولا غير ممتازة • وينظر أرسطو الى العبد ، على أنه آلة بشرية ، ويظن أن الاسترقاق سيبقى فى صورة ما ، حتى يحل اليوم ، الذى تؤدى فيه الآلات التى تدور بنفسها ، جميع الأعمال الحقيرة » (٢) •

ولم يكن عدد الأرقاء فى المجتمع الأثينى قليلا ، فان التقدير « المتوسط ، لعدد الأرقاء فى أثينا ، عند نهاية القرن الرابع ق•م هو حوالى أربعمائة ألف رقيق ، مقابل حوالى مائة ألف مواطن حر ، أى أن كل مواطن حر ، كان يستمتع بعمل أربعة أرقاء ، فى المتوسط » (٣) •

واذا كان هذا هو ( الوضع ) ، فى داخل بلاد اليونان ، فقد كان الوضع أسوأ ، فى نظرة اليونانيين الى غيرهم ، فى خارج حدود بلادهم ، فقد « كانت الروح الانسانية لليونانيين ، وطنية وقومية ، ولكنها كانت ضيقة فى نظرتها ، فقد كان كل انسان ، خارج الدائرة الهلينسية ،

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثانى ، من المجلد الثانى ( حياة اليونان ) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التأليف الترجمة والنشر ، ص ٦٣ •

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٨ •

(٣) جمهورية أفلاطون — ترجمة ودراسة الدكتور فؤاد زكريا — راجعها على الأصل اليونانى : الدكتور محمد سليم سالم — الهيئة المصرية العامة للكتاب — ١٩٧٤ ، ص ٨٨ ( من الدراسة ) •

يعتبر بربريا » (١) .

ونتيجة لذلك ، كان اليونانيون استعماريين من الطراز الأول ، وقد ساعدهم على ذلك ، أو اضطرهم اليه ، أن « الموارد الطبيعية لبلاد اليونان ( كانت ) ضئيلة للغاية ، فكانت التجارة الدولية ، هى العامل الذى أدى الى ظهور الاغريق ، وحضارتهم التى تشهد بها التاريخ »(٢) . وقد « كان هذا الاستعمار ، ذا آثار بعيدة ، على الحضارة اليونانية ، وكان أبعد هذه الآثار بطبيعة الحال ، هو ما مرت به البلاد من ثورة اقتصادية ، نقلت بلاد اليونان بالتدريج ، من بلد ذى اقتصاد زراعى بدائى متخلف ، الى بلد ذى اقتصاد مدنى ، يعتمد على التجارة والصناعة والمال » (٣) .

وقد كان هذا الاستعمار اليونانى ، من نوع الاستعمار الاستيطانى ، الذى عرفت به فرنسا فى العصر الحديث ، والذى يقوم على ( فرض ) اللغة اليونانية ، والثقافة اليونانية ، على البلاد التى تبتلى بهذا الاستعمار ، كما حدث فى مصر حين دخلها البطالسه سنة ٣٢٣ ق.م ، فان « الاغريقية فيها ، كانت لغة الدولة الرسمية ، ولغة الصلاة والتأليف ، ولغة التفاهم بين الطبقات الراقية من المصريين » (٤) — وان كانت النتيجة النهائية ، كانت — من وجهة نظر و ل ديورانت وغيره — نتيجة سلبية ، فقد « أخفقت الأغرقة فى مصر اخفاقا تاما ، مع المصريين واليهود

(1) DEWEY, JOHN : Democracy and Education, An Introduction to the Philosophy of Education: The Macmillan Company, New — York, 1961, p. 337.

(٢) كلنتون هارتلى جراتان : البحث عن المعرفة ، بحث تاريخى فى تعلم الراشدين — ترجمة عثمان نويه — تقديم صلاح دسوقى — مكتبة الأنجلو المصرية — ١٩٦٢ ، ص ٣٩ .

(3) SMITH, WILLAM A. ; Op. Cot., p. 90 — Quoted :
— Traver, Albert A., History of Civilization, Volume I, The Ancient Near East and Greece, p. 166.

(٤) سليمان نسيم : تاريخ التربية القبطية — باشراف دكتور أبو الفتوح رضوان — تقديم دكتور باهور لبيب — دار الكرنك ، للنشر والطبع والتوزيع — ١٩٦٣ ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

على السـواء ، وكان سـبب هـذا الاخفاق ، أن المصريين فى خارج الاسكندرية ، عضوا بالنواجذ ، على دينهم ، وعلى لباسهم أو زيهم ، وعلى أساليبهم التى ورثوها من أقدم الأزمنة » (١) •

٣ — المـادية الغليظة ، والميـل الى تجسـيد المجردات ، برغم الاشتغال بالفلسفة ، وانشغال الفلسفة ذاتها بالمـاورائيات — أى ما وراء هذه المظاهر المـادية — أو ما وراء الطبيعة • ذلك أنهم قد انطلقوا الى هـذه ( المـاورائيات ) ، من منطلق مادى صرف ، بهـدف اقتحـام « أسرار الكون العجيب المحيط بهم ، محاولين فهمه وتفسيره ، وضبط قوانينه وموازينه » (٢) ، ومن ثم ساد عندهم تبوئ « التفسير المـادى للوجود والانسان » ، ثم بعد ذلك « راح سقراط ( ٤٧٠ — ٣٩٩ ق•م ) وحواريوه ، من رواد الفكر الفلسفى ، يشككون فى كفاية التفسـير الفيزياوى الآلى للوجود ، وينادون بضرورة البحث المتعمق ، فى مصادر الفعل الانسانى ، ونظام الكون ، فى نطاق مبدأ روحى ، وهكذا كانت السقراطية فى الفلسفة الاغريقية ، تحولا عن البحث الفلسفى ، المنصـب مبدئيا على العـالم المـادى ، الى البحث فى مجال الأخـلاق والعقـل والروح » (٣) •

ولكن الى أى مدى نجح سقراط ؟

ان هذا هو السـؤال الوارد هنا ، والاجابة عليه ، أن سـقراط نفسـه ، قد حكم عليه بالموت ، بسبب منظوره هـذا ، لأنه عد كفرا بالآلهة — على نحو ما سبق (٤) •

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث ، من المجلد الثانى ( حياة اليونان ) ( مرجع سابق ) ، ص ٧٨ •

(٢) الدكتور محمد جواد رضا : العرب ، والتربية والحضارة ( دراسة فى الفكر التربوى المقارن ) — الطبعة الأولى — مكتبة المنهل — الكويت — ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م ، ص ٩٥ •

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٩ ، ١١٠ •

(٤) ارجع الى ص ٢١ ، ٢٢ من الكتاب •

وكما قتل سقراط ، فقد « تشرد أفلاطون ، وقضى أرسطو بقية حياته ، فى عزلة واهمال ، وكان عدد الهاربين من فلاسفتهم ، أكثر من عدد المقيمين الآمنين » (١) .

وليس هناك من تفسير لهذه المطاردة ، سوى هذا النزوع الميتافيزيقى ، الذى يتنافى مع ( روح ) الاغريق ، المادية الوثنية بطبعها ، والتى تفسر لنا « ما امتاز به اليونان من تسلط ، وحب لتبديد ، وحرص على الشئون الدنيوية » (٢) ، ورغبة فى السيطرة على الآخرين وتسخيرهم ، على نحو ما بينا آنفا .

وقد انعكست هذه النزعة المادية الوثنية ، على فكرة (الألوهية) عند الاغريق ، فانه « ليس ثمة دين ، يقرب آلهته من الآدميين ، قرب آلهة اليونان » (٣) ، فقد « كانت الأرض ، لا السماء ، موطن معظم الآلهة اليونانية » (٤) .

ولذلك عبد الاغريق آلهة شتى ، فهناك آلهة للحرف والمهن المختلفة ، وآلهة للحرب ، والآلهة المستمدة من الطبيعة أكثر من أن تحصى ، كما عبدوا « رمزى الاخصاب الرئيسيين ، فى الرجل والمرأة » (٥) ، وعبدوا بعض الحيوانات ، وعبدوا الموتى (٦) .

**والدولة الرومانية :**

سادت فى أثينا ، كل ( أمراض الحضارة ) ، التى تنتج عادة عن ( شيخوخة ) الحضارة ، واقترابها من الأفول .

---

(١) عباس محمود العقاد : الثقافة العربية ، أسبق من ثقافة اليونان والعبريين ( مرجع سابق ) ، ص ٤٥ .
(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث ، من المجلد الثانى ( حياة اليونان ) ( مرجع سابق ) ، ص ٤٦ .
(٣) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الأول ، من المجلد الثانى ( حياة اليونان ) ( مرجع سابق ) ، ص ٣١٨ ، ٣١٩ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٣٢٢ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٣٢٣ .
(٦) المرجع السابق ، ص ٣٢٤ — ٣٢٦ .

وقد أشرنا فيما سبق ، عند الحديث عن الاغريق ، كيف تنبه فلاسفتهم ، الى هذا ( السقوط ) الوشيك ، وخططوا للحياة فى مجتمع ، يبتعد عن أسباب هذا السقوط (١) ، ولكن مثل هذه الأصوات عادة ، فى مثل هذه الأحوال ، تطغى عليها أصوات التصدع ، وأسباب الانهيار .. فتضيع فى زحامها ، ولا تجد من يسمعها .

وفى الوقت الذى كانت عوامل ( الانهيار ) تدب فى ( جسم ) المجتمع الاغريقى ، كانت عوامل ( البناء ) تدب فى جسم شاب مجاور ، هو جسم المجتمع الرومانى .

وبلاد الرومان ( ايطاليا ) ، مجاورة لبلاد اليونان ( الاغريق ) ، على نفس الشاطىء الشمالى للبحر الأبيض المتوسط ، وعلى نفس خط عرضه تقريبا .

وقد شهدت هذه البلاد ، سلسلة من ( الهجرات البشرية ) اليها ، « من أوربا ، ومن آسيا الصغرى ، ومن شواطىء البحر الأدرياتيكى » (٢) .

وكانت الجماعات البشرية المهاجرة ، تنتمى الى ثلاث جنسيات رئيسية ، هى :

— الجنسية الايطالية ، التى نزحت قبائلها ، « عبر جبال الألب ، ثم انحدرت الى أواسط ايطاليا ، حيث استوطنت شاطىء نهر التيبر — ومن الايطاليين ، القبائل اللاتينية Latins ، وغيرها .

أما الجنس الثانى ، فهم الاترسكانيون Etruscans ، وكانوا قبائل من أصل غير معروف ، الا أن بعض المؤرخين ، يرجحون أنهم نزحوا من آسيا الصغرى .

وكان الاترسكانيون ، أكثر مدنية من الايطاليين ، فى كثير من

(١) ارجع الى ص ٢٣ ، ٢٤ من الكتاب .

(٢) دكتور عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة ، لتاريخ التربية ( مرجع سابق ) ، ص ١٢٨ .

النواحى ، وبخاصة النواحى العلمية والفنية » • « ويقال : ان الايطاليين استفادوا من حضارتهم كثيرا •

والجنس الثالث ، هم اليونانيون ، الذين نزحوا من اليونان ، الى جنوبى ايطاليا وصقلية ، حوالى القرن الثامن قبل الميلاد ، واستوطنوا تلك المناطق ، وكانوا على درجة من المدنية ، أفادت الايطاليين ، الى حد كبير » (١) •

ودخلت الجنسيات الثلاث ، فى سلسلة من الصراعات ، انتهت أول الأمر ، باستقرار القبائل الاترسكانية ، فى الساحل الغربى لايطاليا ، وسيطرة القبائل اللاتينية على الجزء الأوسط ، وسيطرة مجموعة من القبائل ، منها القبائل اليونانية ، على المناطق الشمالية والشواطىء الشرقية لشبه الجزيرة ، مما أدى — فى النهاية — الى نشأة المدن المستقلة الرومانية ، شبيهة بالمدن المستقلة اليونانية •

وكان من هذه المدن ، مدينة روما Rome ، التى أسستها القبائل اللاتينية سنة ٧٥٣ ق • م (٢) •

وأخيرا — قام بين هذه المدن المستقلة ، ما سبق أن قام بين المدن المستقلة اليونانية ، من حروب ، بهدف بسط السيادة على شبه الجزيرة الايطالية كله ، وقد تمكنت روما ، من بسط نفوذها على كل ايطاليا ، عام ٢٥٧ ق•م ، بعد صراع استمر « قرنين ونصف قرن تقريبا » ، « فأصبحت بذلك أولى مدن ايطاليا ، وسيدة الموقف فيها على العموم » (٣) •

ولم يكتف اللاتين المنتصرون ، بنصرهم على كل ايطاليا ، بل ان سلسلة انتصاراتهم المتلاحقة ، فى داخل شبه الجزيرة ، قد أغرتهم بالتوسع فى خارج حدوده ، وبالفعل تمكنوا « من السيطرة على صقلية

---

(١) فتحية حسن سليمان ( مرجع سابق ) ، ص ٧١ •
(2) SMITH, WILLIAM A, ; Op. Cit., p. 152.
(٣) فتحية حسن سليمان ( المرجع الأسبق ) ، ص ٧٣ •

وكورسيكا وســاردينيا وأسبانيا ، وذلك فى عام ٢٠١ ق٠م ، ثم وجهت جيوش روما اهتمامها ضد الممالك الهلينية ، حتى أخضعت اليونان وآسيا الصغرى وسوريا ومصر ، وكل ممالك البحر الأبيض المتوسط ، تحت سيطرتها » [١] ٠

وكانت هذه السلسلة من النجاح المتصل ، للجنس اللاتينى ، فى داخل شبه جزيرتهم وخارجها على السواء ، هو الذى زرع فى نفوسهم فكرة ( شعب الله المختار ) ، التى لابد أن يكونوا قد وجدوا لها أصولا فكرية ، عند الاغريق ، على نحو ما سبق [٢] ، فقد « اشتهر الرومان ، الذين كانوا من أصــل لاتينى » ، « باعتقادهم أنهم أعظم الأجنــاس البشرية وأنبلهــا ، وبأنهم خلقوا للسيادة والتحكم ، وعلى ذلك فقــد حاربوا غيرهم من القبائل والأجناس ، واستعبدوا من انتصروا عليه ، وكانوا يطمعون فى الثراء ، ويحبون المــال ، فامتازت حروبهم بأعمال الســلب والنهب والقسوة ، الى حد كبير » [٣] — تماما كما امتازت حروب الاغريق ، على نحو ما سبق [٤] ٠

وقد ظلت نزعة ( الاستعلاء ) تلك واضحة عند الرومان ، فترة طويلة من الزمان ، فقد ظل الطفل الرومانى فترة طويلة من الزمان ، يتعلم « على يد أمه أولا ، ثم على يد أبيه ، تلك الصفات الأسرية الاجتماعية، كالاقتصاد ، وضبط النفس واحترامها ، وكالتقوى والشجاعة ، والولاء للدولة ، الذى كان الرومان يحرصون عليه كثيرا » [٥] ٠

وظلت الأسرة الرومانية ، هى المصدر الأساسى لتربيــة الأطفال ، وتنميتهم على ( المثل العليا ) الرومانية ، « والفضائل التى أعجب بهــا

---

(١) الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : الثقافة والتربية فى العصــور القديمة ( مرجع سابق ) ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

(٢) ارجع الى ص ٢٤ ، ٢٥ من الكتاب .

(٣) فتحية حسن سليمان ( مرجع سابق ) ، ص ٧٣ .

(٤) ارجع الى ص ٢٥٠ — ٢٨ من الكتاب .

**(5) GOOD SEL, WILLYSTINE : A History of the Familly, as a Social and Educational Ihstitution; The Macmillan Company, New — York, 1923, p. 126.**

الرومان ، كان المفروض أن تغرس فى المنزل • والمنزل المثالى ، هــو المنزل الريفى • وهكذا نجد أنفسنا ، أمام تناقض لم يصــل الرومان الى حله قط ، فهم يحتفــلون بالفضــائل ذات الجذور الريفية ، ولكن حضارتهم وجدت أسمى تعبير عنها فى المدن ، ولقد وجد هذا التناقض ، الى حد ما ، منذ بداية الحضارة » (١) •

وعندما تطورت الأحوال ، فى داخل الامبرطورية ، بحيث صارت ( المدرسة ) ضرورة من ضرورات الحياة ، « ظهرت المدارس ، كمعاهد نظامية فى روما ، فيما بعد عام ٣٠٠ قبل الميــلاد » ، ولكنها « لم تكن تلعب دورا كبيرا فى تربيــة الأطفــال ، مثل الدور الذى كانت تلعبــه الأسرة » (٢) •

وبالرغم من انشــاء المدارس ، « لم يتخل الأب الرومانى ، عن تربية ابنه بنفسه ، حتى بعد تطور الحالة فى روما ، وافتتاح المدارس ، فقد استمر يساعد المدرسة فى تعليم ابنه ، وتقويم أخلاقه » (٣) — وان كان هدفه ، هو نفس هدف المدرسة ، وهو « تكوين أفراد صالحين ، لخدمة الدولة » (٤) •

ولم يكن الرومان — بطبيعتهم — شــعبا مبتكرا ، بقدر ما كان ممتازا ، فى النواحى التطبيقية ، مما جعل حضارتهم ، مكملة للحضارة الاغريقية ، لا مضيفة اليها •

ومن الاغريق المغلوبين ، تعلمت روما — الغازية — كل شىء ، حتى « لقد قيل : ان اليونان المغلوبة ، هى التى أسرت قاهرتها روما ، وذلك

---

(١) كلنتون هارتلى جراتان ( مرجع سابق ) ، ص ٥٩ •

(2) BUTTS, R. FREEMAN : A Cultural History of Western Education, Its Social and Intellectual Foundations ; Second Edition, Mc Graw — Hill Company, New — York, 1933, p. 115.

(٣) فتحية حسن سليمان ( مرجع سابق ) ، ص ٧٩ •

(٤) المرجع السابق ، ص ٧٨ •

بغزو الثقافة اليونانية القديمة ، للامبراطورية الرومانية ، التى أصبحت اليونان جزءا منها — فقد أثرت الثقافة اليونانية تأثيرا واضحا ، فى نواحى الحياة الرومانية » (١) .

وقد كان اليونانيون ، هم الذين نقلوا الأبجدية اليونانية الى روما ، لتأخذها عنهم ، وكانوا هم الذين علموا الرومان القراءة والكتابة(٢) — وعندما افتتحت المدارس ، فى وقت متأخر كما سبق ، « كان أكثر المعلمين شهرة ، هم اليونان ، الذين أتو الى روما ، أولا كأنداد سياسيين ، ثم كعبيد ، ثم أصبحوا مواطنين رومانيين ، بعد أن منحوا حق المواطنة »(٣) .

ويزيد ول ديورانت قصة الغزو اليونانى ، لروما الغالبة ، توضيحا ، حيث يرى أن « الحضارة اليونانية ، لم تمت بموت الحرية اليونانية ، بل انها على العكس من ذلك قد افتتحت لنفسها أفكارا جديدة ، وانتشرت فى ثلاث جهات ، بعد أن حطم تكوين الامبراطوريات الواسعة ، ما كان يعترض سبل الاتصال والاستعمار والتجارة ، من حواجز سياسية » ، « بل ان الدم الهلينى ، واللغة اليونانية ، والثقافة اليونانية ، قد شقت طريقها الى داخل آسية الصغرى وفينيقية وفلسطين ، واخترقت سورية وبابل ، وتخطت نهرى الفرات ودجلة ، بل وصلت الى بكتريا والهند نفسيهما . ولم تكن الروح اليونانية ، فى وقت من الأوقات ، أشد مما كانت فى ذلك الوقت ، حماسة وشجاعة ، ولم تحرز الآداب والفنون اليونانية ، نصرا مؤزرا ، أوسع من النصر الذى أحرزته فى تلك الأيام » (٤) .

كما يضيف ، أنه « كانت الطريقة التى غزت بها بلاد اليونان رومه ،

(١) المرجع السابق ، ص ٨٨ .

(2) GUEST, GOERGE : The March of Civilistion; G. Bell and Sons, Ltd., 1951, p. 65.

(٣) الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : الثقافة والتربية فى العصور القديمة ( مرجع سابق ) ، ص ٣٤٣ .

(٤) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث ، من المجلد الثانى ( حياة اليونان ) ( مرجع سابق ) ، ص ٧ ، ٨ .

أن بعثت الى عامتها بالدين اليونانى ، والمسرحيات الهزلية اليونانية ، والى الطبقات العليا من أبنائها ، بالأخلاق والفلسفة اليونانية •

وائتمرت هذه الهدايا اليونانية ، مع الثروة الرومانية ، ومع الامبراطورية الرومانية ، على تقويض دعائم دين رومة وأخلاقها» [١] •

وكأنما خاض الرومان ما خاضوه من حروب عبر تاريخهم الامبراطورى ، من أجل حضارة الاغريق تلك — أى من أجل « نشرها فى أنحاء عديدة فى العالم » [٢] ، لا من أجل أنفسهم • وبالرغم من هذا التأثر الرومانى الذى لاينكر ، بالحضارة اليونانيه ، فقد استطاع الرومان فى النهاية — أن يضعوا ( بصمتهم ) الواضحة على هذه الحضارة ، لتكون حضارتهم هم فى النهاية ، ابتداء من المفاهيم الدينية ، وانتهاء بأنماط الحياة اليومية ، وهياكل هذه الحياة •

فمن حيث الفكرة الدينية ، لم تكن ( الفردية الدينيــة ) ، التى رأيناها سمة الحياة الدينية عندالاغريق [٣] — لم تكن تصلح منذالبداية للرومان ، فان الفردية تصلح للاغريق كمفكرين ، ولكنها لا تصلح للرومان كمحاربين ، « والمفكريطلب الحرية ، ولكن المحارب يطلب مع الحرية•• جماعة يحارب بها ولها » [٤] •

**ومن ثم احتلت ( الأسرة ) ، فى الفكر الدينى الرومانى ، منزلة ، لم تنزل عنها عبر تاريخ الرومان الدينى ، فقد « كانت الأسرة الرومانية ،**

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الأول ، من المجلد الثالث ( ٩ ) ( قيصر والمسيح ، أو الحضارة الرومانية ) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م ، ص ١٩٩ •

(٢) دكتور عبد الغنى عبود : الحضارة الاسلامية ، والحضارة المعاصرة — الكتاب الحادى عشر من سلسلة ( الاسلام وتحديات العصر ) — الطبعة الاولى — دار الفكر العربى — فبراير ١٩٨١ ، ص ٨٢ •

(٣) ارجع الى ص ٢٢ من الكتاب •

(٤) دكتور عبد الغنى عبود : الدولة الاسلامية ، والدولة المعاصرة — الكتاب الثانى عشر من سلسلة ( الاسلام وتحديات العصر ) — الطبعة الاولى — دار الفكر العربى — يونية ١٩٨١ ، ص ٥٦ •

« رابطة بين الأشخاص والأشياء ، من جهة ، والآلهة من جهة أخرى . وكانت هى المركز ، الذى يلتف حوله الدين ، والخلق ، والنظام الاقتصادى ، وكيان الدولة بأجمعها ، كما كانت هى المنبع ، الذى تستمد منه هـذه المقومات كلها » (١) .

وفكرة الألوهية ، رأيناها عند الاغريق فكرة ( مادية حسية ) (٢) ، بينما « لم يكن الرومانى ، كما كان الاغريقى ، يفكر فى آلهته ، كأن لها صورا كصور الآدميين ، ولم يكن يسميها الامينـا Mumina ، أى الأرواح ، وكانت هذه الآلهة فى بعض الأحيـان ، معنويات مجردة ، كالصحة ، أو الشباب » ، « وكان بعضها يتقمص الحيوانات المقدسة ، كالحصان ، أو الحيوان الذبيح ، أو الأوز المقدس » (٣) .

وقد « استخدمت ايطاليا ، نظاما من الكهنوت ، محكم الوضع ، لتضمن به معونة هؤلاء الأرباب ، وكان الأب فى منزله كاهنا ، ولكن الصلوات العامة ، كان يرأسها جماعات ( Collegia ) من الكهنة » ، « ويرأسها كلها حبر أعظم » (٤) .

وقبيل ظهور المسـيحية ، كان الأباطرة قد بدءوا يجـدون لهم مكانا ، فى هـذا الفكر الدينى الرومانى ، ففى الاحتفالات الدينيـة ، « كان الامبراطور ، الذى يرأس هذه الاحتفالات ، هو الكاهن الأكبر ، لدين الدولة » (٥) .

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة ــ الجزء الأول ، من المجلد الثالث ( ٩ ) ( قيصر والمسيح ، أو الحضارة الرومانية ) (مرجع سابق) ، ص١٢٢ .

(٢) ارجع الى ص ٢٧ ، ٢٨ من الكتاب .

(٣) ول ديورانت : قصة الحضارة ــ الجزء الأول ، من المجلد الثالث ( ٩ ) ( قيصر والمسيح ، أو الحضارة الرومانية ) ( المرجـع السـابق ) ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

(٥) ول ديورانت : قصة الحضارة ــ الجزء الثانى ، من المجلد الثالث (١٠) ( قيصر والمسيح ، أو الحضارة الرومانية ) ــ ترجمة محمد بدران ــ الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية ــ لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ص ٣٥٣ .

ويتولى الامبراطور أغسطس الحكم ، فى القرن الأول قبل الميلاد ، « اتخذ الدين الرومانى شكلا هاما آخر ، وذلك هو العبادة الشخصية للامبراطور نفسه »(١) ، فقد كان أغسطس — على تعبير ول ديورانت — « من أكبر المنافسين لآلهته ، وكان قيصر قد ضرب له المثل ، فى هذا التنافس . ذلك أن مجلس الشيوخ ، اعترف بألوهية قيصر ، بعد عامين من مقتله ، وما لبثت عبادته ، أن انتشرت فى سائر أنحاء الامبراطورية »(٢) .

وهكذا ، خلف الرومان من بعدهم ، الى جانب ما خلفه الاغريق ، فكرة ، سنرى أثرها الواضح ، فى الفكر الدينى المسيحى ، وهى فكرة ( تأليه الانسان ) ، كبديل عن تأليه ( الأشياء ) المادية الملموسة فى المجتمع ..

وكان هذا التطور ، من ( عبادة الأشياء ) ، الى ( عبادة الانسان ) ، شبيها بذلك التطور ، الذى تطورته مصر ، فى فكرها الدينى ، وكان منشؤه فى الحالين ، هو ارتباط الانسان أو المواطن ، ارتباطا عضويا ( بالدولة القوميــة ) ، التى « أصبحت لها وظائف واضحة ، فى تحقيق التقدم ، وفى حماية الوطن والمواطن ، من أعدائهما الكثيرين » — على نحو ما رأينا ، عند حديثنا عن فكرة الألوهية ، فى مصر القديمة ، فى كتابنا الثانى من كتب السلسلة (٣) .

كذلك خلف الرومان من بعدهم ، الى جانب ما خلفة الاغريق ، تلك ( المؤسسات ) والهياكل والتنظيمات ، التى صارت ( تنتظم ) الحياة الدينية الرومانية ، والتى انتقلت — بكليتها — الى الحياة الدينية المسيحية ، كما سنرى فى الفصل الثالث من الكتاب .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٨٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٥ .

(٣) دكتور عبد الغنى عبود : الله ، والانسان المعاصر — الكتاب الثانى من سلسلة ( الاسلام وتحديات العصر ) — الطبعة الثانية — دار الفكر العربى — ١٩٨١ ، ص ٤٨ .

**والدين اليهـودى :**

الى الغرب و ( روحـه ) ، ينتسب الاغريق والرومان ، الذين تحدثنا عنهم من قبل ، كتمهيد للحديث عن المسيحية والمسيح •

ولكن اليهودية ــ كدين ــ تنتسب الى هـذا الشرق ، الذى ظهر المسيح فيه • وبالرغم من أن الاغريق والرومان ينتسبون الى الغرب ، فانهم تربطهم بالشرق روابط عدة ، رأيناها فيما سبق من حديثنا عنهم ، فأصول حضارتهم ، قد انتقلت اليهم من بلاد الشرق ، ثم انهم قد أتوا الى هذا الشرق غازين ، فتركوا بصمتهم عليه ، أو ترك الشرق بصمته عليهم ، بعبارة أصح •

وقد كان الرومان يسيطرون على الشـام وفلسـطين ، يوم ولد المسيح ، عيسى بن مريم •

ومن ثم فانه لايستبعد أن تكون اليهودية قد تأثرت بالحضـارتين اليونانية والرومانيـة ، كما أثرت فيهما ، من نواح عدة ، يمكن أن نتلمسها بعد قليل •

وقد رأينا ــ فى كتابنا السابق من كتب السلسلة ، عن ( اليهودية )ــ أن ( التركيبة النفسية ) لليهـود ، هى أنهم شـعب بلا أرض ، وأن « ( اللا أرض ) أو ( اللا وطن ) ، هى ( المفتاح ) الى فهم ( الشخصية القومية اليهودية ) ، تماما كما نجد الأرض أو الوطن ، هو ( المفتاح ) الى فهم الشخصية القومية •• غير اليهودية » (١) •

واذا كان من يملكون أرضا ، يجدون ما يتميزون به على غيرهم ، فى ( شىء ما ) ، متصل بهذه الأرض •• فان من لا يملكون هذه الأرض ، لابد أن يبحثـوا عن شىء آخـر ، يتميزون به على غيرهم ، اذا كان لابد لهم أن يتميزوا على هذا الغير •

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : اليهود ، واليهودية ، والاسـلام ــ الكتاب الثالث عشر من سلسلة ( الاسلام وتحديات العصر ) ــ الطبعـة الأولى ــ دار الفكر العربى ــ أكتوبر ١٩٨٢ ، ص ٤١ .

لقد بنى الاغريق ( تميزهم ) على التفوق ( العقلى ) ، وبنى الرومان ( تميزهم ) على التفوق ( الحربى ) : أو ( العضلى ) .. وكلا النوعين من التفوق ، مرتبط بأرض ، ينطلق منها .. لأن العقل عندما يفكر ، لا يفكر فى ( فراغ ) ، وانما هو يفكر ، فى ( اطار واقع ) معين يعاش .. ولأن الجندى عندما يحارب ، انما يحارب ( دفاعا ) عن أرض .. أو ( توسيعا ) لرقعة هذه الأرض .

وكان الشىء المناسب ، ليظهر اليهود ، المطرودون من كل أرض ، ( تميزهم ) فيه ، هو .. الدين .

وليتحقق لهم هذا ( التميز ) الدينى على غيرهم ، ( أغلقوا ) هذا الدين — اليهودى — عليهم ، حتى جعلوه « أشبه بالعصبية ، المحصورة فى أبناء اسرائيل ، منها بالدعوة العامة ، لجميع الناس » (١) .

ولا مجال هنا للمقارنة فى هذا ( الانغلاق ) على النفس ، بين اليهودية من جانب ، وبين الهندوكية ( فى الهند ) ، والشنتية ( فى اليابان ) من جانب آخر ، وذلك لأن كلتيهما « ديانة شعب مستقر فى وطنه » (٢) ، ومن ثم يكون ( منطقيا ) أن تنغلق على هذا الشعب ، الذى ( فصلت له ) انغلاق حدود أرضه عليه .. عكس اليهودية ، التى لا يمكن أن تغلق عليها حدود ، لأنها لشعب ، لا أرض له ، ولاقرار له فى مكان ، لأنه عاش حيث عاش ، « فى جو عاصف ، من الخوف والتوجس ، وتوقع اللطمات والضربات القاصمة » (٣) ، وبالتالى ، توقع ( الطرد ) فى أى وقت ، لمن كان سعيد الحظ من أبنائه .. الى أرض جديدة ، ينتظر فيها نفس المصير ، و ( الموت ) هو ( الخيار ) الثانى لغير السعيد منهم .

---

(١) عباس محمود العقاد : عبقرية محمد — دار الكتب الحديثة — القاهرة — ١٩٦٦ ، ص ٣٢ .
(٢) عباس محمود العقاد : ما يقال عن الاسلام — دار الهلال — ١٩٧٠ ، ص ٣٦ .
(٣) عبد الكريم الخطيب : اليهود ، فى القرآن — الطبعة الأولى — دار الشروق — ١٩٧٤ ، ص ١٢ .

وكما أغلق اليهود اليهودية على أنفسهم ، بدون منطق ، أغلقوا نفس الحدود على الههم ، فجعلوه « اله قبيلة واحدة ، يختصها بحظوته » [١] ، فهو « يريد أن يستأثر بشعب اسرائيل لنفسه ، وبين سائر الشعوب ، وأن يستأثر شعب اسرائيل به لأنفسهم ، بين سائر الآلهة » [٢] .

وقارىء التوراة — كتاب اليهود المقدس — يلفت نظره كثيرا ، وصف يهوا ( أويهوه ) ، اله اليهود ، ( برب الجنود ) ، على نحو ما رأينا فى كتابنا السابق من كتب السلسلة ، الذى خصصناه لهم [٣] — وهو وصف ، يعكس ( تطلع ) اليهود الدائم ، لما عند غيرهم .

انه وصف يجمع بين ( الذكاء ) ، الذى رأيناه عند الاغريق ، وبين ( الفتوة الحربية ) ، التى رأيناها عند الرومان ، وهو ما لم يتح لليهود — بسبب ظروفهم الخاصة — أن يكون لهم حظ منه — على نحو ما سبق .

فالجندى المحارب ، لابد أن يكون على قدر من الذكاء لقهر خصمه .. وعلى قدر من القوة ، ليتمكن من قهر هذا الخصم .. فكيف الحال ( برب الجنود ) فى هذا المجال ؟ !

ولم يكن ينقص اليهود ، ليتميزوا دينيا ، بعد الدين الخاص بهم ، والاله الذى اختارهم واختاروه .. سوى الكتاب المقدس .. الذى يجمع كل اليهود على الدين ، ويلفهم حول الاله .

وقد كان اليهود ، هم الذين سارعوا الى طلبه من موسى ، بعد خروجهم من مصر ، سنة ١٢٥٠ ق.م ، ومن أجله سأل موسى ربه ، فوعده به بعد ثلاثين ليلة ، صامها ، وألحقها بعشر ، وصعد الى ربه ، فقربه

---

(١) عباس محمود العقاد : ما يقال عن الاسلام ( المرجع الاسبق ) ، ص ٤٧ .

(٢) عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام ، وأباطيل خصومه — دار الاسلام — القاهرة — ١٩٥٧ ، ص ٥٠ .

(٣) دكتور عبد الغنى عبود : اليهود ، واليهودية ، والاسلام ( مرجع سابق ) ، ص ٣٢ — ٣٥ .

اليه بكلامه ، وكتب له الألواح ، التى تعرف ( بالتوراة ) (١) — وان كانت غير التوراة الحالية ، التى لابد أن تكون قد «كانت صغيرة بحيث تكتب على اثنى عشر حجرا ، بخط واضح ، وظلت هذه التوراة ، متداولة فى أيدى علماء بنى اسرائيل ، الى زمن السبى البابلى • وفى مدينة بابل بالعراق ، اتفق علماء بنى اسرائيل ، على جمع مأثورات التاريخ القديم ، خاصة ما يتعلق بنسب اسحق عليه السلام ، ووضع توراة موسى بين المأثورات ، وقد تم ذلك على يد عزرا ، فى بابل » (٢) — وذلك سنة ٤٤٤ قبل الميلاد(٣) — أى « بعد عشرة قرون ، من نزول الشريعة ، على موسى عليه السلام » (٤) •

واذا كان لكل الشعوب ( كتاب ) واحد ، فان اليهود — بوصفهم أرقى من كل الشعوب — لهم أكثر من كتاب ، لعل أشهرهم بعد التوراة ، هو ( التلمود ) ، الذى رأيناه فى كتابنا السابق من كتب السلسلة ، يعنى — عند ول ديورانت — « التعليم » (٥) ، والذى يراه يحوى كل شىء ، يحتاج اليه اليهودى ، فى حياته اليومية ، فهو عنده ، « قانون أخلاقى ، وأن هذا القانون الأخلاقى ، شديد الاختلاف عن القانون المسيحى ، وعظيم الشبه بالقانون الاسلامى » (٦) — مما يؤكد أنه كتب بعد الاسلام ، لا قبل ظهوره •

---

(١) خليل طاهر : الأديان والانسان ، منذ مهبط آدم ، حتى : اليهودية — المسيحية — الاسلام — قدم له وراجعه : فضيلة الامام الاكبر ، الشيخ عبد الحليم محمود — دار الفكر والفن — ١٩٧٦ ، ص ١٨٥—١٨٧ •

(٢) الشيخ رحمت الله الهندى ( ١٢٣٣ — ١٣٠٨ هـ ) : اظهار الحق — تقديم وتحقيق وتعليق : الدكتور احمد حجازى السقا — الجزء الأول — دار التراث العربى ، للطباعة والنشر — ١٩٧٨ ، ص ٢١٤ ( هامش !١ ) •

(٣) محمد صبيح : المعتدون اليهود ، من أيام ( موسى ) ، الى أيام ( ديان ) — مطبعة دار العالم العربى — ١٩٦٨ ، ص ٨ •

(٤) عبد الله التل : خطر اليهودية العالمية ، على الاسلام والمسيحية — الطبعة الثانية — دار القلم — ١٩٦٥ ، ص ١٠ •

(٥) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث ، من المجلد الرابع (١٤) ( عصر الايمان ) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التاليف والترجمة والنشر — ١٩٥٦ ، ص ١٥ •

(٦) المرجع السابق ، ص ٣٠ •

كما يرى ول ديورانت ، أن اليهود ، قد اضطروا الى كتابته ، عندما لم تستطع التوراة ، أن تفى « بجميع حاجات أورشليم ، بعد أن فقدت حريتها ، ولا اليهودية بعد أن فقدت أورشليم ، ولا الشعب اليهودى ، فى خارج فلسطين » ، مما جعل الحاجة ماسة ، الى تفسير « الشريعة الموسويه ، تفسيرا يهتدى به الجيل الجديد ، والبيئة الجديدة ، ويفيدان منه » ، على أساس أن « موسى لم يترك فقط لشعبه شريعة مكتوبة » ، « بل ترك له أيضا شريعة شفوية ، تلقاها التلاميذ عن المعلمين ، ووسعوا فيها ، جيلا بعد جيل » (١) .

وفى الوقت الذى تتداول فيه نسخ ( التوراة ) فى الأسواق ، نجد اليهود يحرصون على جمع نسخ ( التلمود ) من الأسواق ، وذلك لأن التلمود « يفضح أساليبهم ، ويكشف عن نفسيتهم ، تجاه الأمم الأخرى .. تلك النفسية ، التى تظهر واضحة على حقيقتها ، عندما يملكون ويسيطرون ، وتصبح لهم قوة ، ينفذون بها ما يعتقدون » (٢) .

ومع القرن التاسع عشر ، حيث نظم اليهود أنفسهم ، وضمنوا ( قدرتهم ) على عمل شىء ، يحققون به مخططاتهم ، .. ظهرت ( بروتوكولات حكماء صهيون ) ، مؤكدة أن « اليهودية والصهيونية ، شىء واحد ، أو وجهان لعملة واحدة » (٣) ، هدفها تحقيق الحلم اليهودى القديم ، الذى حققه الاغريق والرومان فى عصور اليهودية الأولى ، وهو حلم ( الامبراطورية ) ، مستغلين فى تحقيقه ، كل وسائل « الغش والخديعة والدس ، واثارة الفتن ، واستنزاف الأموال ، عن طريق الاقراض بالربا الفاحش ، والتوسل الى مراكز القوة والنفوذ ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ١١ ، ١٢ .
(٢) التلمود ، شريعة بنى اسرائيل ( حقائق ووقائع ) — ترجمة واعداد محمد صبرى — مكتبة مدبولى ، ص ٦ ، ٧ .
(٣) الدكتور على عبد الحليم محمود : الغزو الفكرى ، وأثره فى المجتمع الاسلامى المعاصر — الطبعة الأولى — دار البحوث العلمية — الكويت — ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م ، ص ١٥٧ .

بالمال والنساء ، ومداهنة أصحاب السلطان ، وما الى ذلك » [1] •

ومن ثم كان ( المسيح المنتظر ) عند اليهود ، ليس ذلك المسيح ، الذى سنرى أنه قد أتاهم بالحكمة والموعظة الحسنة والحلم — وانما هو ( مسيح ) يحقق لهم أحلامهم ، أى « ملك فذ من نوعه ، مخلص ، معه القوة ، والبركة ، معجز ، يعيد الأمجاد السالفة » [2] •

**عصر اللاعقل :**

وهكذا تجمع كل ( حمق ) الانسان ، فى العصر الذى ظهر فيه السيد المسيح ، بعد أن صارت (القوة) ، هى المقياس الوحيد ، الذى يقاس به الانسان ، فردا وجماعة ، فصارت ( القوة ) ، هى مطلب الانسان •

والقوة ، اذا طلبت ، فانما تطلب للبطش ، وبسط النفوذ ، أى لاذلال الانسان الذى تتجه اليه هذه القوة •

وقد كانت نتيجة هذا ( الحمق ) ، الذى تميزت به الحياة البشرية ، فى العصر الذى ظهر فيه السيد المسيح ، أن عاش الانسان ( شقيا ) ، برغم التقدم الفكرى الاغريقى ، والتقدم المادى الرومانى •• وبرغم الدين اليهودى •

ويوضح الدكتور بول مونرو ، مظاهر هذا الشقاء وأسبابه ، بقوله : « ان الحكومة الملكية ، قد استبدت ، وجمعت السلطة فى يدها ، وكونت أداة محكمة ، لتنفيذ ارادتها ، واستنزاف ثروة الشعب ، وفسدت طبقة الموظفين ، الى أبعد مدى ، وتحدوا السلطة الامبراطورية علانية ، ولم تتورع طبقة القضاة ، عن قبول الرشوة ، وفرض تواد

---

(١) دكتور صبرى جرجس : التراث اليهودى الصهيونى ، والفكر الفرويدى ( اضواء على الأصول الصهيونية ، لفكر سجمند فرويد ) — الطبعة الاولى — عالم الكتب — ١٩٧٠ ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ •

(٢) الدكتور حسن ظاظا : الفكر الدينى الاسرائيلى ، اطواره ومذاهبه — معهد البحوث والدراسات العربية — ١٩٧١ ، ص ١٢٧ •

الجيش الضرائب النقدية والنوعية ، لامداد جيش كبير ، كانت كلمته بمثابة قانون نافذ ، حتى على جماعة الأباطرة » (١) .

وقد كانت النتيجة — فى نظره — أن ابتعد المجتمع ، عن أسباب السلامة ، فان « الفضائل ، التى كان ينشدها جماعة اليونان والرومان، كانت مدنية بطبيعتها ، ففى جميع أطوار تاريخهم ، كانت خير فضائلهم ، هى حب الوطن والشجاعة .. » .

« ولذلك لم يكن هناك أى اهتمام بالفضائل الفردية ، كالعطف على المسكين ، أو الحدب على الفقير ، أو المشاركة الوجدانية ، بين الانسان وأخيه الانسان . وحتى تلك الصفات المدنية ، ما لبثت أن اختفت وتلاشت ، حين جمع الأباطرة السلطة فى أيديهم ، وأصبحت الحكومة أداة لجمع الضرائب فقط » . « وانحلت صفات الرومانى القديم ، من قوة وبأس وشجاعة وكرامة ، وتحولت الى سكون ودعة ، ومجون واستهتار ، وحين تغلبت الشهوات الجسدية ، وأصبحت القوة الدافعة لكل هدف ، ولكل مربى ، فليس بغريب بعد هذا ، أن تتوقع لهذا المجتمع نتائج وخيمة ، وعواقب خطيرة » (٢) .

وهكذا ، تحول ( الذكاء ) اليونانى ، الى وسيلة لبسط النفوذ ، واستلاب ما لدى الآخرين ، وتحولت ( القوة ) الرومانية ، الى وسيلة قمع وارهاب ، وتمكين للأباطرة ، من رقاب الناس — وديست كل القيم القديمة ، تحت الأقدام . وقد أشرنا من قبل ، الى ذلك التطور الدينى الذى حدث فى روما ، حيث اعترف مجلس الشيوخ بألوهية قيصر ، بعد موته ، مما جعل أغسطس يتخذ مكان قيصر على عرش الألوهية (٣) . ويتخذ ول ديورانت من ذلك دليلا على أن « الدين القديم ، رغم هذه المظاهر

(١) الدكتور بول منرو : المرجع ، فى تاريخ التربية — الجزء الأول — ترجمة صالح عبد العزيز — راجعه حامد عبد القادر — الطبعة الثانية — مكتبة النهضة المصرية — ١٩٥٨ ، ص ٢١٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣٢ .
(٣) ارجع الى ص ٣٦ من الكتاب .

الخارجية ، دب فيه دبيب الفناء ، من أعلاه ومن أسفله على السـواء . ولم يكن تأليه الأباطرة ، دليلا على اجلال الطبقات العليـا لحكامها ، بقدر ما كان شاهدا على قلة اجلالها لآلهتها » (١) .

ويتعرض ول ديورانت ، للوضـع العـام المتردى فى الامبراطورية الرومانية ، وقت ظهور المسيح ، فيرى أن « سقوط رومة ، كقيامها ، لا يعزى الى سبب واحد ، بل الى كثير من الأسباب » ، وأن « الحضارة العظيمة ، لا يقضى عليها من الخارج ، الا بعد أن تقضى هى على نفسها من الداخل ، وشاهد ذلك ، أنا نجد الأسباب الجوهرية لسقوط رومة ، فى شعب رومة نفسه ، أى فى أخلاقها ، وفى النزاع بين طبقاتها ، وفى كساد تجارتها ، وفى حكومتها الاستبدادية البيروقراطية ، وفى ضرائبها الفادحة الخانقة ، وحروبها المهلكة » (٢) .

ثم يضيف الى ذلك ، أنه قد « عجل الفساد الخلقى هذا الانحلال . ذلك أن صفات الرجولة ، التى نشأت من بساطة العيش ، وتحمل المشاق ، ودعمها ايمان قوى — نقول : ان هذه الصفات ، قد أضعفها بهرج الثروة ، وحرية عدم الايمان » (٣) .

واذا كان ( الاغترار ) بالنفس ، قد جعل ( اللا عقل ) هو السمة الغالبة ، على السـاحة ، على هـذا النحو ، مما جعل الحياة فى ظل ( الدولة ) الرومانية ، ( جحيما ) لا يطاق .. فهل استطاعت اليهودية أن تقدم للبائسين الحل ؟

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثانى ، من المجلد الثالث (١٠) ( قيصر والمسيح ، أو الحضـارة الرومانية ) ( مرجـع سابق ) ، ص ٣٥٤ .

(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث ، من المجلد الثالث (١١) ( قيصر والمسيح ، أو الحضارة الرومانية ) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنـة التأليف والترجمـة والنشر — ١٩٥٥ ، ص ٤٠٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٠٨ .

ان الواقع يقول أن الذى حدث ، كان هو ( العكس ) تماما ، فان ( الاغترار ) الدينى بالنفس ، على النحو الذى تبدو عليه اليهودية ، قد يكون أشد خطرا على النفس وعلى الغير ، من الاغترار السياسى .

ولقد وصل هذا الاغترار اليهودى بالنفس ، الى الحد الذى تصور فيه اليهود ، أن هذا ( الانهيـار ) المحيط بهم .. انما هو النصر كل النصر لهم .

وعلى ( مائدة ) النصر ، التى راح اليهود يحلمون بها .. راحوا ينتظرون ( المسيح ) ، الذى سيقودهم الى اتمام هذا النصر .

وعلى ( طريق ) المسيح المنتظر .. انقسم اليهود ، فرقا وأحزابا ، و « طوائف مختلفة ، لكل منها مذهبه ، فى انتظار المسـيح ، المخلص الموعود » .

« ونكتفى من الطوائف الدينيـة ، التى كانت معروفة فى عصر الميلاد ، بخمس منها ، وهى طوائف الصدوقيين ، والفريسيين ، والآسيين ، والغلاة ، والسامريين » .

« فالصدوقيون ، هم فى دعواهم ، أتباع (صدوق) وأسرته ، الذين تواترت الروايات ، بأنهـم كانوا يتـولون الكهـانة ، فى عهـد داود وسليمان .

وكانت طائفتهم مهمة ، بمراكز أصحابها ، لأنهم على الجملة ، أنصار المحافظة والاستقرار ، وأصحاب الوجاهة والثراء .. » .

« وقد كانت الحملة على السـيد المسيح ، بقيادة اثنين من كبار الكهنة الصدوقيين ، وهما (حنانيا) و (قيافا) — ولم يكن فى ذلك عجب ، لأن الصدوقيين جميعا يحافظون على سلطان الهيكل ، ويحافظـون على النظام القائم ، ولايستريحون الى الثورة والانقلاب » .

« وتقابل الصدوقيين طائفة أخرى ، هى طائفة الفريسيين ، وهى أقوى من الطائفة الصدوقية ، بكثرة العدد ، وشيوع المبادىء والآراء ، وحسن السمعة بين سواد الشعب ، وعلية القوم ، الذين لا يخالطون الأجانب ، وان لم يكن بين أفرادها كثيرون ، فى مرتبة الرؤساء والوجهاء » . وقد كانوا هم الذين « يثورون على السلطان (الرسمى) ، حيث كان ، فى الهيكل ، أو فى المراجع الأجنبية » .

« واذا وصف الصدوقيون على الاجمال ، بأنهم طبقة ( الأرستقراطيين ) ، فالذين يستحقون وصف الديمقراطيين ، دون غيرهم من طوائف اليهود ، فى ذلك العهد ، هم الفريسيون .. » .

أما « الطائفة الثالثة » ، فهى « طائفة الآسيين ، أو الأسينيين » . « ومصدر قوتهم ، صرامة العقيدة ، وتنظيم الخطة » . « وكانت الرهبانية غالبة عليهم ، الا من أذن له بالزواج ، ليعفى من قيود النسك والبتولة » .

« ولا يبعد أن يكون الغلاة ، أوالجليليون ، أتباع يهوذا الجليلى ، فرقة متطرفة ، من فرق الآسيين ، لأنهم يسلكون مسلكهم ، فى التقشف والقناعة ، ويزيدون عليهم ، بالحض على العمل ، لتحقيق النبوءات ، وتقريب يوم الخلاص » .

« والطائفة السامرية ، خليط من اليهود والآشوريين ، كانوا يقيمون فى مملكة اسرائيل القديمة » .

« ومن المحقق ، أن هؤلاء السامريين ، كان لهم شأن ، فى تطور الفكرة المسيحية ، أو فكرة الخلاص المنتظر ، على يد الرسول الموعود » .

« ولم تخل البلاد جميعا — مع هذا — من أناس هنا وهناك ، يئسوا من جميع الطوائف والنحل ، واعتزلوا الدنيا ، وعاشوا فى الصوامع ،

بمعزل عن العمران .. » (١) .

وهكذا ، تطرقت المادية الغليظة ، التى أفقدت الانسان آدميته، وأفقدته مع الآمية عقله .. تطرقت الى اليهودية كدين ، فقد « تحجرت الديانة اليهودية ، واستحالت طقوسا جامدة ، لا حياة فيها ، ومظاهر خاوية ، لا روح فيها » (٢) — فعلى ( مذبحها ) ، تفرق اليهود أنفسهم ، شيعا وأحزابا ، وفرقا ، كل منها يريد أن يستأثر لنفسه ، ( بالدنيا ) التى تصورها مقبلة .. وكل منها يرسم طريقه الى هذا الاستئثار ، بما يتفق ومكانته فى قومه ، وامكانياته المادية المتاحة ، من مال ومركز ونفوذ .

وكانت حال اليهود هذه بالذات ، مما يستدعى ( مسيحا ) فعلا ، لا ليأتى لهم بالدنيا ، التى يحلمون بها ، والتى كانت من أسباب تفرقهم ، بل ليأتى لهم بالخلاص من أنفسهم ، التى ( عششت ) هذه الدنيا فيها .. فخربتها .

ولم يكن غريبا ، أن تتجه دعوة المسيح اليهم ، لا الى غيرهم ، على حد قوله لتلاميذه :

— « الى طريق أمم لا تمضوا ، والى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى ، الى خراف بيت اسرائيل الضالة » (٣) .

ولم يكن غريبا كذلك ، أن يكون هدفه الأول ، هو أن يجمع هؤلاء اليهود المتفرقين ، على طريق واحد — هو طريق الحق ، على حد ما ينسبه اليه متى ، بعد أن يئس من تحقيق هدفه هذا ، موجها خطابه الى أورشليم — عاصمتهم :

---

(١) عباس محمود العقاد : حياة المسيح ، فى التاريخ ، وكشوف العصر الحديث — رقم (٢٠٢) من ( كتاب الهلال ) — يناير ١٩٦٨ ، ص ٤٢ — ٥٢ .

(٢) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الاسلام — الطبعة الثالثة — مطبعة دار الكتاب العربى — ١٩٥٢ ، ص ٦ .

(٣) انجيل متى — ١ : الاصحاح العاشر : ٥ ، ٦ .

ــ « يا أورشليم ، يا أورشليم • يا قاتلة الأنبياء ، وراجمة المرسلين اليها • كم مرة أردت آن أجمع أولادك ، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ، ولم تريدوا • هو ذا بيتكم ، يترك لكم خرابا » (١) •

ولم يكن غريبا ــ أخيرا ــ أن يقرر أنه لم يأت ليهدم ما بناه السابقون ، بل ليكمله ، ويعيد اليه رونقه وبهاءه :

ــ « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء • ما جئت لأنقض ، بل لأكمل • فانى الحق أقول لكم ، الى أن تزول السماء والأرض ، لا يزول حرف واحد ، أو نقطة واحدة من الناموس ، حتى يكون الكل » (٢) •

ولكن السيد المسيح ، لم يجد صدا من أحد ، كذلك الصد الذى رآه من هؤلاء اليهود ــ مع أنه واحد منهم ــ بفرقهم المختلفة • ولذلك نجده يتجه الى الشعب اليهودى كله باللوم والعتاب والتقريع :

ــ وحينئذ وبخ يسوع الشعب بأشد عنف ، لأنهم نسوا كلام الله ، وأسلموا أنفسهم للغرور فقط • ووبخ الكهنة ، لاهمالهم خدمة الله ، ولجشعهم • ووبخ الكتبة ، لأنهم علموا تعاليم فاسدة ، وتركوا شريعة الله • ووبخ العلماء ، لأنهم أبطلوا شريعة الله ، بواسطة تقاليدهم • وأثر كلام يسوع فى الشعب ، حتى أنهم بكوا جميعهم ، من صغيرهم الى كبيرهم ، يستصرخون رحمته ، ويضرعون الى يسوع ، لكى يصلى لأجلهم ، ما خلا كهنتهم ورؤساءهم ، الذين أضمروا فى ذلك اليوم ، العداء ليسوع ، لأنه تكلم هكذا ، ضد الكهنة والكتبة والعلماء ، فصمموا على قتله ، ولكنهم لم ينبسوا بكلمة ، خوفا من الشعب ، الذى

---

(١) العهد الجديد : انجيل متى ــ ١ : الاصحاح الثالث والعشرون : ٣٧ ، ٣٨ •

(٢) العهد الجديد : انجيل متى ــ ١ : الاصحاح الخامس : ١٧، ١٨ •

قبله نبيا من الله » (١) .

وأحيانا يتجه بهذا اللوم والتقريع ، الى فرقة من اليهود بعينها أو أكثر :

— « ويك لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ، لأنكم تبنون قبور الأنبياء ، وتزينون مدافن الصديقين ، وتقولون : لوكنا فيأيام آبائنا لما شاركناهم فى دم الأنبياء . فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء . فاملأوا أنتم مكيال آبائكم . أيها الحيات أولاد الأفاعى : كيف تهربون من دينونة جهنم ؟ » (٢) .

ويرى الشهيد سيد قطب ، أن السيد المسيح ، قد اتجه الى اليهود دون غيرهم ، لأنه « كان للامبراطورية الرومانية ، قوانينها المشهورة ، التى لا تزال ينبوعا للقوانين الأوربية الحديثة ، وكان للمجتمع الرومانى نظمه الوضعية ، ومقوماته الاجتماعية ، فلم تكن المسيحية بحاجة يومئذ — ولا كانت بقادرة يومذاك — أن تضع للدولة الرومانية الوطيدة ، وللمجتمع الرومانى المعقد ، قوانين ونظما وحدودا ، للسير على هداها ، فى الدولة والمجتمع ، بقدر ما كانت محتاجة وقادرة ، على أن تنصرف الى التهذيب الروحى ، والتطهير الوجدانى ، وبقدر ما كانت معنية بنقد الطقوس الجامدة ، والمظاهر الخاوية ، فى شعائر اليهودية ، ورد الروح والحياة ، الى الضمير الاسرائيلى » (٣) .

ومن ثم « تركت المسيحية ( ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله ) ، واتجهت بكليتها ، الى التطهير الروحى والتهذيب الوجدانى ، وصاغت نفسها على

---

(١) انجيل برنابا — ترجمة من الانكليزية : الدكتور خليل سعادة — طبع على نفقة مطبعة المنار ، لصاحبها : السيد محمد رشيد رضا — مكتبة ومصبعة محمد على صبيح وأولاده — القاهرة — ١٩٥٨ : الفصل الثانى عشر : ١٨ — ٢٤ .

(٢) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح الثالث والعشرون : ٢٩ — ٣٣ .

(٣) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الاسلام ( مرجع سابق ) ، ص ٦ ، ٧ .

أساس ، أن ( الدين صلة ما بين العبد والرب ) ، وأن القانون صلة ما بين الفرد والدولة .

وكان هذا منطقيا مع نشـأة المسيحية ، « فى كنف الامبراطورية الرومانية ، وعلى فترة من الديانة اليهودية » ، و « كانت بذلك منطقيـة مع نشأتها فى بيئة خاصة ، منطقية مع حاجة الأمة الاسرائيلية ، التى بعث لها عيسى ، وهى جزء صغير من كيان الدولة الرومانية الكبيرة ، منطقية مع الفترة الموقوتة ، المعدة للمسيحية ، حتى يظهر الدين العالمى الأخير»[1] .

لقد أراد السيد المسيح ، أن يبدأ من ( شىء ) ، يصلح به أحوال الامبراطورية ، الموشكة على الانهيار .. فكان الصد ، على نحو ما سبق ـ ومن ثم انهار البنيان كله ، فقد « ضيعت الجمهورية ، فى سبيل القيصرية ، بل رفعت القيصر الى مقـام الربوبية المعبـودة ، فخلعت على القيصر أوغسطس لقب اله ، وقررت عبادته مع الآلهة ، ورصدت له شـهرا فى السنة ، لا يزال معروفا باسمه ، الى اليوم » .

« وكان القانون والنظام ، فخر رومة الأول ، فضـاع القانون مع السلطان المطلق ، وضاع النظام ، مع التفاوت البعيد ، بين الحـاكمين والمحكومين » [2] .

واذا كان ظهور المسيح ، قـد صار ضرورة ، لانقاذ البشرية من الضـلال الذى ضلته ، على أيدى الاغريق العقل ، والرومان الدولة ، واليهود الدين .. على نحو ما سبق ، فان ظهوره ، منذ البداية ، كان يجب أن يعكس ظروف الزمان والمكان ، فى كل جزئية من جزئياته .. شأن المسيح هنا ، شأن كل نبى من أنبياء الله ، أرسل الى قوم ، قبل المسيح وبعده : على نحو ما رأينا ، فى تقديمنا لهذا الفصل [3] .

وهذا ما سوف نراه ، فى فصول الكتاب التالية .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٨ ، ٩ .

(٢) عباس محمود العقاد : حياة المسيح ، فى التاريخ ، وكشـوف العصر الحديث ( مرجع سابق ) ، ص ٦١ .

(٣) ارجع الى ص ١٧ ، ١٨ من الكتاب .

# الفصل الثانى

## مولده ونشــأته

**تقـــديم :**

فى كتابنا الرابع من كتب السلسلة ، عن ( الانســـان ) ، رأينا أن ( الشخصية الانســانية ) Human Character ، كيان معقــد ، « غاية التعقيد ، ويصعب اخضاعها ـ بتعقيدها هــذا ـ للون من ألوان التحكم أو التوجيه البشريين ، مهما بلغت دقة الأدوات ، المستخدمة فى هــذا التحكم ، أو ذلك التوجيه » (١) .

كما رأينــا أن « الفروق بين الأفراد ، ترجــع الى مجموعتين من العوامل : المجموعة الأولى ، هى الاستعدادات الوراثية ، الكامنة فى الجينات ، والمجموعة الثانية ، هى مجموعة الظروف ، المحيطة بالفرد ، من تغذية وحرارة ومعاملة ووقاية ، وتعليم ، وغير ذلك » (٢) .

ورأينا ـ أخيرا ـ أن السلوك الذى يسلكه الانسان ، فى حيـاته اليومية ، انما « هو ســلوك كلى كتلى معقد ، يخضع لعوامل ، يرثهــا الانسان ، كما يخضع لعوامل احتكاك الانسان ببيئته الخارجية » ، وهو « دليل على نمو كلى معقد ، خضع له الانسان ، من لحظة تكوينه ، الى اللحظة التى سلك فيها هذا النمط المعين من السلوك » (٣) .

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : الانســـان فى الاســـلام ؛ والانســـان المعاصر ـ الكتاب الرابع من سلسلة ( الاســلام وتحديات العصر ) ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ يناير ١٩٧٨ ، ص ٢٦ .

(٢) و . د . وول : التربية والصحة النفسية ـ ترجمة الدكتور ابراهيم حافظ ـ مراجعـــة الدكتور عبد العزيز القوصى ـ رقم (٤٧٧) من ( الالف كتاب ) ـ دار الهلال ، ص ١٧ ، ١٨ .

(٣) الدكتور أحمـــد زكى صالح : علم النفس التربوى ـ الطبعـــة الثامنة ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٦٥ ، ص ٧٠ .

وينطبق على ( أنبياء الله ) عليهم أفضل الصلاة والسلام عنا ، ما ينطبق على غيرهم ، ما داموا « بشرا » ممن خلق الله .. على نحو مارأينا ، فى كتابنا الذى خصصناه لهم ، من كتب السلسلة (١) ، وان كان لأنبياء الله ( وضعيتهم ) الخاصة ، بحكم ( قيادتهم ) للقافلة البشرية ، فى الزمان والمكان الذى نزل فيه النبى .. أو فى كل زمان ومكان .. بالنسبة للاسلام .

واذا كان الفصل الماضى ، قد دار حول ( عصر المسيح ) ، وألقى الضوء على ( الجو العام ) الذى نشأ فيه .. فان المنطقى ، أن ننتقل فى هذا الفصل ، من هذا ( الجو العام ) ، الى ( الجو الخاص ) الذى نشأ فيه .. أو البيئة التى نشأ فيها .. لنرى بصمتها عليه .. واعدادها اياه ، ليتحمل الأمانة ، فى هذا الجو العام ، الذى أرسل اليه .

**منبتــه :**

باحترام بالغ ، يتحدث القرآن الكريم ، عن ( منبت ) المسيح ، عيسى بن مريم ، وعن المحيط الذى نشأ فيه .

انه — فى القرآن الكريم — جو ( روحى ) ( خالص ) ، على النقيض تماما ، من ذلك الجو ( المادى ) ، الغليظ فى ماديته ، المحيط به .. وعلى النقيض من ذلك الجو ( الروحى ) ( المزيف ) ، الذى يمثله بنو اسرائيل ، والذى يجعله التزييف ، أغلظ مما سواه .

ولندع القرآن الكريم ذاته ، يحدثنا عن ذلك ( الجو ) ، فى تلك السورة ، التى خصصها القرآن الكريم لأمه ، وسماها باسمها — سورة ( مريم ) :

— « كهيعص • ذكر رحمة ربك عبده زكريا • اذ نادى ربه نداء خفيا • قال : رب انى وهن العظم منى ، واشتعل الرأس شيبا ، ولم أكن

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : أنبياء الله ، والحياة المعاصرة ( مرجع سابق ) ، ص ٣٣ .

بدعائك رب شقيا . وانى خفت الموالى من ورائى ، وكانت امرأتى عاقرا، فهب لى من لدنك وليا . يرثنى ويرث من آل يعقوب ، واجعله رب رضيا . يا زكريا ، انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ، لم نجعل له من قبل سميا .. يا يحيى خذ الكتاب بقوة ، وآتيناه الحكم صبيا . وحنانا من لدنا وزكاة ، وكان تقيا . وبرا بوالديه ، ولم يكن جبارا عصيا . وسلام عليه يوم ولد ، ويوم يموت ، ويوم يبعث حيا » (١) .

وكان هذا الحديث ، عن يحيى .. التقى .. البار .. حامل لواء السلام ، مع النفس ، ومع الغير .. هو التمهيد الطبيعى ، للحديث عن مريم ابنة عمران .. وهو تمهيد يوضح أن البيئة التى ولد فيها المسيح ، أو نبت منها ، كانت على النقيض تماما ، من ذلك الجو العام ، الذى كان يحيط بهذه البيئة .

لقد ولدت العذراء مريم ، فى « أسرة فقيرة » ، « ولكنها كانت أسرة ممتازة فى قومها ، معروفة بالنسك والعبادة ، والاخلاص لله ، خالق الكون ومبدعه ، متصفة بالطهارة ، وقوة الايمان ، والرزق الحلال ، الذى يأتيها عن طريق كد اليمين ، وعرق الجبين » (٢) .

وكانت هذه الأسرة الفقيرة المؤمنة ، تعيش فى بلدة ( الخليل ) ، وكانت تنتسب الى نبى الله داود ، عليه السلام ، وكان أشهر رجالها ، هو زكريا بن يحيى ( ابن نبى الله يحيى ، المعروف فى العهد الجديد ، بيوحنا المعمدان ) — وكذلك عمران بن ماثان ، والد مريم العذراء .

وكان الرجلان — زكريا وعمران — منذ البداية — ناقمين ، على ما آل اليه أمر بنى اسرائيل ، من انحراف عن خط الهدى ، وسير فى طريق المادية الغليظة .. وكانا « يخرجان فى كل صباح ، الى بيت المقدس ، للصلاة والعبادة ، وحث الناس بالوعظ والارشاد ، وتعليمهم الهداية

---

(١) قرآن كريم : مريم — ١٩ : ١ — ١٥ .
(٢) خليل طاهر ( مرجع سابق ) ، ص ٢٣٩ .

وقواعد الدين وأحكام التوراة والمزامير ، ونهضا يندّدان بالرشوة ، واسراف اليهود فى ابتزاز أموال الناس ، باسم الدين » [1] .

وكانت النتيجة ، أن وصل الرجلان الى مكانة روحية مرموقة ، بين بنى اسرائيل ، فزكريا هبط عليه الوحى ، فى سن التسعين ، وعمران ، صار اماما لأحبار اليهود .

وتمنت زوجة عمران — فى سن الشيخوخة تلك — ولدا ، يملأ عليها حياتها .. تهبه لخدمة بيت الله .. وفرح الشيخ ، بالجنين يتحرك فى بطن زوجته ، ولكن الأجل وافاه ، قبل أن يقذف بالوليد الى العالم ، رحم أمه .. وكان هذا الوليد ، هو : مريم ، ابنة عمران .

وذهبت الأم بمريم ، الى بيت المقدس ، لتفى بالنذر ، فتنافس الأحبار على رعايتها ، حتى كانت من نصيب زكريا ، رئيس الأحبار ، وصديق والدها .

وكفل زكريا مريم ، وهيأ لها — بعد الكبر — مكانا فى المعبد ، وكان يسهر على رعايتها ، وتوفير أسباب الحياة لها فيه ...

ومثلما وهب الله سبحانه ، عمران — على الكبر — ابنته مريم ، وهب زكريا — على الكبر أيضا — ابنه يحيى ، وكان شابا صالحا كأبيه .. مما هيأه لحمل الرسالة مثله .

وفى هذا الجو النقى الطاهر الصالح .. نشأت مريم ابنة عمران ، كما رأينا فى تمهيد القرآن الكريم لمريم ، بهذا الجو العام ، الذى نشأت فيه .

وينتقل القرآن الكريم ، من هذا التقديم ، للجو الذى نشأت فيه مريم .. الى قصة مريم ذاتها :

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٤١ .

— « واذكر فى الكتاب مريم ، اذا انتبذت من أهلها مكانا شرقيا • فاتخذت من دونهم حجابا ، فأرسلنا اليها روحنا ، فتمثل لها بشرا سويا • قالت : انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا • قال : انما أنا رسول ربك، لأهب لك غلاما زكيا • قالت : أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا ؟ قال : كذلك قال ربك : هو على هين ، ولنجعله آية للناس ، ورحمة منا ، وكان أمرا مقضيا » (١) •

وهكذا تكون ( الارادة الالهية ) ، قد أرادت تكريم هذه الأسرة المؤمنة الصالحة — كما يفهم من ظاهر النص القرآنى — بهذا الطفل ( الزكى ) ، الذى يولد ميلادا ( زكيا ) ، لم يتح لغيره من بنى البشر •• وان كانت قد مهدت لهذه الارادة ، بألوان من التكريم للأسرة •• وان لم تصل الى هذه الدرجة •

ويمهد الشهيد سيد قطب ، فى شرحه للسورة ، بالاشارة الى قصة « زكريا ويحيى ، فقصة مريم ومولد عيسى ، فطرف من قصة ابراهيم مع أبيه •• ثم تعقبها اشارات الى النبيين : اسحق ويعقوب ، وموسى وهارون ، واسماعيل ، وادريس ، وآدم ونوح • يستغرق هذا القصص حوالى ثلثى السورة ، ويستهدف اثبات الوحدانية والبعث ، ونفى الولد والشريك ، وبيان منهج المهتدين ، ومنهج الضالين ، من أتباع النبيين •

ومن ثم بعض مشاهد القيامة ، وبعض الجدل مع المنكرين للبعث ••• » (٢) •

ثم ينتقل — مع السورة — من هذا التمهيد ، الى مظاهر تكريم الله

(١) قرآن كريم : مريم — ١٩ : ١٦ — ٢١ •
(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الرابع ( الأجزاء : ١٢ — ١٨ ) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م ، ص ٢٢٩٩ •

سبحانه ، لهذا ( البيت الصالح ) ، متمثلا فى « زكريا » يشكو الى ربه وهن العظم » ، « ويشكو اليه اشتعال الرأس شيبا » و « كلاهما كناية عن الشيخوخة وضعفها » ، و « دعاء زكريا لربه فى ضراعة وخفية » ، « الولى الصالح ، الذى يحسن الوراثة ، ويحسن القيام على تراثه ، وتراث النبوة من آبائه وأجداده » (١) •

و « هنا يأتيه الجواب عن سؤاله : أن هذا هين على الله سهل ، ويذكره بمثل قريب فى نفسه : فى خلقه هو ، وايجاده بعد أن لم يكن ، وهو مثل لكل حى ، ولكل شيء فى هذا الوجود » •انه « ليس فى الخلق هين وصعب على الله • ووسيلة الخلق للصغير والكبير ، وللحقير والجليل، واحدة : كن ، فيكون » (٢) •

وتتحقق ارادة الله سبحانه ، ويولد يحيى لزكريا ، متصفا بكل صفات التقوى والصلاح ، التى طلبها من ربه ، الرجل الصالح زكريا ، لابنه •

ومن ثم تكون هذه القصة ، ممهدة بطبيعتها لقصة مريم العذراء •• وابنها عيسى •

وهى ممهدة لها ، لأن فيها ( وجه عجب ) ، على حد تعبير الشهيد سيد قطب ، « ووجه العجب فيها ، هو ولادة العاقر ، من بعلها الشيخ ، الى الثانية ، ووجه العجب فيها ، هو ولادة العذراء من غير بعل ! وهى أعجب وأغرب •

واذا نحن تجاوزنا حادث خلق الانسان أصلا ، وانشائه على هذه الصورة ، فان حادث ولادة عيسى بن مريم ، أعجب ما شهدته البشرية ، فى تاريخها كله ، ويكون حادثا فذا ، لا نظير له ، من قبله ، ولا من بعده •

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٣٠٢ •
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣٠٣ •

والبشرية لم تشهد خلق نفسها ، وهو الحادث العجيب الضخم فى تاريخها ! لم تشهد خلق الانسان الأول ، من غير أب وأم ، وقد مضت القرون بعد ذلك الحادث ، فشاءت الحكمة الالهية ، أن تبرز العجيبة الثانية ، فى مولد عيسى ، من غير أب ، على غير السنة التى جرت ، منذ وجد الانسان ، على هذه الأرض ، ليشهدها البشر ، ثم تظل فى سجل الحياة الانسانية ، بارزة فذة ، تتلفت اليها الأجيال ، ان عز عليها أن تتلفت الى العجيبة الأولى ، التى لم يشهدها انسان .

لقد جرت سنة الله ، التى وضعها لامتداد الحياة بالتناسل ، من ذكر وأنثى ، فى جميع الفصائل والأنواع ، بلا استثناء ، حتى المخلوقات ، التى لا يوجد فيها ذكر وأنثى متميزان ، تتجمع فى الفرد الواحد منها خلايا التذكير والتأنيث — جرت هذه السنة أحقابا طويلة ، حتى استقر فى تصور البشرية ، أن هذه الطريقة الوحيدة ، ونسوا الحادث الأول ، حادث وجود الانسان ، لأنه خارج عن القياس ، فأراد الله أن يضرب لهم مثل عيسى بن مريم — عليه السلام — ليذكرهم بحرية القدرة ، وطلاقة الارادة ، وأنها لا تحتبس داخل النواميس التى تختارها » (١) .

ومن ثم تكون قصة زكريا وابنه يحيى ، تكريما للبيت الصالح ، الذى ينتميان اليه .

وتكون قصة مريم ، وابنها عيسى ، مزيدا من هذا التكريم .. لهذا البيت الصالح :

— « واذ قالت الملائكة : يا مريم ، ان الله اصطفاك وطهرك ، واصطفاك على نساء العالمين . يا مريم اقنتى لربك ، واسجدي واركعى مع الراكعين » (٢) .

ولكنه تكريم ، لا يألفه ( الذوق الانسانى ) ، الذى ألف ناموسا معينا للحمل والولادة ، قرره الله سبحانه وحده ، خاصة فى عصرها ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٣٠٤ ، ٢٣٠٥ .
(٢) قرآن كريم : آل عمران — ٣ : ٤٢ ، ٤٣ .

الذي طغت فيه المادية ، وطغى المنطق والفلسفة ، وكان لابد فيه من سبب لكل مسبب — ولذلك يتم القرآن الكريم القصة — قصة مريم :

— « فحملته ، فانتبذت به مكانا قصيا • فأجاءها المخاض الى جذع النخلة ، قالت : يا ليتنى مت قبل هذا ، وكنت نسيا منسيا • فناداها من تحتها ألا تحزنى ، قد جعل ربك تحتك سريا • وهزى اليك بجذع النخلة ، تساقط عليك رطبا جنيا • فكلى واشربى ، وقرى عينا • فاما ترين من البشر أحدا فقولى : انى نذرت للرحمن صوما ، فلن أكلم اليوم انسيا » (١) •

وهى آية أخرى من آيات الله ، يقدمها الحق سبحانه ، لمريم الانسانة •• المرتاعة ، بسبب خروجها على المألوف ، برغم أيمانها العميق بطهرها ، وبأن الله لن يخذلها •• آية فى الطبيعة ، حيث يتساقط الرطب من النخل ، فى غير وقته المألوف ، فيزيد اطمئنانها ، وتطمئن الى رعاية الله لها ، وتكريمه اياها •• بهذا الوليد ، الذى وضعته •

ومن قبل ، كانت الرعاية الالهية الى جانبها ،وهى منقطعة للعبادة فى المعبد •• اذ كان رزقها يأتيها ، من حيث لا تدرى :

— « فتقبلها ربها بقبول حسن ، وأنبتها نباتا حسنا ، وكفلها زكريا ، كلما دخل عليها زكريا المحراب ، وجد عندها رزقا ، قال : يا مريم ، أنى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » (٢) •

ولكن مريم ، الانسانة المرتاعة ، من هذا الموقف الجديد •• كان يمكن أن تنسى الموقف السابق •

---

(١) قرآن كريم : مريم — ١٩ : ٢٢ — ٢٦ •
(٢) قرآن كريم : آل عمران — ٣ : ٣٧ •

وما أن تتذكر ، حتى تخرج لمقابلة قومها بشجاعة . وثقة فى تأييد الله لها :

— « فأتت به قومها تحمله ، قالوا : يا مريم ، لقد جئت شيئا فريا . يا أخت هارون ، ما كان أبوك امرأ سوء ، وما كانت أمك بغيا . فأشارت اليه ، قالوا : كيف نكلم من كان فى المهد صبيا ؟ قال : انى عبد الله ، آتانى الكتاب ، وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا أينما كنت ، وأوصانى بالصلاة والزكاة ، ما دمت حيا .. » (١) .

وبهذا التسلسل الرائع ، تتم أحداث القصة ، وتصل الى منتهاها ، فكلام طفل وليد ، أمر غير مألوف ، ولكن هذا الأمر غير المألوف ، ينضم الى الأمور غير المألوفة الأخرى التى سبقته ، ليكون لهذه القصة فى النهاية ، مغزى ، وهذا المغزى ، هو أن الله سبحانه وتعالى ، قادر ؛ لا حدود لقدرته .

وهى قدرة ، تضع قدرة ( العقل ) اليونانى فى ابداعه ، وقدرة ( التنظيم ) الرومانى فى اتقانه ، وقدرة ( الضمير ) اليهودى على نسج الخرافة .. حيث يجب أن توضع ، ضمن هذا الناموس الكونى كله .

ان الانسان لايرفعه عقله ، برغم أهمية العقل له .. ولايرفعه ما أتيح له من مال ونفوذ ، برغم أهمية المال والنفوذ له .. ولا يرفعه فكره وتدبيره وتخطيطه ، برغم أهمية ذلك كله له .. وانما يرفعه — قبل ذلك كله وبعده — تقوى الله ، واهب العقل ، والمال والنفوذ ، والمكر والتدبير والتخطيط .. والا فبأى منطق كان تكريم هذا البيت الصالح .. وعلى رأسه : مريم ابنة عمران ؟

---

(١) قرآن كريم : مريم — ١٩ : ٢٧ — ٣١ .

**مولـده :**

كانت مريم العذراء ، « قد جاوزت الخامســة عشرة من عمرها . وبلغت مبلغ النساء » (١) ، عندما حدثت لها هذه القصة .. العجيبة .

وكانت مريم قبلها مخطوبة لابن عمها ، يوســف النجار بن يعقوب بن ماثان ، وكان رجلا صالحا .

ولم ترد فى القرآن الكريم اشارة الى يوسف ، ولا الى الخطبة ، ولكنها وردت مقتضبة فى الأناجيل المختلفة ، بصورة أو بأخرى . فلوقا يوردها فى انجيله ، على هذا النحو :

ــ وفى الشــهر الســادس ، أرسل جبرائيل الملاك من الله ، الى مدينة من الجليل ، اســمها ناصرة ، الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود ، اسمه يوسف . واسم العــذراء مريم . فدخل اليها الملاك ، وقال : ســـلام لك أيتها المنعم عليها . الرب معك . مباركة أنت فى النســاء . فلما رأته اضطربت من كلامه ، وفكرت : ما عسى أن تكون هذه التحية ؟ فقال لها الملاك : لا تخافى يا مريم ، لأنك قد وجدت نعمة عنــد الله ، وها أنت ستحبلين وتلدين ابنــا ، وتسـمينه يســوع . هذا يكون عظيما ، وابن العلى يدعى ، ويعطيه الرب الاله ، كرسى داود أبيه . ويملك على بيت يعقوب الى الأبد ، ولا يكون لملكه نهاية » (٢) .

ويعرض متى القصة فى انجيله ، على النحو التالى :

ــ « أما ولادة يسوع المسيح ، فكانت هكذا . لمــا كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف ، قبل أن يجتمعا ، وجدت حبلى من الروح القدس . فيوسف رجلها ، اذ كان بارا ، ولم يشأ أن يشهرها ، أراد تخليتها سرا . ولكن فيما هو متفكر فى هذه الأمور ، اذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم ، قائلا : يا يوسف بن داود ، لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك . لأن الذى حبل به فيها ، هو من الروح القدس . فستلد ولدا ، وتدعو اسمه يسوع ، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم . وهذا كله كان لكى يتم ما قيل من الرب ،

---

(١) خليل طاهر ( مرجع سابق ) ، ص ٢٥٥ .
(٢) العهد الجديد : انجيل لوقا ــ ٣ : الاصحاح الأول : ٢٦ ــ ٣٣ .

بالنبى القائل : هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ، ويدعون اسمه عمانوئيل، الذى تفسيره : الله معنا . فلما استيقظ يوسف من النوم ، فعل كما أمره ملاك الرب ، وأخذ امرأته . ولم يعرفها ، حتى ولدت ابنها البكر ، ودعا اسمه يسوع » (١) .

ولعل مقارنة ما يورده متى من أحداث وتفصيلات ، بما يورده لوقا .. تبين : الى أى مدى كان القرآن بليغا بالفعل ، عندما ترك هذه التفصيلات .. لأنها لا تعنى شيئا ، بالاضافة الى أنها يمكن أن تدعو الى تساؤلات كثيرة حولها ، لا يمكن أن تجد لها اجابة .

ان هدف القرآن الكريم من القصة ، عندما يعرضها ، هو بيان قدرة الله سبحانه .. بينما التفصيلات المملة ، والمخلة ، والمتناقضة أحيانا والمثيرة للدهشة كثيرا ، هى هدف الأناجيل ، لأسباب لا نجد لها تفسيرا .

ولقد وقف القرآن الكريم بالفعل ، عند بعض التفصيلات ، فى سياق عرضه للقصة ، سواء فى سورة آل عمران ، وفى سورة مريم وفى غيرهما من السور ، التى أشارت الى هذه القصة ، لمناسبة من المناسبات، وهى كثيرة فيه ، ولكن التفصيلات التى أتى بها فى كل مناسبة ، لم تكن تفصيلات كتلك التى رأيناها فى انجيل متى ، أو فى انجيل لوقا — تفصيلات لمجرد التفصيل وحده ، بلا هدف محدد واضح .. وانما أتت هذه التفصيلات القرآنية — حيثما أتت — لتحقق هدفا محددا ، يحدده المساق ، الذى ترد فيه هذه التفصيلات . وغالبا ما يكون هدف هذه التفصيلات ، هو اثبات قدرة الله سبحانه ، وترتيب أمور معينة على هذا الاثبات ، يطلبها الله من عباده ، المؤمنين به .

وعلى أية حال ، فان مولد طفل ، على هذه الصورة العجيبة ، ليس بالأمر العادى ، ومن ثم كان لابد أن تتناقله الألسنة ، جاهرة مرة وهامسة مرات .

ثم ان كلام طفل فى المهد ، على هذه الصورة العجيبة أيضا ، ليس

(١) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح الأول : ١٨ — ٢٥ .

بالأمر المألوف فى حياة الناس ، ومن ثم كان لابد أن تتناقله الألسنة، ويكون موضوعا طيبا للحديث بين الناس • ومن ثم « صارت مريم حديث الناس، فى دورهم وفى أنديتهم ، وذاع أمر ابنها ، فى كل القرى ، والبلاد المجاورة لها ، وانتشر خبر ما نطق به من حكمة وبلاغة ، أكدت للناس ، أنه النبى المنتظر ، صاحب الشأن الخطير ، فأكبروا شأنه ، وتوافدوا من كل صوب، على دار زكريا ، لرؤيته والتبرك به » (١) •

ولندع متى يتم لنا هذه القصة ، ويبين لنا أبعادها :

— ولما ولد يسوع ، فى بيت لحم اليهودية ، فى أيام هيرودس الملك ، اذا مجوس من الشرق قد جاءوا الى أورشليم ، قائلين : أين هو المولود ، ملك اليهود ؟ فاننا رأينا نجمه فى المشرق ، وأتينا لنسجد له • فلما سمع هيرودس الملك ، اضطرب ، وجميع أورشليم معه • فجمع كل رؤساء الكهنة ، وكتبة الشعب ، وسألهم : أين يولد المسيح ؟ فقالوا له : فى بيت لحم اليهودية ، لأنه هكذا مكتوب بالنبى . وأنت يا بيت لحم ، أرض يهوذا ، لست الصغرى بين رؤساء يهوذا ، لأن منك يخرج مدبر ، يرعى شعبى اسرائيل •

حينئذ دعا هيرودس المجوس سرا ، وتحقق منهم زمان النجم الذى ظهر • ثم أرسلهم الى بيت لحم ، وقال : اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبى • ومتى وجدتموه فأخبرونى ، لكى آتى أنا أيضا ، وأسجد له • فلما سمعوا من الملك ، ذهبوا ، واذا النجم الذى رأوه فى المشرق يتقدمهم ، حتى جاء ووقف فوق ، حيث كان الصبى • فلما رأوا النجم ، فرحوا فرحا عظيما جدا • وأتوا الى البيت ، ورأوا الصبى مع مريم أمه ، فخروا وسجدوا له • ثم فتحوا كنوزهم ، وقدموا له هدايا ذهبا ولبانا ومرا • ثم اذ أوحى اليهم فى حلم ، أن لا يرجعوا الى هيرودس ، انصرفوا فى طريق أخرى ، الى كورتهم •

---

(١) خليل طاهر ( مرجع سابق ) ، ص ٢٦٨ .

وبعد ما انصرفوا ، اذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم ، قائلا : قم وخذ الصبى وأمه ، واهرب الى مصر ، وكن هناك ، حتى أقول لك ، لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه • فقام وأخذ الصبى وأمه ليلا ، وانصرف الى مصر • وكان هناك الى وفاة هيرودس • لكى يتم ما قيل من الرب ، بالنبى القائل : من مصر دعوت ابنى » •

« فلما مات هيرودس ، اذا ملاك الرب قد ظهر فى حلم ليوسف فى مصر، قائلا : قم وخذ الصبى وأمه ، واذهب الى أرض اسرائيل ، لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبى • فقال وأخذ الصبى وأمه وجاء الى أرض اسرائيل • ولكن لما سمع أن أرخيلاوس يملك على اليهودية، عوضا عن هيرودس أبيه ، خاف أن يذهب الى هناك • واذ أوحى اليه فى حلم ، انصرف الى نواحى الجليل • وأتى وسكن فى مدينة ، يقال لها ناصرة • لكى يتم ما قيل بالأنبياء : انه سيدعى ناصريا » (١) •

وهكذا تحوط العناية الالهية هذا النبى طفلا ، وتحميه من أعدائه والمتربصين به •• لتتم معجزة الله فيه •

ولا ترد تفصيلات هذه الصورة فى القرآن الكريم ، على النحو الذى وردت به فى الأناجيل ، لأن القرآن الكريم لا يعنيه — فى قصصه — التفصيلات ، الا بقدر ما تساهم به من دور ، فى اظهار هذه القدرة الالهية ؛ على نحو ما سبق •

وهى نفس القدرة الالهية ، التى ظهرت فى حماية الخليل ابراهيم من النار ، والمحافظة على كليم الله موسى فى اليم ، وفى حفظ يوسف فى الجب، وفى كل زمان ومكان ، كانت هذه القدرة تظهر فيه ، وفق ارادة الهية عليا •

---

(١) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح الثانى : ١ — ٢٣ .

وهكذا شاءت الارادة الالهية ، أن تنكشف مؤامرة هيرودس لمريم، وأن ترحل به من فلسطين الى مصر ، وحدثت ثورة شعبية ضد هيرودس . استطاع قمعها بقوة السلاح • وفى أسيوط مصر ، نشأ السيد المسيح ، بين أقرانه من الأطفال ، فى حضانة أمه ورعايتها ، وفى حراسة يوسف النجار ، وفى ضيافة أحد أثرياء مصر ( الدهقان ) ، واستمرت هذه الاقامة هناك ، عشر سنوات تقريبا ، عادت بعدها مريم ويوسف والمسيح ، الى فلسطين •

وتكاد الأناجيل كلها ، أن تتفق على اغفال قصة العودة هذه ، وتفصيلاتها ، على غير عادتها ، لتنقلنا فجأة ، الى حياة السيد المسيح ، بدءا من سن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة ، حيث عاد من مصر الى فلسطين •

**نشأته :**

بعد عودة السيد المسيح ، من مصر الى فلسطين ، فى الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمره ، بدأت (النزعة الروحية) فيه تظهر • وقد تكون جذور هذه النزعة قد نبتت عنده فى مصر ، ولكن الأخبار عن حياته فى مصر قليلة ، ربما لأن الأسرة كانت تعيش فى مصر هاربة ، لا يدرى أحد عنها شيئا •

ولكن الغريب ، أن الأناجيل ، التى رأيناها من قبل ، تفتش فى عقل يوسف النجار وقلبه ، قبل حمل مريم العذراء ، وبعد هذا الحمل ، وتنام مع مريم ومع يوسف ، لتعيش أحداث ما رأيناه فى نومهما من رؤى ، فتحرص على سردها بتفصيلاتها [1] — تقف هنا عاجزة ، لا تستطيع أن تعرف : أين كانت الأسرة تختبىء ؟ وكيف كانت تعيش ؟ وربما أغفلت ذلك كله ، لحاجة فى النفس ، لا تريدنا أن نعرفها •

---

(١) ارجع الى ص ٦٠ — ٦٣ من الكتاب •

وقد بدت هذه ( النزعة الروحية ) عند السيد المسيح واضحة ، فى تعلقه الشديد بالمعبد ، وحرصه على سماع دروسه ومواعظه ، رغم صغر سنه ( الثانية عشرة أو الثالثة عشرة ) . وهاهو لوقا يحكى لنا فى انجيله : كيف أنه ذهب مع أمه ، وخطيبها يوسف النجار ، الى أورشليم كالعادة ، فى عيد الفصح ( اليهودى ) ، فانسل منهما ، وعاد الى المعبد ، « ولما لم يجداه ، رجعا الى أورشليم يطلبانه . وبعد ثلاثة أيام ، وجداه فى الهيكل ، جالسا فى وسط المعلمين ، يسمعهم ويسألهم . وكل الذين سمعوه ، بهتوا من فهمه وأجوبته » (١) .

ثم تنتقل الأناجيل بعد ذلك ، الى قصة ( تعميده ) ، فى سن الخامسة عشرة ، وتروى القصة على النحو التالى ، كما نراها فى انجيل متى :

— « وفى تلك الأيام ، جاء يوحنا المعمدان ( وهو نبى الله يحيى بن زكريا ، عليهما السلام ، كما سبق ) ، يكرز فى برية اليهودية ، قائلا : توبوا ، لأنه قد اقترب ملكوت السموات » . « فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين ، يأتون الى معموديته ، قال لهم : يا أولاد الأفاعى ، من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى ؟ فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة » . « أنا أعمدكم بماء للتوبة ، ولكن الذى يأتى بعدى ، هو أقوى منى . الذى لست أهلا أن أحمل حذاءه . هو سيعمدكم بالروح القدس ونار » .

« حينئذ جاء يسوع من الجليل الى الأردن ، الى يوحنا ، ليعتمد منه . ولكن يوحنا منعه قائلا : أنا محتاج أن أعتمد منك ، وأنت تأتى الى ؟ فأجاب يسوع وقال له : اسمح الآن . لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر . حينئذ سمح له . فلما اعتمد يسوع ، صعد للوقت من الماء . واذا السموات قد انفتحت له ، فرأى روح الله نازلا مثل حمامة ، وآتيا عليه . وصوت من السماء قائلا : هذا هو ابنى الحبيب ، الذى به سررت » (٢) .

---

(١) العهد الجديد : انجيل لوقا — ٣ : الاصحاح الثانى : ٤٥—٤٧ .
(٢) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح الثالث : ١—١٧ .

ولا نريد أن نناقش هنا قضية ( ابن الله الحبيب ، الذى سر به ) ، وانما نرجىء مناقشتها الى حينها ، حتى لا نخرج عن موضـوعنا ، الذى نحن بصدده هنا .

اى أن السيد المسيح ، منذ عودته من مصر ، رغم حداثة سـنة ، لم يكن مهتما بما يهتم به الأطفال فى سنه ، من لعب ولهو ، وانما كان مهتما بأمر آخر ، هو التعلم ، والمناقشة فى أمور الدين ، والتعبد .

وهى عبقرية تسبق سنه ، ولكنها ليست غريبة عليه ، فقد كلم الناس ( فى المهد صبيا ) .

وهى عبقرية لا تدل على ألوهية ، وانما تدل على قدرة الله وكفى — تلك القدرة ، التى ظهرت فى خلقه ، على غير الناموس ، الذى خلق عليه غيره .

وهى قدرة ظهرت فى كل مرحلة من مراحل حياته ، ابتداء من مولده.. بل انها ظهرت قبله ، مع أمه مريم ، فى المحراب ، عندما كانت تتعبد .

ولا تكاد الأناجيل تقدم لنا تفصيلات ، تتصل بحياته ، قبل تكليفه بالرسالة ، فى سن الثلاثين . وتتفق الأناجيل ، على أنه — بعد تعميده — « أصعد يسوع الى البرية من الروح ، ليجرب من ابليس . فبعد ما صام أربعين نهارا ، وأربعين ليلة ، جاع أخيرا . فتقدم اليه المجرب وقال له : ان كنت ابن الله ، فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا . فأجاب وقال: مكتوب، ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله . ثم أخذه ابليس الى المدينة المقدسة ، وأوقفه على جناح الهيكل ، وقال له : ان كنت ابن الله ، فاطرح نفسك الى أسـفل ، لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك ، فعلى أياديهم يحملونك ، لكى لا تصدم بحجر رجلك . قال يسوع : مكتوب أيضا ، لا تجرب الرب الهك .... ثم تركه ابليس، واذا ملائكة قـد جاءت ، فصارت تخدمه » (١) .

---

(١) العهد الجديد : انجيل متي — ١ : الاصحاح الرابع : ١ — ١١ .

**تكليفه بالرسالة ومعجزاته :**

لا يستطيع الانسان أن يفهم من الأناجيـل ، ما اذا كان السـيد المسيح ، قد كلف بالرسالة ، بمجرد تعميـده ، فى سن الخامسة عشرة ، أم أنه كلف بالرسالة ، بعد ذلك بقليل .. أو كثير .

ذلك أن انجيل يوحنا يورد أن يوحنا المعمدان ( سيدنا يحيى عليه السلام ) ، قد انتهت مهمته ، بتعميده للسيد المسيح :

— « وهذه هى شهادة يوحنا ، حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ، ليسألوه : من أنت ؟ فاعترف ولم ينكر ، وأقر أنى لست أنا المسيح ... قال : أنا صـوت صارخ فى البرية . قوموا طريق الرب ، كما قال أشعياء النبى . وكان المرسلون من الفريسيين . فسألوه وقالوا له : فما بالك تعمد ، ان كنت لست المسيح ، ولا ايليا ولا النبى ؟ أجابهم يوحنا قائلا : أنا أعمد بماء ، ولكن فى وسطكم قائم ، الذى لستم تعرفونه . هـو الذى يأتى بعدى ، الذى صار قدامى ، الذى لست بمستحق أن أحل سيور حذائه » .

« وفى الغد نظر يوحنا يسوع مقبلا اليه ، فقال : هوذا حمل الله ، الذى يرفع خطية العالم .... » .

« وفى الغد أيضا ، كان يوحنا واقفا ، هو واثنـان من تلاميذه ، فنظر الى يسوع ماشيا ، فقال : هوذا حمل الله . فسمعه التلميذان يتكلم ، فتبعا يسوع » (١) .

هذا ، بينما يورد متى أن مهمة المسـيح لم تبدأ ، الا بعـد وفاة نبى الله يحيى :

— « ولمـا سمع يسوع ، أن يوحنا أسلم ، انصرف الى الجليل . وترك الناصرة ، وأتى فسكن فى كفر ناحوم التى عند البحر ... من ذلك

---

(١) العهد الجديد : انجيل يوحنا — ٤ : الاصحاح الأول : ١٩ — ٣٧ .

الزمان ، ابتدأ يسوع يكرز ، ويقول : توبوا ، لأن قد اقترب ملكوت السموات » (١) .

هـذا ، فى الوقت الذى يورد فيه لوقا ، أن مهمة السـيد المسيح قد بدأت بمجرد تجربته مع الشيطان :

ــ « ولمـا أكمل ابليس كل تجربة ، فارقة الى حين .

ورجع يسوع بقوة الروح الى الجليل ، وخرج خبر عنه فى جميع الكورة المحيطة . وكان يعلم فى مجامعهم ، ممجدا من الجميع .

وجاء الى الناصرة ، حيث كان قد تربى ، ودخل المجمع حسـب عادته يوم السبت ، وقام ليقرأ ... ثم طوى السفر وسلمه الى الخادم ، وجلس . وجميع الذين فى المجمع ، كانت عيونهم شاخصة اليه . فابتدأ يقول لهم ... » (٢) .

ولو أننا أخذنا بالرأى القائل ، بأنه قد كلف بالرسالة ، بمجرد تعميده، لقلنا : انه قد كلف بالرسالة ، فى سن الخامسة عشرة ، ولو أخذنا بالرأى الآخر ، لقلنا : انه كلف بهـا فى سن الثلاثين ، على حـد ما يراه لوقا ذاته (٣) ، وعلى حد ما يراه المؤرخون ، ربما متأثرين بوجهة نظر لوقا تلك (٤) .

وفى هذه الحالة الأخيرة ، تبقى خمس عشرة سـنة من حيـاته ، لا نعرف عنها شيئا .

وعلى كل حال ، فان فى حياة المسيح وأمه ، من الثغرات ، ما جعل الكثيرين من المفكرين ، يشكون فى أن المسيح كان شخصية حقيقية ــ يزيد من شكهم هـذا ، ذلك الخيال الجامح ، الذى تضفيه الأناجيل ، على جوانب محددة من حياته ، وذلك التناقض ، الذى تقع فيه الأناجيل ،

(١) العهد الجديد : انجيل متى ــ ١ : الاصحاح الرابع : ١٢ ــ ١٧ .
(٢) العهد الجديد : انجيل لوقا ــ ٣ : الاصحاح الرابع : ١٣ ــ ٢١ .
(٣) العهد الجديد : انجيل لوقا ــ ٣ : الاصحاح الثالث : ٢٢ .
(٤) خليل طاهر ( مرجع سابق ) ، ص ٢٨٩ .

برغم ما حدث فيها من ( غربلة ) ، أدت ألى استبعاد بعضها ، والاعتراف ببعضها الآخر — على نحو ما سنرى فيما بعد .

ويبدأ ول ديورانت شكه هذا ، بذلك السؤال : « هل وجد المسيح حقا ؟ أو أن قصة حياة مؤسس المسيحية ، وثمرة أحزان البشرية ، وخيالها ، وآمالها — أسطورة من الأساطير ، شبيهة بخرافات كرشنا ، وأوزريس ، وأتيس ، وأدنيس ، وديونيشس ، ومثراس ؟ » .

ويجيب ول ديورانت على تساؤله بقوله : « لقد كان بولنجبروك والملتفون حوله ، وهم جماعة ارتاع لأفكارهم ، فلتير نفسه ، يقولون فى مجالسهم الخاصة : ان المسيح ، قد لا يكون له وجود على الاطلاق » .

« ولقد كان من أعظم ميادين نشاط العقل الانسانى فى العصر الحديث ، وأبعدها أثرا ، ميدان ( النقد الأعلى ) للكتاب المقدس — التهجم الشديد على صحته ، وصدق روايته ، تقابله جهود قوية ، لاثبات صحة الأسس التاريخية للدين المسيحى ، وربما أدت هذه البحوث على مر الأيام ، الى ثورة فى التفكير ، لا تقل شأنا ، عن الثورة التى أحدثتها المسيحية نفسها » (١) .

وما أن بدأ المسيح — على أية حال — يدعو الى الله ، حتى بدأت معه ( المعجزات ) ... لتتم بها معجزة خلقه ذاتها ... ومعجزات البيت الصالح ، الذى نشأ فيه ، على نحو ما رأيناها فى الفصل الأول .

ولكن الأناجيل تجد فى هذه ( المعجزات ) ، مادة خصبة ، تطغى على غيرها من المواد .

ومما تجدر الاشارة اليه ، أن القرآن الكريم ، قد أشار الى هذه

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث : من المجلد الثالث (١١) ( قيصر والمسيح ، أو الحضارة الرومانية ) ( مرجع سابق ) ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

المعجزات ، فى مواضع مختلفة منه ، وبمناسبات مختلفة ، كانت المناسبة ـ فيها ـ هى التى تحدد المعجزة التى يشير اليها ، وكيفية عرض هذه المعجزة .

وقد يعرض القرآن الكريم ، هذه المعجزات ، مجتمعة ، اذا كان الأمر يستدعي عرضها هكذا ، كما فى قوله سبحانه :

ـ « اذ قال الله : يا عيسى بن مريم ، اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك ، اذ أيدتك بروح القدس ، تكلم الناس فى المهد وكهلا ، واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراه والأنجيل ، واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى ، فتنفخ فيهـا فتكون طيرا باذنى ، وتبرىء الأكمه والأبرص باذنى ، واذ تخرج الموتى باذنى ، واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات ، فقال الذين كفروا : ان هذا الاسحر مبين » (١) .

ـ « ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والأنجيل ، ورسولا الى بنى اسرائيل ، أنى قد جئتكم بآية من ربكم ، أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، وأبرىء الأكمه والأبرص ، وأحيى الموتى باذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ، ان فى ذلك لآية لكم ، ان كنتم مؤمنين » (٢) .

وقد يعرض القرآن الكريم ، لمعجزة من هذه المعجزات ، دون غيرها من المعجزات ، كما نجد فى معجزة المـائدة ، التى خصص لها القرآن الكريم سورة كاملة باسمها ( رقم ٥ من المصحف ) ـ وفيها يعرض قصتها على النحو التالى :

ـ « اذ قال الحواريون ، ياعيسى بن مريم ، هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال : اتقوا الله ان كنتم مؤمنين . قالوا : نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ، ونعلم ان قد صدقتنا ، ونكون عليها

---

(١) قرآن كريم : المـائدة ـ ٥ : ١١٠ .
(٢) قرآن كريم : آل عمران ـ ٣ : ٤٨ ، ٤٩ .

من الشاهدين • قال عيسى بن مريم : اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء ، تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا ، وآية منك ، وارزقنا وأنت خير الرازقين • قال الله : انى منزلها عليكم ، فمن يكفر بعد منكم ، فانى أعذبه عذابا ، لا أعذبه أحدا من العالمين » (١) •

ولعل الحواريين ، وهم فى أصلهم يهود ، يفعلون — بطلبهم المائدة — ما فعله أسلافهم مع موسى عليه السلام كثيرا ، كما تحكى لنا التوراة ، خاصة فى ( سفر الخروج ) •

فبعد وصول اليهود — يتقدمهم موسى وهارون — الى سيناء ناجين من فرعون وجيشه ، أصابهم العطش ، فصاحوا فى موسى ، طالبين المـاء — أو على حد تعبير التوراة :

— « فتذمر الشعب على موسى قائلين : ماذا نشرب ؟ فصرخ الى الرب • فأراه الرب شجرة ، فطرحها فى المـاء ، فصار المـاء عذبا »(٢)•

وبعد فترة وجيزة ، راحوا يطلبوا منه الطعـام ، بصفاقة ، تحكيها لنـا التوراة :

— « ثم ارتحلوا من ايليم •• فى اليوم الخامس عشر من الشهر الثانى ، بعد خروجهم من أرض مصر ، فتذمر كل جماعة بنى اسرائيل على موسى وهارون فى البرية • وقال لهما بنو اسرائيل : ليتنا متنا بيد الرب فى أرض مصر ، اذ كنا جالسين عند قدور اللحم ، نأكل خبزا للشبع • فانكما أخرجتمانا الى هذا القفر ، لكى تميتا كل هذا الجمهور بالجوع •

(١) قرآن كريم : المـائدة — ٥ : ١١٢ — ١١٥ .
(٢) العهد القديم : سفر الخروج — ٢ : الاصحاح الخامس عشر : ٢٤ ، ٢٥ .

فقال الرب لموسى : ها أنا أمطر لكم خبزا من السماء ، فيخرج الشعب ، ويلتقطون حاجة اليوم بيومها .. » (١) .

فهى المادية ، تسيطر على بنى اسرائيل ، مع موسى الكليم كانوا ، أو مع عيسى المسيح .

أو هو الشك الذى زرعه فى نفوسهم ، ما لاقوه فى تاريخهم الطويل، من ضربات وويلات .

أو على حد تعبير الشهيد سيد قطب ، انها « طبيعة قوم عيسى .. المستخلصين منهم ، وهم الحواريون .. فاذا بينهم وبين أصحاب رسولنا — صلى الله عليه وسلم — فرق بعيد » ، « فهم بعد ما رأوا من معجزات عيسى ما رأوا ، يطلبون خارقة جديدة ، تطمئن بها نفوسهم ، ويعلمون منها أنه صدقهم » ، « فأما أصحاب محمد — صلى الله عليه وسلم — فلم يطلبوا منه خارقة واحدة بعد اسلامهم .. » (٢) .

ولكن القرآن الكريم ، يورد هذه المعجزات ، التى تمت على يد السيد المسيح ، ليبين ( قدرة ) الله سبحانه ، مرسل عيسى بالحق .. بينما تهتم الأناجيل المختلفة بهذه المعجزات ، وتهتم بدقائقها وتفصيلاتها ، لتصل الى شىء آخر ، هو ( قدرة ) المسيح ذاته .. بوصفه الها ..

وها هو متى فى انجيله ، يسوق بعض هذه المعجزات ، على النحو التالى ، بما فيه من عمومية :

— « وكان يسوع يطوف كل الجليل ، يعلم فى مجامعهم ، ويكرز

---

(١) العهد القديم : سفر الخروج — ٢ : الاصحاح السادس عشر : ١ — ٤ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الثانى ( الأجزاء : ٥ — ٧ ) — الطبعة الشرعية الرابعة — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ٩٩٨ .

يبشارة الملكوت ، ويشفى كل مرض ، وكل ضعف فى الشعب . فذاع خبره فى جميع سورية ، فأحضروا اليه جميع السقماء ، المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة ، والمجانين والمصروعين والمفلوجين ، فشفاهم » (١) .

كما يسوق بعضها ، بشيء من التفصيل ، على هذا النحو :

— « ولما نزل من الجبل ، تبعه جموع كثيرة ، واذا أبرص قد جاء ، وسجد له قائلا : يا سيد ، ان أردت تقدر أن تطهرنى . فمد يسوع يده ولمسه قائلا : أريد ، فاطهر . وللوقت طهر برصه .. ولما دخل يسوع كفر ناحوم ، جاء اليه قائد مئة ، يطلب اليه ويقول : يا سيد ، غلامى مطروح فى البيت مفلوجا متعذبا جدا ، فقال له يسوع : أنا آتى أشفيه » (٢) .

— « ولما جاء يسوع الى بيت بطرس ، رأى حماته مطروحة ومحمومة ، فلمس يدها ، فتركتها الحمى ، فقامت وخدمتهم . ولما صار المساء ، قدموا اليه مجانين كثيرين ، فأخرج الأرواح بكلمة ، وجميع المرضى شفاهم » (٣) .

بل ان الأمر يصل — عند متى — الى حد سجود القوم له ، من أجل معجزاته تلك :

— « وفيما هو يكلمهم بهذا ، اذا رئيس قد جاء ، فسجد له قائلا ، ان ابنتى الآن ماتت . لكن تعال وضع يدك عليها فتحيا . فقام يسوع ، وتبعه هو وتلاميذه ... ولما جاء يسوع الى بيت الرئيس ، ونظر المزمرين والجمع يضجون . قال لهم : تنحوا ، فان الصبية لم تمت ، لكنها نائمة . فضحكوا عليه . فلما أخرج الجمع ، دخل وأمسك بيدها ، فقامت الصبية . فخرج الخبر الى تلك الأرض كلها .

---

(١) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح الرابع : ٢٣ ، ٢٤ .
(٢) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح الثامن : ١ — ٧ .
(٣) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح الثامن : ١٤ — ١٦ .

وفيما يسوع مجتاز من هناك ، تبعه أعميان يصرخان ، ويقولان : ارحمنا يا ابن داود . ولما جاء الى البيت ، تقدم اليه الأعميان ... حينئذ لمس أعينهما قائلا : بحسب ايمانكما ، ليكن لكما . فانفتحت أعينهما ...

وفيما هما خارجان ، اذا انسان أخرس مجنون ، قدموه اليه . فلما أخرج الشيطان ، تكلم الأخرس » (١) .

ويستطيع من يتصفح الأناجيل الأخرى ، المعترف بها من الكنيسة ، أن يرى تردد نفس ( النغمة ) ، التى يرددها انجيل متى : أن المسيح كان يشفى المرضى ، ويحيى الموتى ، دون أن يذكر واحد منهم أن ما كان يحدث ، كان يحدث بارادة الله .

ولم يشذ عن هذا القاعدة ، الا انجيل برنابا ، الذى لا تعترف به الكنيسة ، والذى يؤكد دوما ، قدرة الله ، فى كل ما فعله السيد المسيح ، وأن السيد المسيح كان يفعل ما يفعله ، بارادة الله وحده .

وها هو برنابا ، يردد فى انجيله ، القصص على هذا النحو :

— « ولما انتهى يسوع من العبادة ، نزل من الجبل مع تلاميذه . والتقى بعشرة برص ، صرخوا من بعيد : ( يايسوع بن داوود ، ارحمنا ) . فدعاهم يسوع الى قربه ، وقال لهم : ( ماذا تريدون منى أيها الأخوة ؟ ) ، فصرخوا جميعهم : ( أعطنا صحة ) . أجاب يسوع : ( أيها الأغبياء . أفقدتم عقلكم ، حتى تقولوا : أعطنا صحة ؟ ألا ترون أنى انسان نظيركم ؟ ادعوا الهنا ، الذى خلقكم ، وهو القدير الرحيم ، يشفكم ) . فأجاب البرص بدموع : ( اننا نعلم أنك انسان نظيرنا ، ولكنك قدوس الله ، ونبى الرب ، فصل ليشفينا ) . فتضرع الرسل الى يسوع قائلين : ( يا معلم ارحمهم ) . حينئذ أن يسوع ، وصلى قائلا : أيها الرب الاله

---

(١) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح التاسع : ١٨ — ٣٣ .

القدير الرحيم • ارحم واضح السمع الى كلمات عبدك • ارحم رجاء هؤلاء الرجال ، وامنحهم صحة ، لأجل محبة ابراهيم أبينا ، وعهدك المقـدس •

واذ قال يسوع ذلك ، تحول الى البرص ، وقال : ( اذهبوا وأروا أنفسكم للكهنة ، بحسب شريعة الله ) • فانصرف البرص ، وبرئوا على الطريق » (١) •

وتمضى قصص برنابا ، التى وردت فى الأناجيل الأخرى ، على هذا النحو ، الذى لا نرى فيه السيد المسيح ، ينسب الأمور الى نفسه ، بل ينسب الأمر كله الى الله سبحانه •

بل ان برنابا يفعل أكثر من ذلك ، اذ يورد قصصا ، تؤكد ضيقه الشديد ، من كل أولئك الذين فتنوا بما كان يقوم به من معجزات ، حتى ألهوه من أجلها — ومنها هـذه القصة ، التى يورد فيها استقبال بنى اسرائيل له ، فى جبل سيناء ، ثم فى أورشليم ، قائلين : يا الهنا — ولندع برنابا نفسه يقص علينا القصة :

— « ففى هذا الزمن ، ذهبنا ويسوع الى جبل سيناء ، عملا بكلمة الملاك الطاهر • وحفظ هناك يسوع الأربعين يوما مع تلاميذه • فلما انقضت ، اقترب يسوع من نهر الأردن ، ليذهب الى أورشليم • فرآه أحد الذين يؤمنون بأن يسوع هو الله • فصرخ بأعظم سروره ( ان الهنا آت ) • ولما بلغ المدينة ، أثارها كلها قائلا : ان الهنا آت يا أورشليم ، تهيئى لقبوله • وشهد أنه رأى يسوع على مقربة من الأردن • فخرج من المدينة كل أحد ، الصغير والكبير ، ليروا يسوع ••• فلما عرفوه ، أخذوا يصرخون : ( مرحبا بك يا الهنا ! ) • وأخذوا يسجدون له ، كما يسجدون لله • فتنفس يسوع الصعداء ، وقال :

---

(١) انجيل برنابا : الفصل التاسع عشر ١١ — ٢٥

( انصرفوا عنى أيها المجانين ، لأنى أخشى أن تفتح الأرض فاها ، وتبتلعنى واياكم ، لكلامكم الممقوت ! ) » (١) .

ثم يتم السيد المسيح كلامه الى هؤلاء الضالين :

ـ « ( انكم لقد ضللتم ضلالا عظيما ، أيها الاسرائيليون ، لأنكم دعوتمونى الهكم ، وأنا انسان . وانى أخشى لهذا ، أن ينزل الله بالمدينة المقدسة وباء شديدا ، مسلما اياها لاستعباد الغرباء . لعن الله الشيطان ، الذى أغراكم بهذا ، ألف لعنة ! ) .

ولما قال يسوع هذا ، صفع وجهه بكلتا كفيه . فحدث على أثر ذلك نحيب شديد ، حتى لم يسمع أحد ما قال يسوع . فرفع من ثم يده مرة أخرى ، ايماء للصمت . ولما هدأ نحيب القوم ، تكلم مرة أخرى : ( أشهد أمام السماء ، وأشهد كل شىء على الأرض ، انى برىء من كل ما قلتم ، لأنى انسان ، مولود من امرأة فانية بشرية ، وعرضة لحكم الله ، مكابد شقاء الأكل والسأم ، وشقاء البرد والحر ، كسائر البشر . لذلك متى جاء الله ليدين ، يكون كلامى كحسام ، يخترق كل من يؤمن بأنى أعظم من انسان » (٢) .

ثم عاد المسيح ، ليقول ثانية :

ـ « انى أشهد أمام السماء ، وأشهد كل ساكن على الأرض ، أنى برىء من كل ما قال الناس عنى ، من أنى أعظم من بشر . لأنى بشر ، مولود من امرأة ، وعرضة لحكم الله ، أعيش كسائر البشر ، عرضة للشقاء العام ) » (٣) .

ويذكرنا قول برنابا هذا ، بقول الله سبحانه ، فى القرآن الكريم :

---

(١) انجيل برنابا : الفصل الثانى والتسعون : ١ — ١٩ .
(٢) انجيل برنابا : الفصل الثالث والتسعون : ٢ — ١١ .
(٣) انجيل برنابا : الفصل الرابع والتسعون : ١ ، ٢ .

« واذ قال الله : يا عيسى بن مريم ، أأنت قلت للناس : اتخـذوني وأمى الهين من دون الله؟ قال : سبحـانك ، ما يكون لى أن أقول ماليس لى بحق ، ان كنت قلته فقد علمتـه تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسـك انك أنت عـلام الغيـوب • مـا قلت لهـم الا مـا أمرتنى به ، أن اعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شىء شهيد، ان تعذبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم ، فانك أنت العزيز الحكيم »(١)

**متاعبه وآلامه :**

وقف اليهود — أعداء الحق ، وأعداء الرسل والرسالات — من المسيح ، عيسى بن مريم ، منذ البداية ، موقف التحدى والتصـدى ، لأن هـذا شأنهم منذ كانوا ، مع كل راية حق ، على نحو ما رأيناهم فى كتابنا السابق من كتب السلسلة ، بكل فصوله تقريبا •

وكم كان القرآن الكريم ، دقيقا فى وصفهم ، وفى تلخيصه لموقفهم المبدئى الدائم هذا ، الذى جمدوا عليه ، حين قال سبحانه :

« لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل ، على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا ، وكانوا يعتدون • كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » (٢) •

« فبما نقضهم ميثاقهم ، وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبيـاء بغير حق•وقولهم : قلوبنا غلف ، بل طبع الله عليها بكفرهم ، فلا يؤمنون الا قليلا • وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما • وقولهم : انـا قتلنا المسيح عيسى بن مريم ، رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبه لهم •• » (٣) •

---

( ١ ) قرآن كريم : المائدة — ٥ : ١١٦ — ١١٨ .
( ٢ ) قرآن كريم : المائدة — ٥ : ٧٨ ، ٧٩ .
( ٣ ) قرآن كريم : النساء — ٤ : ١٥٥ — ١٥٧ .

ولقد بدأت متاعب السيد المسيح مع اليهود ، من اليوم الأول ، الذى عرفوا فيه أنه هو ( المسيح المنتظر ) ، المكتوب عندهم فى التوراة ، على نحو ما سبق من هذا الفصل (١) ، وما سبق فى نهايات الفصل السابق (٢) .

ففى البدء ، كانت ملاحقة علمائهم له ، لاحراجه بالأسئلة ، حتى يسقط فى أعين سامعيه ، فتظل لهم القيادة الروحية ، التى لا يتشبثون الا بها ، على نحو ما سبق فى الفصل الأول ، بعد أن وجدوا أن للاغريق فلسفتهم ، وللرومان دولتهم وسياستهم ، وأنهم فى سوق هؤلاء وهؤلاء — بالفعل — ضائعون (٣) .

وقد وجدوا أن سهامهم فى هذا المجال ، تتجه الى صدورهم ، لا الى حيث وجهوا هذه السهام ، وهو صدر المسيح ذاته ، حيث كان ذكاء المسيح وسعة أفقه ، يمكنانه ، من أن يحرج هو ، من أرادوا احراجه .

ويكاد الاصحاح الثانى عشر من انجيل متى ، على سبيل المثال ، أن يكون مخصصا كله ، لأمثال هذه الألوان اليهودية من الاحراج ، وردود السيد المسيح عليها . ويبدأ متى هذا الاصحاح بقوله :

— « فى ذلك الوقت ، ذهب يسوع فى السبت بين الزروع ، فجاع تلاميذه ، وابتدءوا يقطفون سنابل ويأكلون . والفريسيون لما نظروا قالوا له : هوذا تلاميذك ، يفعلون ما لا يحل فعله فى السبت . فقال لهم : أما قرأتم ما فعله داود حين جاع ، هو والذين معه ؟ كيف دخل بيت الله ، وأكل خبز التقدمة ، الذى لم يحل أكله له ولا للذين معه ، بل للكهنة فقط ؟ أو ماقرأتم فى التوراة ، أن الكهنة فى السبت فى الهيكل ، يدنسون

---

(١) ارجع الى ص ٦٢ من الكتاب .
(٢) ارجع الى ص ٤٦ — ٤٨ من الكتاب .
(٣) ارجع الى ص ٣٧ ، ٣٨ من الكتاب .

السبت ، وهم أبرياء ؟ ولكن أقول لكم : انى ههنا ، أعظم من الهيكل ، فلو علمتم ما هــو ؟ أنى أريد رحمــة ، لا ذبيحــة ــ لمــا حكمتم على الأبرياء ، فان ابن الانسان ، هو رب السبت أيضا .

ثم انصرف من هناك ، وجاء الى مجمعهم ، واذا انسان يده يابسة ، فسألوه قائلين : هل يحل الإبراء في السبوت ؟ ــ لكي يشتكوا عليه ، فقال لهم : أي انسان منكم يكون له خروف واحد ، فان سقط هذا فى السبت فى حفرة ، أفما يمسكه ويقيمه ؟ فالانســان كم هو أفضــل من الخروف ؟ اذا يحل فعل الخير فى السبوت . ثم قال للانسان : مد يدك ، فمدها فعادت صحيحة كالأخرى » (١) .

ولا نريد أن نستطرد مع الاصحاح ، فيما يورده من قصص من هذا النوع ، لأننا لم نرد الى ( حصرها ) ، فى هذا الاصحاح وغيره ، وانما أردنا ضرب الأمثلة على ما نقول به ونذعيه فقط .

وعندما فشلوا فى مجال الاحراج هذا ــ اتجهوا الى مجال آخر ، هو محاولة ( الايقاع ) بينه وبين السلطة ، لتفعل به ، ما عجزوا هم عن عمله . ولعل أشهر القصص فى هذا المجال ، هى قصة ( الجزية ) ، التى يوردها متى على هذا النحو :

ــ « حينئذ ذهب الفريسيون ، وتشاوروا لكى يصطادوه بكلمة . فأرســلوا اليه تلاميذهم ، مع الهيرودسيين قائلين : يا معلم ، نعلم أنك صــادق ، وتعلم طريق الله بالحق ، ولا تبالى بأحــد ، لأنك لا تنظر الى وجوه الناس ، فقل لنا : ماذا تظن : أيجوز أن نعطى جزية لقيصر ، أم لا ؟ فعلم يسوع خبثهم ، وقال : لمــاذا تجربوننى يا مراؤون ؟ أرونى معاملة الجزية . فقدموا له دينارا . فقال لهم : لمن هذه الصورة والكتابة ؟ قالوا له : لقيصر . فقال لهم : أعطوا اذا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله .

---

(١) العهــد الجــديد : انجيل متى ــ ١ : الاصحاح الثانى عشر : ١ ــ ١٣ .

فلما سمعوا تعجبوا ، وتركوه ومضوا » (١) •

ولما فشوا فى كل طريق سلكوه ، لم يعد أمامهم الا الحل الأخير ، الذى لا يترددون فى اللجوء اليه ، عندما تعييهم الحيل •• وهو : التصفية الجسدية ، أو •• القتل •

ولكن : كيف يصلون الى ما يريدون ؟

ولندع متى ، يقص علينا القصة ، ويجيب لنا على السؤال — يقول متى :

— « اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب ، الى دار رئيس الكهنة ، الذى يدعى قيافا • وتشاوروا لكى يمسكوا يسوع بمكر ، ويقتلوه • ولكنهم قالوا : ليس فى العيد ، لئلا يكون شغب فى الشعب • وفيما كان يسوع فى بيت عنيا ، فى بيت سمعان الأبرص ، تقدمت اليه امرأة ، معها قارورة طيب •• حينئذ ذهب واحد من الاثنى عشر ، الذى يدعى يهوذا الأسخريوطى ، الى رؤساء الكهنة ، وقال : ماذا تريدون أن تعطونى ، وأنا أسلمه اليكم ؟ فجعلوا له ثلاثين من الفضة • ومن ذلك الوقت ، كان يطلب فرصة ليسلمه » (٢) •

ثم يتم متى القصة :

— « وفى أول أيام الفطير ، تقدم التلاميذ الى يسوع ، قائلين له : أين تريد أن نعد لك ، لتأكل الفصح ؟ فقال : اذهبوا الى المدينة ، الى فلان ، وقولوا له : المعلم يقول : ان وقتى قريب • عندك أصنع الفصح مع تلاميذى • ففعل التلاميذ كما أمرهم يسوع ، وأعدوا الفصح •

---

(١) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح الثانى والعشرون : ١٥ — ٢١ •

(٢) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح السادس والعشرون : ٣ — ١٦ •

ولما كان المساء ، اتكأ مع الاثنى عشر ، وفيما هم يأكلون قال : الحق أقول لكم : ان واحدا منكم يسلمني . فحزنوا جدا ، وابتدأ كل واحد منهم يقول له : هل أنا هو يا رب ؟ فأجاب وقال : الذى يغمس يده معى فى الصحفة ، هو يسلمنى . ان ابن الانسان ماض ، كما هو مكتوب عنه ، ولكن ويل لذلك الرجل ، الذى به يسلم ابن الانسان . كان خيرا لذلك الرجل ، لو لم يولد ، فأجاب يهوذا مسلمه ، وقال : هل أنا هو يا سيدى ؟ قال له : أنت قلت » (١) .

ولنقفز قفزة بسيطة ، تصل بالقصة مع متى الى منتهاها :

— « حينئذ جاء معهم ( أى مع تلاميذه ) يسوع ، الى ضيعة يقال لهـا : جثسيمانى ، فقال للتلاميذ : اجلسـوا ، حتى أمضى وأصـلى هناك . ثم أخذ معه بطرس ، وابنى زبدى ، وابتـدأ يحزن ويكتئب . فقال لهم : نفسى حزينة جدا ، حتى الموت . امكثوا ها هنا ، واسهروا معى . ثم تقدم قليلا ، وخر على وجهه ، وكان يصلى قائلا : يا أبتاه ، ان أمكن ، فلتعبر عنى هذه الكأس . ولكن ليس كما أريد أنا ، بل كما تريد أنت . ثم جاء الى التلاميذ ، فوجدهم نياما ، فقال لبطرس : أهكذا ، ما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة ؟ اسهروا وصلوا ، لئلا تدخلوا فى تجربة . أما الروح فنشيط ، وأما الجسد فضعيف . فمضى أيضا ثانية وصلى قائلا : يا أبتاه ، ان لم يمكن أن تعبر عنى هذه الكأس ، الا أن أشربها ، فلتكن مشيئتك . ثم جاء فوجدهم أيضا نياما ، اذ كانت أعينهم ثقيلة . فتركهم ومضى أيضا ، وصلى ثالثة ، قائلا ذلك الكلام بعينه . ثم جاء الى تلاميذه ، وقال لهم : ناموا الآن واستريحوا . هو ذا الساعة قد اقتربت ، وابن الانسان ، يسلم الى أيدى الخطاة . قوموا ننطلق . هو ذا الذى يسلمنى ، قد اقترب .

(١) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح السادس والعشرون : ١٧ — ٢٥ .

وفيما هو يتكلم ، اذا يهوذا ، أحد الاثنى عشر ، قد جاء ، ومعه جمع كثير ، بسيوف وعصى ، من عند رؤساء الكهنة ، وشيوخ الشعب. والذى أسلمه أعطاهم علامة ، قائلا : الذى أقبله ، هو هو . آمسكوه . فللوقت تقدم الى يسوع ، وقال : السلام يا سيدى ، وقبله ، فقال له يسوع : يا صاحب ، لماذا جئت ؟ حينئذ تقدموا ، وألقوا الأيادى على يسوع ، وأمسكوه » (١) .

وينتقل السيد المسيح ، بعد القبض عليه ، على حد ما ترويه الأناجيل ، الى تسليمه الى « قيافا ، رئيس الكهنة ، حيث اجتمع الكتبة والشيوخ » (٢) ، حيث سلموه الى الوالى الرومانى بيلاطس ، الذى رغب فى اطلاق سراحه ، بمناسبة العيد ، « لأنه علم أنهم أسلموه حسدا » (٣) ، و « لكن رؤساء الكهنة والشيوخ ، حرضوا الجموع ، على أن يطلبوا باراباس ، ويهلكوا يسوع » (٤) ، « فقال لهم بيلاطس: فماذا أفعل بيسوع ، الذى يدعى المسيح ؟ قال له الجميع : ليصلب »(٥).

وعند نهاية متاعب المسيح وآلامه ، نقف نحن ، لأن قصة الصلب نفسها ، من القصص التى يكون من الأنسب ، أن نحذفها من هذا الفصل — الثانى — لنلحقها بالفصل الذى يليه .. لأنها هى هى صلب ( بضم الصاد هنا ) العقيدة المسيحية ، التى لم تتبلور — فى حقيقة الأمر — فى حياة المسيح .. بل تبلورت بعده ، على نحو ما سنرى فى الفصل التالى .

---

(١) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح السادس والعشرون : ٣٦ — ٥٠ .

(٢) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح السادس والعشرون : ٥٧ .

(٣) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح السابع والعشرون : ١٨ .

(٤) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح السابع والعشرون : ٢٠ .

(٥) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح السابع والعشرون : ٢٢ .

# الفصل الثالث

## المسيحية بعـد المسيح

**تقـــديم :**

كتبت هذا الفصل للمرة الأولى ، تحت عنوان ( الاطار الأيديولوجى للمسيحية ) ، ثم وجدت نفسى بعـد الانتهاء منه ، أمام مسيحيتين ، لا مسيحية واحدة ـ فأما المسيحية الأولى ، فهى (المسيحية) التى قال بها المسيح ، وقد كانت هى هى ( اليهودية ) ، فى أحسن صورها ، على نحو ما رأينا فى الفصل الأول [1] ـ وعلى نحو ما كرر السـيد المسيح ذاته كثيرا ، فى مواعظه وعظاته ، على النحو الذى ترويها به الأناجيل المختلفة. وأما المسيحية الثانية ، فهى ( المسيحية ) ، التى قال بها أتباع المسيح ، مخلصين أو غير مخلصين ، بعد المسيح .

ومن ثم كان لابد من تغيير العنوان ، ليناسب هذا الذى توصلت اليه بعد كتابة الفصل ، ثم من تغيير الفصل بعد ذلك ، ليناسب عنوانه الجديد ، فأبدأ فيه من حيث انتهيت هناك ، وأنتهى من حيث بدأت ..

واذا كنا فى الفصل السابق ، قد بدأنا المسيرة مع مسيحية المسيح ، فانه يكون مناسبا فى هذا الفصل ، أن تتم مسـيرتنا .. مع المسيحية بلا مسيح .. لنرى ما أصابها بعده ، والى أين اتجهت ؟

**المعـركة المستمرة :**

لم تنته الحرب مع المسيحية ، بانتهاء حياة المسيح الأرضية ، وذلك لأن المسيح قد خلف من بعـده تلاميذه وحوارييه ، والمؤمنين بدعوته ، رغم ما أصابها وأصابه .. وقد حرص هؤلاء على مسيحيتهم ، بل وسعى بعضهم الى التعريف بها ، من أجل احيائها .

---

(١) ارجع الى ص ٤٨ من الكتاب .

ولما كان ذلك مستحيلا بين بنى اسرائيل ، فقد ( اضطروا ) « الى نقلها من أرض اليهود ، الي الشعوب الوثنية المحيطة بها ، كالرومان واليونانيين وغيرهم .

ورغبة من هؤلاء المبشرين ، فى نشر الدعوة المسيحية ، بين تلك الشعوب الوثنية ، وخوفا من أن تجد بين هذه الشعوب ، نفس المصير ، الذى وجدته بين اليهود ، اضطر المُبشرون المسيحيون ، الى تطعيم المسيحية ، ببعض الطقوس والعادات والشعائر ، التى وجدوها فى تلك الشعوب الوثنية . وأغلب الظن ، أن هؤلاء المبشرين ، كانوا حسنى النية ، فقد رأوا أن هذه هى الطريقة الوحيدة ، لتقريب الديانة المسيحية الى أذهان الوثنيين » (١) .

وهكذا تأثرت المسيحية ، خاصة فى ( الفكرة الالهية ) ، بالثالوث المقدس عند قدماء المصريين (٢) ، كما تأثرت بالثالوث الهندى (٣) .

وتأثرت فى مسألة الصلب ، التى سنراها صلب الفكرة العقيدية المسيحية ، بالديانات الهندية واليونانية (٤) ، وبالديانات الوثنية المنتشرة فى جميع أنحاء العالم وقتئذ (٥) .

---

(١) محمد مجدى مرجان : الله واحد ، ام ثالوث — دار النهضة العربية ، ص ٨٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٨ ، ٧٩ . وارجع — كذلك — الى :
— كتاب البراهين العقلية والعلمية ، فى صحة الديانة المسيحية — تاليف وجمع القائمقام ترتن ، من فرقة المهندسين — ترجمة حبيب افندى سعيد — الطبعة الثانية — مطبعة النيل المسيحية بالمناخ بمصر — ١٩٢٥ ، ص ٤٥٧ .
— ابراهيم خليل احمد : محمد ، فى التوراة والانجيل والقرآن — الطبعة الثالثة — مكتبة الوعى العربى ، ص ١٢ ( من تقديم المؤلف ) .

(٣) محمد مجدى مرجان (مرجع سابق ) ، ص ٨١ ، ٨٢ .

(٤) كتاب البراهين العقلية والعلمية ، فى صحة الديانة المسيحية ( مرجع سابق ) ، ص ٤٦١ ( من الهامش ) .

(٥) ابراهيم خليل احمد ( مرجع سابق ) ، ص ٧٥ ، ٧٦ .

وولضح أنها تأثرت بالفكرة العقيدية المصرية ، فى مصر ، وبالفكرة العقيدية اليونانية ، فى بلاد اليونان والرومان .. وهكذا .

ويبدو أن اليهود لما رأوا الزمام سيفلت من أيديهم ، قد ركزوا استراتيجيتهم ، على أساس ( ملاحقة ) المسيحية ، فى خارج فلسطين ، لا بالقتل لمعتنقيها والداعين اليها ، لأن اليهود ما استندوا فى فلسطين ، الا لكثرتهم — أما فى خارج فلسطين ، فان وضعهم كان مختلفا — ومن ثم لاحق اليهود المسيحية ( بالاندساس ) فيها ، ( لتدميرها ) ( من الداخل ) . شأن اليهود دائما ، عندما يحسون بالعجز أمام مذهب من المذاهب ، على نحو ما رأينا فى كتابنا السابق من كتب السلسلة (١) ، فانه « بعد ما انطلق أتباع المسيح بدعوته ، عقد اليهود عدة مجامع ، وتشاوروا فى أمر أتباع المسيح ، واستقر رأيهم على تعذيبهم ، ولما عذبوهم ، ولم تقف دعوتهم عن الانتشار ، اتفق رأيهم على أن يتظاهر فريق منهم بالنصرانية ، وأن يحرفوها تحريفا ، وتزعم الفريق الذى تظاهر بالنصرانية ، وحرفها تحريفا : القديس بولس » (٢) .

ويكاد المفكرون أن يتفقوا على أن المسيحية ( الموحدة ) ، التى بشر بها المسيح ، عيسى بن مريم ، قد تحولت الى ديانة وثنية ، تقوم على التثليث ، على مرحلتين :

« الأولى منهما ، كانت على يد شاءول ، الذي يدعوه النصارى باسم ( بولس ) ، أو ( بولس الرسول ) ، ولا يسع من يترجم للنصرانية الحالية ، الا أن يتكلم عن هذا الرجل ، فهو فى الواقع ، مؤسس النصرانية الحالية ، وواضعها ، واليه تعزى فى أكبر شرائعها وأصغرها على سواء » ، فهو « فى الواقع ، مؤسس ومخترع النصرانية الحالية » .

و « بولس هذا ، كان اسمه ( شاءول ) ، وكان من ألد

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : اليهود ، واليهودية ، والاسلام ( مرجع سابق ) ، ص ١٦١ وما بعدها .

(٢) الشيخ رحمت الله الهندى ( ١٢٣٣ — ١٣٠٨ هـ ) : اظهار الحق — الجزء الأول ( مرجع سابق ) ، ص ٢٠ .

أعداء أتباع المسيح • وفى أثناء سفره الى دمشق ، بدا له أن يكيد لهذا الدين الجديد ، ويحطم هذه الدعوة الوليدة ، وبدا له أن طريق النفاق والخداع ، أجدى له من العداء السافر ، وبدا له أيضا ، أن يرفع المسيح من مكانه ، ليضع هو نفسه فيه • وتاريخ الأديان ملىء بهذا ( البولس )، وليس هو فى حقيقته ، الا صورة سابقة لمثيلاتها فى الاسلام ، من ( مسيلمة الكذاب ) ، وأمثاله » •

« أما المرحلة الثانية ، فانتشرت فيها فرية بولس ، بقوة السيف ، وجبروت السلطان ، وذلك فى المجمع الأول من المجامع المسكونية النصرانية ، المنعقد عام ٢٣٥ م ، ويسمى مجمع نيقية » (١) — الذى سنعود اليه ، مع غيره من المجامع ، بعد قليل •

ومما تجدر الاشارة اليه ، أن بولس هذا ( أو شاءول ) ، لم ير المسيح مرة واحدة فى حياته » ، وأنه ادعى أنه « تلقى تعاليمه من الله مباشرة ، ومن المسيح نفسه ، دون تعليم من أحد » (٢) ، وأن واحدا من أسفار العهد الجديد ، هو ( سفر أعمال الرسل ) ، يكاد يكون وقفا على بولس وحده ، يصف أعماله وحياته ، وسيرته ، وخطبه ورسائله •• الخ • واذا كان التلاميذ قد كتبوا عن حياة المسيح الأناجيل الأربعة ، فان ( لوقا ) ، أحد تلاميذ بولس ، قد كتب عنه أيضا هذا السفر ، وهو أشبه بالأناجيل التى كتبت عن حياة المسيح ، ولوقا هذا ، هو نفسه ، صاحب الانجيل ، المعروف باسمه » (٣) •

وعندما عرض بولس ، مذهبه ( الجديد ) ، تصدى له تلاميذ المسيح المخلصون ، وها هو بولس ذاته ، يحكى ذلك ، فى رسالته الثانية ، الى تيموثاوس ، حيث يقول له :

---

(١) دكتور محمود محمد مزروعة : دراسات فى النصرانية ، مع مقدمة فى دراسة الأديان — ١٩٧٩ ، ص ٩٩ — ١٠٣ •
(٢) المرجع السابق ، ص ٩٨ •
(٣) المرجع السابق ، ص ٩٧ •

— « بادر أن تجيء الى سريعا ، لأن ديماس قد تركني ، اذ أحب العالم الحاضر، وذهب الى تسالونيكي، وكريسكيس الىغلاطية ، وتيطس الى دلماطية . لوقا وحده معي . خذ مرقس ، وأحضره معك ، لأنه نافع لي للخدمة . أما تيخيكس ، فقد أرسلته الى أفسس . الرداء الذى تركته في ترواس عند كاربس — أحضره متى جئت ، والكتب أيضا ، ولا سيما الرقوق . اسكندر النحاس أظهر لي شرورا كثيرة ، ليجازه الرب حسب أعماله . فاحتفظ منه أنت أيضا ، لأنه قاوم أقوالنا جدا . في احتجاجي الأول ، لم يحضر أحد معي ، بل الجميع تركوني » (١) .

**المجامع الكنسية :**

دخل بولس المسيحية اذن ، لينسفها من الداخل . وقد وضع في داخلها الديناميت بالفعل ، بما أعلنه من ( جديد ) فيها ، قلب عليه المؤمنين بها ، وقامت ( معركة ) بين المؤمنين الأوائل ، بدلا من أن تقوم بينهم مجتمعين ، وبين الوثنيين في كل مكان .

وعلىطريق ( انهاء ) المعركة ، عقدت المجامع الكنسية ، لحل المشكلة، فزادت المشكلة تعقيدا ، على نحو ما سنرى ، وهكذا عقدت « ١٠ مجامع لعلماء النصارى ، يكفر فيها بعضهم ببعض ، ويلعن بعضهم بعضا » (٢) — على حد تعبير العلامة ، ابن قيم الجوزية .

ويمهد ابن قيم الجوزيه لهذه المجامع ، بما هو واجب لها ، فيرى أن الله سبحانه ، « قد بشر بالمسيح ، علىألسنة أنبيائه ، من لدن موسى، الى زمن داود ، ومن بعده من الأنبياء » .

---

(١) العهد الجديد : أعمال الرسل : رسالة بولس الرسول الثانية ، الى تيموثاوس : الاصحاح الرابع : ٩ — ١٦ .

(٢) الامام العلامة ، شمس الدين ، محمد بن ابى بكر بن قيم الجوزية ( المتوفى سنة ٧٥١ ) : كتاب هداية الحيارى ، في اجوبة اليهود والنصارى — مؤسسة مكة ، للطباعة والاعلام — ١٣٩٦ هـ ، ص ١٦٧ .

« ثم تفرق الحواريون فى البلاد ، بعد رفعــه ، على دينه ومنها جه يدعون الامم ، الى توحيد الله » ، « فدخل كثير من الناس فى دينــه ، ما بين ظاهر مشهور ، ومختف مستور ، وأعداء الله اليهــود ، فى غاية الشدة والأذى لأصــحابه ، وأتباعه ، ولقى تلاميذه المسيح وأتبــاعه ، من اليهود ومن الروم ، شدة شديدة ، من قتل وعذاب وتشريد وحبس ، وغير ذلك » .

وكتب مرقس « انجيله بالعبرانية ، وفى زمانه صار الى الاسكندرية ، فدعا الى الايمان بالمسيح ، وهو أول شخص جعل بتركا ( أى بطريرك ) على الاســكندرية ، وصــير معه اثنى عشر قسيسا ، على عدة نقبــاء بنى اسرائيل ، فى زمن موسى ، وأمرهم اذا مات البترك ، أن يختاروا من الاثنى عشر ، واحدا ، يجعلونه مكانه ، ويضع الاثنى عشر أيديهم على رأسه ، ويبركونه » .

« ولم يزل الأمر كذلك ، الى زمن قسطنطين ، ثم انقطع هذا الرسم ، واصــطلحوا على أن ينصــبوا البترك ، من أى بلد كان ، من أولئــك القسيسين ، دون غيرهم ، ثم سموه ( بابا ) ، ومعناه أبو الآباء » (١) .

وقد كان المجمع الأول ، الذى عقــد على طريق ( جمع ) المسيحيين على طريق واحد ، كما سبق ، هو مجمع نيقية ، الذى اجتمع « فى ٢٠ مايو ســنة ٣٢٥ م ، وهو المجمع العــام الأول ، وكان السبب الأهم فى اجتماعه ، هو الفصل بين دعاة التوحيد ، برئاسة ( آريوس ) ، وبين دعاة التثليث ، برئاسة الاسكندر ، بطريرك الاسكندرية ، وكان هناك بجانب هذا السبب الأهم ، أسباب أخرى دونه فى الأهمية ، مثل بحث تحــديد يوم عيد الفصح ، الذى هو عيد القيامة ، وكذلك بحث أمر المعمودية » . « ولكن الفصــل بين التوحيــد والتثليث ، كان الســبب الأهــم ، كما ذكرنا » (٢) .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ .
(٢) دكتور محمود محمد مزروعة ( مرجع سابق ) ، ص ١٣٩ .

ومما تجدر الاشارة اليه ، أن هذا المجمع كان يضع ٢٠٤٨ قسيسا ، وافق على التثليث منهم ٣١٨ قسيسا فقط ، ثم فرض الامبراطور قسطنطين، رأى الاقلية على الأكثرية ، « ثم عمل على اضطهاد كل من يعارض عقيدة هؤلاء ، الذين رضى عنهم » (١) .

ويرى الشيخ محمد أبو زهرة ، أن ( بدعة آريوس ) ، كما سميت، كان آريوس فيهـا يرى « المسـيح مخلوقا لله » ، وأنه كان له فى رأيه « مشايعون كثيرون ، فقد كانت الكنيسة فى أسيوط ، على هذا الرأى ، وعلى رأسها ميليتوس ، وكان أنصاره فى الاسكندرية نفسـها كثيرين ، من حيث العدد ، أقوياء ، من حيث المجاهرة بما يعتقدون ، كما كان لهذا الرأى مشايعون ، فى فلسطين ومقدونية والقسطنطينية .

وقد أراد بطريرك الاسكندرية ، أن يقضى على هذه الفكرة ، فلم يعمد الى المناقشة والجدل ، حتى لا يتسع الخرق على الراقع ، وحتى لا يلحن بالحجة على آريوس ، ولكنه عمد الى لعنه ، وطرده من حظيرة الكنيسة » . « وقد تدخل قسطنطين ، امبراطور الرومان ، فى الأمر ، فأرسل كتابا الى آريوس والاسكندر ، يدعوهما الى الوفاق ، ثم جمع بينهما ، ولكنهما لم يتفقا ، فجمع مجمع نيقية ، سنة ٣٢٥ » ، وعليـه فرض « رأى بولس ، وعقد مجلسا خاصا للأساقفة ، الذين يمثلون هذا الرأى » ، و « قرر المجمع ، ألوهية المسيح » (٢) .

وهكذا ، كانت « عصا السلطان ، ورهبة الملك » ، هى التى ساندت « رأى الذين رأوا ألوهية المسيح » ، « وقسروا الناس عليه ، بقـوة السيف » . كما فرض المجمع « نفسه ، حكومة وجماعة كهنوتية ، تلقى على النـاس أوامر الدين ، وعليهم أن يطيعوا ، راغبين أو كارهين » ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٤ .
(٢) الأستاذ الشيخ ، محمـد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانيـة ( تبحث الأدوار ، التى مرت بها عقائد النصـارى ، وفى كتبهم ومجامعهم المقدسة وفرقهم ) — الطبعة الرابعة — دار الفكر العربى — ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م ، ص ١٤٠ — ١٤٣ .

وأمر « بتحريق الكتب التى تخالف رأيه ، وتتبعها فى كل مكان » (١) .

ثم يعلق الشيخ أبوزهرة ، على كل ما حدث ، بقوله ان قسطنطين ، هذا الامبراطور الذى (فرض) هذه العقيدة الجديدة ، نفسه ، على معظم رجال الدين المسيحى ، « ما كان مسيحيا ، فى ابان انعقاد ذلك المجمع » ، و « كان له فى هذا أرب خاص ، وهو تقريبها من وثنيته » (٢) .

أما المجمع الثانى ، فكان **المجمع القسطنطينى الأول** ، الذى عقد « فى سنة ٣٨١ ، وكان السبب فى اجتماعه ، أن مجمع نيقية السابق ، قرر ألوهية المسيح ، ولم يبحث أمر ( الروح القدس ) ، هل هو اله أم مخلوق ؟ » ، و « قرر أن الروح القدس اله ، وأنه المكمل للثالوث المقدس » (٣) .

والمجمع الثالث ، وهو **مجمع افسس الأول** ، « اجتمع فى سنة ٤٣١م ، وكان السبب فى اجتماعه ، أن ( نسطور ) ، بطريرك القسطنطينية ، كان يذهب الى أن العذراء مريم ، لم تلد المسيح الاله ، وانما ولدت المسيح الانسان » ، « وعلى هذا ، فمريم هى أم الانسان ، وليست أم الاله » (٤) .

« وعندما انتشرت مقالة نسطور ، اجتمع هذا المجمع ، وقرر أن مريم ولدت المسيح الاله » .

والمجمع الرابع ، وهو **مجمع خلكيدونية** ، « اجتمع فى سنة ٤٥١م ، وذلك بسبب بحث ما ذهب اليه بطريرك الاسكندرية وأشياعه ، من أن المسيح له طبيعة واحدة ، اتحد فيها اللاهوت بالناسوت ، فاجتمع هذا المجمع ، وقرر رفض هذا الرأى » ، « وقرر كذلك ، أن المسيح له طبيعتان ، اللاهوت طبيعة بذاتها ، والناسوت طبيعة كذلك ، والطبيعتان التقتا فى المسيح .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٦ .
(٣) دكتور محمود محمد مزروعة (المرجع الأسبق) ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

وفى هـذا المجمع ، وضع الأساس لانقسام الكنيسة المصرية نهائيا ، عن الكنيسة الغربية • ومع الكنيسة المصرية ، جاءت الكنائس الحبشية ، والأرمنية ، والسريانية » (١) •

ويرى أسوالد اشبنجلر ، أنه « منذ مؤتمر نيقيا » ، « قامت الكنيسة الشرقية » ، « بتنظيم نفسها ، وفق نظام أسقفى ، تربع على قمته كاثوليكوس تزتسفون ، وكان له مجامعه وطقوسه ، وقانونه الخاص به • وفى عام ٤٨٦ ، قبلت العقيدة النسطورية ، بوصفها عقيدة ملزمة ، وعلى هـذا الشكل ، انقطع الرباط بالقسطنطينية » • « أما الكنيسة الغربية ، فانها استمرت فى ارتباطها بقدر الامبراطورية الرومانية — أى أن كنيسة المذهب ، أصبحت الدولة » (٢) •

وهكذا ، كانت نتيجة المجامع الكنسية ، ( انشطار ) العالم المسيحى الى كنيسة غربية ، وكنيسة شرقية • وواضح أن كلتا الكنيستين ، لم تكن ( تتعصب ) للمسيحية ( الحقة ) ، التى ( يجب ) أن ( تؤمن بها ) — بل ان كلتيهما ، كانت تخضع فى نظرتها الدينية الى المسيحية ، لمدى ( المواءمة ) بين هذه النظرة ، وبين ( التراث ) الوثنى القائم فى المجتمع •

ومما يلفت النظر فى هذا المجال ، أن ( الأرثوذكسية ) ، التى أخذ بها المسيحيون فى الشرق ، تعنى ( الطريق المستقيم ) ، مما يعنى أن ( الكاثوليكية ) التى أخذ بها الغربيون ، طريق غير مستقيم ، وأن الكاثوليكية تنظر الى الأرثوذكسية ، على أنها طريق غير مستقيم أيضا ، وأنها واجبة الحرب ، وأن (البروتستانتية) — التى انتشرت اثر الاصلاح الدينى فى الغرب سنة ١٥١٥ ، كانت تعتبر الكثلكة وثنية (٣) هى الأخرى •

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٠ •

(٢) اسوالد اشبنغلر : تدهور الحضارة الغربية — الجزء الثالث — ترجمة أحمد الشيبانى — منشورات دار مكتبة الحياة — بيروت — ١٩٦٤ ، ص ١١٢ •

(٣) جورج سباين : تطور الفكر السياسى — الكتاب الثالث — ترجمة الدكتور راشد البراوى — تقديم الدكتور احمد سويلم العمرى — دار المعارف بمصر — ١٩٧١ ، ص ٥١١ •

ويلفت نظر العلامة ابن قيم الجوزية هنا ، أن المسيحيين — على اختلاف مذاهبهم — يبدو أنهم قد ( فصلوا ) المسيحية المحرفة ، تفصيلا وضعوا فيه ( اليهودية ) نصب أعينهم ، بحيث تأتى مسيحيتهم كرد فعل لها ، فى كل شيء ، فقد رأوا أن « اليهود قد قالوا فى المسيح . انه ساحر مجنون » ، « فقالوا : هو اله تام ، وهو ابن الله !! ورأوا اليهود يختتنون ، فتركوا الختان » ، « ورأوهم يحرمون كثيرا من الذبائح والحيوان ، فأباحوا ما دون الفيل الى البعوضة » ، « ورأوهم يحرمون على الله نسخ شريعة شرعها ، فجوزوا هم لأساقفتهم وبتاركتهم أن ينسخوا ما شاءوا ، ويحللوا ما شاءوا ، ويحرموا ما شاءوا ! ، ورأوهم يحرمون السبت ويحفظونه ، فحرموا هم الأحد ، وأحلوا السبت ، مع اقرارهم بأن المسيح كان يعظم السبت ويحفظه ، ورأوهم ينفرون من الصليب » ، فعبدوا هم الصليب » (١) .

وقد نشأت المسيحية الغربية ، فى ( حضانة ) ( الدولة ) الرومانية ، كما سبق — فان «نشأة هذه الدولة فى الوثنية ، كان لها أثرها فى نصرانيتها ، فلم تأخذ فيها بالنصرانية ، التى تدعو الى التوحيد الخالص ، بل اضطهدت المتمسكين بها ، وناصرت الذين يذهبون الى عقيدة التثليث » .

« وكانت هذه الدولة قد ورثت الفلسفة اليونانية ، فيما ورثته عن دولة اليونان قبلها فأخذت تنجرف بهذه الفلسفة ، نحو تأييد عقيدتها فى النصرانية ، حتى آثرت فى ذلك ، فلسفة أفلاطون ، على فلسفة أرسطو » (٢) .

ويرى الشيخ محمد أبو زهرة ، أنه قد عقدت بعد هذه المجامع ،

---

(١) الامام العلامة شمس الدين ، محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية ( المتوفى سنة ٧٥١ ) ( مرجع سابق ) ، ص ١٤٢ .

(٢) عبد المتعال الصعيدى : المجددون فى الاسلام ، من القرن الأول الى الرابع عشر ( ١٠٠ هـ — ١٣٧٠ هـ ) — الطبعة الثانية — مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز بمصر — ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٢ م ، ص ١٨ .

عدة مجامع ، وأنه كان « أهم هذه المجامع ، وأعظمها أثرا ، وأقواها عملا ، المجمع التاسع عشر ، الذي انعقد في تريدنتوا ، والذي دام انعقاده ، من سنة ١٥٤٢ الى سنة ١٥٦٣ ، وفيه الرد على البروتستانتيه .

وختام هذه المجامع ، هو المجمع المتمم العشرين ، المنعقد في رومة سنة ١٨٦٩ ، وفيه أثبتوا العصمة للبابا » (١) .

أما المسيحية الشرقية ، فقد نشأت نتيجة ( الصدام ) الذي كان يجب أن يقع ، بين ( الفكرتين ) ، الشرقية والغربية ، خاصة بعد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ، الذى « لم يضع حدا للنقاش الحاد ، الذى احتدم أواره بين اثناسيوس وآريوس ، بل ظل كثير من الأساقفة ــ كانوا هم الكثرة الغالبة فى الشرق ــ يناصرون آريوس ، سرا أو جهرا ، أى أنهم كانوا يرون أن المسيح ابن الله ، ولكنه لا يشترك مع الآب ، فى مادته ، ولا فى خلوده » (٢) .

كما يعزو ول ديورانت هذا ( الانشطار ) بين الكنيستين ، الى أن الكنيسة فى الشرق ، قد « خضعت » منذ البداية ، « للدولة ، وأما فى الغرب ، فقد أخذت تحارب ، دفاعا عن استقلالها ، ثم أخذت بعدئذ تحارب ، تأييدا لسيادتها على الدولة » (٣) .

وتيجة لهذا ( الحرص ) على السلطة ، كما أظهرته الكنيسة الغربية، راحت تتقرب الى السلطة ، فنافقت الامبراطور جوليان ، الذى « كان أهم ما يولع به ، هو الفلسفة » (٤) ، والذى « كان مسيحيا فى كل شىء ،

---

(١) الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ( مرجع سابق ) ، ص ١٦٨ .

(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة ــ الجزء الأول ، من المجلد الرابع (١٢) ( عصر الايمان ) ــ ترجمة محمد بدران ــ الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية ــ لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ص ١٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٩٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٤ .

عدا عقيدته » (١) ، والذى فرض على مجمع نيقية ، وجهة نظره ، فقبلتها الكنيسة الغربية ، لعلهـا تحصل على بعض ( الحظوة ) عنده ، وعند الأباطرة من بعده .

وهكذا ، نجد « المسيحية لم تقض على الوثنية ، بل تبنتها . ذلك أن العقـل اليونانى المحتضر ، عاد الى الحياة ، فى صورة جديدة ، فى لاهوت الكنيسة وطقوسها ، وأصبحت اللغة اليونانية ، التى ظلت قرونا عدة ، صـاحبة السـلطان على السـياسة ، أداة الآداب ، والطقوس المسيحية ، وانتقلت الطقوس اليونانية الخفية ، الى طقوس القـداس الخفية الرهيبة ، وساعدت عدة مظاهر أخرى من الثقافة اليونانية ، على احداث هـذه النتيجة ، المتناقضـة الأطراف . فجاءت من مصر ، آراء الثالوث المقدس ، ويوم الحساب ، وأبدية الثواب والعقاب ، وخلود الانسان فى هذا أو ذاك ، ومنها جاءت عبادة أم الطفل ، والاتصال الصوفى بالله ، ذلك الاتصال ، الذى أوجـد الأفلاطونية الحديثـة واللا أدرية ، وطمس معالم العقيدة المسـيحية » . « ومن بلاد الفرس ، جاءت عقيدة رجوع المسيح ، وحكمه الأرض ألف عام ، وعصـور الأرض ، واللهب الأخير الذى سيحرقها ، وثنائية الشيطان ، والله والظلمة والنور » .

« وقصارى القول ، أن المسيحية ، كانت آخر شىء عظيم ، ابتدعه العالم الوثنى القديم » (٢) .

**المسيحية الصليبية :**

**رأينا أن المسيحية ، التى تبلورت صورتها فى القرن الرابع ، خاصة بعد مجمع نيقية ، كانت مسيحية غير المسيحية الأولى ، التى جاءت على يد المسـيح ، قبل ذلك بأكثر من ثلاثة قرون ، بعـد أن تسربت اليها**

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٩ .

(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة ـــ الجزء الثالث ، من المجلد الثالث (١١) ( قيصر والمسيح ، أو الحضـارة الرومانية ) ( مرجـع سابق ) ، ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

( الوثنية ) ، بصورها المختلفة ، شيئا فشيئا ، فقد « نشأت المسيحية ، من الايحاء الغامض العجيب ، الخاص بحلول الملكوت ، واستمدت دوافعها من شخصية المسيح نفسه وتخيلاته ، كما استمدت قوتها من عقيدة البعث والحساب ، والوعد بحياة الخلود ، واتخذت صورة العقائد الثابتة ، فى لاهوت بولس ، ثم نمت باستيعابها العقائد والطقوس الوثنية ، وأصبحت كنيسة ظافرة منتصرة ، بعد أن ورثت ما امتازت به رومة ، من أنماط ، وعبقرية منظمة » (١) .

وقد « أخذت المسيحية اليهودية من ذلك الوقت ، يقل عدد أتباعها ، وتضعف قوتها ، وتترك الدين الجديد ، للعقلية اليونانية ، تشكله وتصبغه بصبغتها » (٢) .

« وقد ساعد تشتت اليهود ، فى أقطار العالم ، على انتشار المسيحية ، وكان مما مهد السبيل لهذا الانتشار ، كثرة انتقال اليهود ، من مدينة الى مدينة ، والصلات القائمة بينهم ، فى جميع أنحاء أوربا ، وتجارتهم الواسعة ، والطرق الرومانية المعبدة ، والسلم الرومانية . وكانت المسيحية ، حسب تعاليم المسيح وبطرس يهودية ، ثم أصبحت فى تعاليم بولس نصف يونانية ، وأضحت فى المذهب الكاثوليكى نصف رومانية ، ثم عاد اليها العنصر اليهودى ، والقوة اليهودية ، حين دخلها المذهب البروتستنتى » (٣) .

ويضيف ول ديورانت ، الى ما سبق كله ، أنه قد « قدر للمسيحية اليونانية بنوع خاص : أن يطغى عليها سيل من البدع الدينية ، بتأثير عادات العقل اليونانى الميتافيزيقية ، المولعة بالنقاش والجدل ، وليس من المستطاع فهم المسيحية على حقيقتها ، الا اذا ما عرفنا ما دخل فيها من هذه البدع ، لأنها وان غلبتها ، لم تسلم من بعض ألوانها وأشكالها »(٤).

(١) المرجع السابق ، ص ٢٤١ ، ٢٤٢ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤٥ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٢٩٠ .

وقد كانت هذه النزعة اليونانية ، التى طغت على مسيحية الغرب ، هى التى أدت الى انشطار الكنيسة ، بانفصال الكنيسة الشرقية ، حيث كانت مصر ترفض كل ما هو يونانى ، منذ السيطرة الاغريقية على مصر قبل الميلاد ، كما سبق فى الفصل الأول (١) ، فراحت تلتمس لها جذورا ، فى الوثنية الفرعونية ، كبديل عن الوثنية الاغريقية .

وبالرغم من ذلك ، فقد بدأ الناس يتعودون على المسيحية ، ويألفونها ، بل ويبالغون فى تطبيق مبادئها ، يساعدهم على ذلك بطبيعة الحال ، جو القلق الذى كانوا يعيشون فيه ، فان « فرار الآلاف المؤلفة ، من الرجال والنساء : من ( الدنيا ، واللحم ، والشيطان ) ، الى أديرة الرجال والنساء ، ليوحى الينا ، بما كان يسود ذلك الوقت ، من اضطراب ، واختلال أمن ، وعنف ، أوفت على الغاية ، أكثر مما يوحى بجبن أولئك الفارين ، وخور عزيمتهم ، وبدا من البداية ، أنه لا سبيل الى السيطرة على الدوافع البشرية الوحشية ، الا بقانون أخلاقى ، تؤيده قوة ، تعلو على القوى البشرية » .

« وسعت المسيحية الى الوفاء بهذه الحاجات ، بفكرة حماسية رائعة ، عن الخلق ، والخطيئة الآدمية ، والأم العذراء ، والاله المعذب ، والنفس الخالدة التى قدر عليها أن تواجه يوم الحساب ، فيقضى عليها بالتردى فى الجحيم ، الى أبد الآبدين ، أو أن تنجو وتنال النعيم السرمدى ، على يد كنيسة ، توفر لها ، بأسرارها المقدسة ، البركة الالهية . التى حلت على العالم ، بموت منقذه » .

« وكانت تجيش فى صدور الناس ، آمال غامضة ، بدخول الجنة ، ولكنهم كانوا يخافون النار ، خوفا واضحا صريحا ، لا غموض فيه ، وكان فى الدين المسيحى ، فى العصور الوسطى ، كثير من الرقة والرأفة ، ولكن رجال الدين ، والوعاظ الكاثوليك ، والبروتستنت الأولين ،

---

(١) ارجع الى ص ٢٦ من الكتاب .

كانوا يشعرون بأن من الواجب عليهم ، أن يروعوا النـاس ، بأهوال الجحيم . ولم يكن المسيح ، فى هذا العهد ، هو ( عيسى ، الوديع ، الرقيق ) ، بل كان هو المنتقم الجبار ، لكل ما يرتكبه البشر من آثام . وكان فى الكنائس كلها تقريبا ، رمز من نوع ما ، يمثـل المسـيح ، فى صورة قاض ، وكان فى الكثير منها ، صور ليوم الحساب ، تمثل ضروب التعذيب ، التى يلقاها الملعونون ، تمثيلا أشد وضوحا ، من النعيم ، الذى يتمتع به السعداء المقربون » (١) .

ولكنها براعة الدين ، على حـد تعبير ول ديورانت ، الذى يعتبره « أكثر أساليب الانســان طرافة ، لأنه آخر ما تفسر به الحياة ، وهو سبيله الوحيدة ، لاتقاء الموت . وليس فى تاريخ العصور الوسطى كله ، ما هو أعظم أثرا فى النفس ، من الدين ، فانك تراه فى كل مكان ، ويكاد أن يكون أعظم القوى ، فى تلك العصور » (٢) .

ولقد كان ظهور المسيحية رغم ذلك ، « نذير شؤم على الامبراطورية الرومانية ، من نواح متعددة »(٣) ، وقد زاد شؤمها على الامبراطورية ، يوم اعترفت بالمسيحية دينا رسميا للدولة ، فان « المسيحية كانت أهم أسباب سقوط الدولة الرومانية ، لأن هـذا الدين » ، « قد قضى على العقائد القديمة ، التى كانت هى الدعامة الخلقية للنفوس الرومانيـة ، والدعامة السياسية للدولة الرومانيـة ، لأنه ناصب الثقـافة القديمة العداء .. فحارب العلم والفلسفة ، والأدب والفن » ، « وحول أفكار الناس ، عن واجبات هـذا العالم ، ووجههم الى الاستعداد لاستقبال كارثة عالمية ، وهو استعداد مضعف للعزيمة ، وأغراهم بالجرى وراء النجـاة الفردية ، عن طريق الزهـد والصـلاة ، بدل السعى للنجاة

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الخامس ، من المجلد الرابع (١٦) ( عصر الايمان ) ( مرجع سابق ) ، ص ١ — ٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١ .

(٣) دكتور عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة ، لتاريخ التربية ( مرجع سابق ) ، ص ١٣٤ .

الجماعية ، بالاخلاص للدولة ، والتفانى فى الدفاع » (١) ٠

وقد صحب سقوط الامبراطورية الرومانية فى الغرب سنة ٤٧٦ م ، قيام « عدد من الممالك الجرمانية الجديدة ، التى أقامها بعض شعوب البرابرة ، مما أدى الى انكماش الحضارة الرومانية تدريجيا ، من ايطاليا وغاليا ( فرنسا ) وانجلترا ، وغيرها من البلاد التى خضعت للرومان ، أيام سطوتهم » (٢) — ثم أدى فى النهـاية — الى انهيار « الحكومة المركزية ، على أثر غزوات البرابرة » (٣) ٠

وبسقوط الحكومة المركزية الرومانية ، صـار « البابا ، صاحب السلطان الأعلى فى رومة » ، « ولمـا اعتنق البرابرة الغربيون المسيحية، زاد ذلك من سلطة كرسى رومة ونفوذه ، زيادة كبرى »(٤) ، حتى صارت الكنيسة « فى واقع الأمر ، دولة أوربية ، فوق الدول جميعا ، تضطلع بشئون العبادات والأخلاق والتعليم والزواج والحروب العامة والحروب الصليبية ، والموت ، والوصايا ، لنصـف سكان قارة من القـارات ، وتشترك اشتراكا فعليا ، فى تصريف الشئون الزمنية » (٥) ٠

وبتولى الكنيسة الكاثوليكية شئون الحكم فى أوروبا ، على هـذا النحو ، بدأت الحياة فى أوروبا تنحو نحوا جديدا ، صارت فيه الكنيسة ،

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث ، من المجلد الثالث (١١) ( قيصر والمسيح ، أو الحضـارة الرومانية ) ( مرجـع سابق ) ، ص ٤٠٨ ٠

(٢) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : المدنيـة الاسلامية ، وأثرها فى الحضارة الأوربية — الطبعة الأولى — دار النهضة العربية — ١٩٦٣ ، ص ٣٧ ٠

(٣) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الأول ، من المجلد الخامس (١٨) (النهضة) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر — ١٩٥٨ ، ص ٨١ ٠

(٤) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الأول ، من المجلد الرابع (١٢) ( عصر الايمان ) ( مرجع سابق ) ، ص ١٠٥ ٠

(٥) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجـزء الخامس ، من المجلد الرابع (١٦) ( عصر الايمان ) ( مرجع سابق ) ، ص ٦٨ ٠

«هى المهيمنة على شئون الروح»(١) ، كما صارت « أكبر ملاك الأراضى، وأكبر السادة الاقطاعيين فى أوربا » ، « وجعلت نفسها منظمة سياسية واقتصادية وحربية ، لا منظمة دينية وكفى » (٢) .

وبدأت الكنيسة عملية ( مطاردة ) الهراطقة والملحدين ، فى داخل بلاد أوربا ، بوصفها المؤسسة التى « أقامهــا ابن الله » (٣) ، وبدأت فى « وضع عقائدها الأساسية ، ومن ثم فان أية حرية ، تقوم للقضــاء عليهــا — أيا كانت الأخطــاء التى يرتكبها الآدميون ، الذى يصرفون شئونها — انما هى خروج على السلطة القدسية ، وخيانة للدولة الزمنية ، التى كانت الكنيسة درعها الأخلاقى الواقى » . وهــذا هو سر « تلك الوحشية ، التى دفعت رجال الدين ، وغير رجال الدين ، الى الاشتراك معــا فى القضاء على دعوة الالحاد » (٤) .

وكانت هذه هى البداية الحقيقية للحروب الصليبية ، قبل أن تنتقل هــذه الحــروب ، من داخل أوربا ، الى خارجهــا ، ليكون الصدام المعروف ، مع الاسلام والمسلمين .. بعد ظهور الاسلام ، على نحو ما سنرى فى الفصل التالى .

---

(1) BENIANS, SYLVIA : From Renaissance to Revolution, A Study of the Influence of Political Development of Europe : Methuen & Co., Ltd., London, 1923, p. 95

(٢) الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : الثقافة والتربية فى العصــور الوسطى ، دراسة تاريخية مقارنة ( دراسات فى التربية ) — دار المعارف بمصر — ١٩٦٢ ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٣) ول ديورانت : قصــة الحضارة — الجزء الخامس ، من المجلد الرابع (١٦) ( عصر الايمان ) ( مرجع سابق ) ، ص ٩١ .

(٤) ول ديورانت : قصــة الحضارة — الجــزء الأول ، من المجلد الخامس (١٨) ( النهضة ) ( مرجع سابق ) ، ص ١١١ .

**الاطار الأيديولوجى للمسيحية :**

نزلت المسيحية «فى عهد الامبراطور الرومانى أغسطس سنة ١٤م، عقب فراغ طويل المدى، من الجدب الدينى لبنى اسرائيل» (١)، كما سبق فى الفصل الأول، « فى وقت تحجرت فيه الديانة اليهودية، واستحالت طقوسا جامدة، لا حياة فيها، ومظاهر خاوية، لا روح فيها » (٢).

وكانت رسالة المسيحية، التى من أجلها نزلت، « فى وسط هذه المادية الغليظة » (٣)، هو اعادة ( الروح )، الى هذا الركام المادى الضخم .

ومن أجل ذلك، لم تنزل المسيحية باطار محدد، لأن الاطار كان محددا بالفعل فى اليهودية، التى أتت المسيحية متممة لها، ومصححة مسارها، كما لم تنزل بشرائع وقوانين، لأن هذه القوانين كانت موجودة بالفعل، فى التوراة، كما أن الدولة الرومانية، كانت لها قوانينها المطبقة والمنفذة فعلا، على اليهود، الذى نزلت عليهم المسيحية، وعلى غير اليهود أيضا .

ومن ثم « لم يكن للدين المسيحى، فى أصل نشأته، أثر بالغ، فى قوانين البلاد، التى ساد فيها، اذ أن المسيحية لم تعن فى بدايتها، بتنظيم أمور الجماعة، فى علاقاتهم بعضهم ببعض، وفى علاقاتهم بالحاكم، الذى يتولى أمورهم، وهو المجال الذى يعمل فيه القانون، فقد اقتصرت تعاليم السيد المسيح، عليه السلام، على بيان ما يجب على الانسان نحو ربه ونحو نفسه، أما واجبه نحو غيره من الناس، فلم يهتم به الدين المسيحى، فى أصل نشأته » . « ولعل عدم اهتمام الدين المسيحى، فى أصل نشأته، بتنظيم الروابط الاجتماعية بين الأفراد، يرجع الى السببين الآتيين :

---

(١) ابراهيم خليل احمد ( مرجع سابق )، ص ٨٠ .

(٢) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الاسلام ( مرجع سابق )، ص ٦ .

(٣) عبد الكريم الخطيب : الله .. والانسان ( قضية الألوهية، بين الفلسفة والدين ) — الطبعة الثانية — دار الفكر العربى — ١٩٧١، ص ٣٦٢ .

١ — ظهور المسيحية فى بيئة يهودية ، أى بيئة تسود فيها الشريعة الموسوية » .

« ٢ — ظهرت المسيحية وانتشرت ، فى بلاد كانت تدخل فى رحاب الامبراطورية الرومانية ، وهى بلاد كانت تسود فيها شريعة وضعية ، أى من وضع الانسان ، ونعنى بها القانون الرومانى ، وقد بلغ القانون الرومانى ، فى تنظيم علاقات الأفراد ، من الكمال ، مبلغا كبيرا » (١) .

ومن ثم لم يكن ممكنا تحديد هـذا ( الاطار الأيديولوجى ) ، أو العقائدى ، للمسيحية ، فى مطلع هذا الفصل ، بل كانت الضرورة تفرض تأجيل الحـديث عنه ، الى ما بعد الحـديث عن المجـامع الكنسية ، و ( اتفاقها ) على شىء ، يتصل بهذا الاطار .. بعد أربعة قرون من الزمان على أحسن الفروض .. قبل أن يتاح لهـذا الاطار ، أن يتحـول الى ( أسلوب حياة ) ، يمارس بالفعل ، وتسهر عليه الكنيسة ، كمنظمة مسئولة عن تحقيق هذا الاطار ، بكل عنف وقسوة ، على نحو ما سبق فى هـذا الفصـل .

ولا يبدأ ( الاطار الأيديولوجى ) للمسيحية ، كما يبدأ لغيرها ، بفكرة الألوهية ، بل هو يبدأ بالانسان ، وجذور هـذا الاطار موجودة فى التوراة — كتاب اليهود ، الذى يؤمن المسيحيون بكل ما فيـه — حيث نجد ( الخطيئة الأولى ) لهذا الانسان — وحول هـذه ( الخطيئة الأولى ) لآدم ، يدور الفكر الدينى المسيحى كله ، بينمـا هـو يدور فى اليهودية، حول ( انتقاء ) بنى اسرائيل ، من بين بنى آدم ، ليكونوا ( شعب الله المختار ) .

ومن ثم يكون مفيدا ، أن نبدأ حديثنا عن ( الاطار الأيديولوجى ) للمسيحية،بالعودة الى جذور هذا الاطار ، فى ( التوراة ) ، التى تقول ، عن قصة الخلق الأول للانسان :

---

(١) الدكتور عبد الفتاح عبد الباقى : القانون والحيـاة — رقم (٢٨) من ( المكتبة الثقافية ) — وزارة الثقافة والارشاد القومى — الادارة العامة للثقافة — دار القلم بالقاهرة — أول يناير ١٩٦١ ، ص ٣٢ — ٣٤ .

— « وجبل الرب الاله آدم ترابا من الأرض ، ونفخ فى أنفه نسمة حياة ، فصار آدم نفسا حية • وغرس الرب الاله جنة فى عدن شرقا ، ووضع هناك آدم ، الذى جبله • وأنبت الرب الاله من الأرض ، كل شجرة شهية للنظر ، وجيدة للأكل ، وشجرة الحياة فى وسط الجنة ، وشجرة معرفة الخير والشر ••• » (١) •

ثم تنتقل التوراة ، من هذا الخلق الأول ، الى خلق حواء ، فتقول :

— « وأخذ الرب الاله آدم ، ووضعه فى جنة عدن ، ليعملها ويحفظها • وأوصى الرب الاله آدم قائلا : من جميع شجر الجنة ، تأكل أكلا ، وأما شجرة معرفة الخير والشر ، فلا تأكل منها ، لأنك يوم تأكل منها ، موتا تموت • وقال الرب الاله : ليس جيدا أن يكون آدم وحده ، فأصنع له معينا نظيره • وجبل الرب الاله من الأرض كل حيوانات البرية ، وكل طيور السماء ، فأحضرها الى آدم ، ليرى ماذا يدعوها • وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية ، فهو اسمها • فدعا آدم بأسماء جميع البهائم ، وطيور السماء ، وجميع حيوانات البرية • وأما لنفسه ، فلم يجد معينا نظيره • فأوقع الرب الاله سباتا على آدم ، فنام • فأخذ واحدة من أضلاعه ، وملأ مكانها لحما • وبنى الرب الاله الضلع التى أخذها من آدم ، امرأة ، وأحضرها الى آدم • فقال آدم : هذه الآن عظم من عظامى ، ولحم من لحمى • هذه تدعى امرأة ، لأنها من امرىء أخذت • لذلك يترك الرجل أباه وأمه ، ويلتصق بامرأته ، ويكونان جسدا واحدا • وكانا كلاهما عريانين : آدم وامرأته ، وهما لا يخجلان » (٢) •

ثم تنتقل التوراة بعد ذلك ، الى هذه ( الخطيئة الأولى ) ، التى خرج على أثرها آدم من الجنة ، فتقول بعد حديثها — عن خداع الحية

(١) العهد القديم : سفر التكوين — ١ : الاصحاح الثانى : ٧ — ٩ .
(٢) المرجع السابق : سفر التكوين — ١ :الاصحاح الثانى : ١٥ — ٢٥ .

لحــواء ، واطعامهــا من الشجرة المحرمة ، ثم خــداع حواء لآدم ، باطعامه منهــا :

ــ « فقــال آدم : المرأة التى جعلتهــا معى ، هى أعطتنى من الشجرة ، فأكلت • فقال الرب الاله للمرأة : ما هــذا الذى فعلت ؟ فقالت المرأة : الحية غرتنى فأكلت • فقال الرب الاله للحية : لأنك فعلت هــذا ، ملعونة أنت من جميع البهــائم ، ومن جميع وحــوش البرية • على بطنك تسعين وترابا تأكلين ، كل أيام حياتك ، وأضــع عداوة بينك وبين المرأة ، وبين نسلك ونسلها • هو يسحق رأسك ، وأنت تسحقين عقبه • وقال للمرأة : تكثيرا أكثر أتعاب حبلك • بالوجع تلدين أولادا ، والى رجلك يكون اشتياقك ، وهو يسود عليك • وقال لآدم : لأنك سمعت لقول امرأتك ، وأكلت من الشجرة التى أوصيتك قائلا : لا تأكل منهــا ، ملعونة الأرض بسببك • بالتعب تأكل منهــا ، كل أيام حياتك • وشوكا ومسكا تنبت لك ، وتأكل عشب الحقل • بعرق وجهك تأكل خبزا ، حتى تعود الى الأرض ، التى أخذت منها ، لأنك تراب ، والى تراب تعود » [1] •

وعلى هــذه ( الفكرة ) اليهودية ، كمــا تعرضها التوراة ، تبنى المسيحية بقية الأفكار ، حيث يرى مفكروها ، أن « الانســان الأول سقط فى عثرة العصيان ، وبسقوطه هــذا ، أصبح واقعا تحت حــكم الموت ، الذى أنذره به الله تعــالى ، عندما وضعه فى جنــة عــدن ، وقضى به عليه ، كما أنه قــد خسر حالة الكمال الأدبى ، التى خلقــه الله عليها ، وأصبح خاضعا لناموس الفساد ، وسلطان الخطية •

ولمــا كان الشوك لا يثمر تينا ، فقــد صار جميع نسل هــذا الانسان الأول ، فاسدا كفساده ، واقعا مثله ، تحت حكم الموت » •

---

(١) المرجــع السابق : ســفر التكوين ــ ١ : الاصحاح الثالث : ١٢ ــ ١٩ •

ثم « ان الله ، وان كان غير خاضع لناموس ، خارج عنه ، الا أنه مرتبط بناموس كماله الأدبى ، فهو وان كان على كل شيء قديرا ، الا أن كماله الأدبى لا يسمح له بأن يأتى ما يناقض طبيعته الخيرة المقدوسة ، فالله لا يمكن أن يكذب » مثلا .

« ومن صفاته تعالى ، رحمته المتناهية ، وعدله الكامل » .

ومن ثم فان « الانسان لما سقط ، تنازعه ( أى الله سبحانه ، جل وعلا عما يقولون ) ، تنازعه مطلبان : العدل يطلب تنفيذ الحكم عليه كاملا ، لا تساهل فيه ولا تفريط ، والرحمة تطلب من جانبها الصفح عنه ، صفحا تاما ، لا حساب فيه ولا عتاب ، بل انقصاص » .

« ونشأت عن هذا الموقف مشكلة ، وهذه المشكلة اقتضت حلا ، يجمع بين هذين المطلبين المتناقضين ، ويوفق بينهما . ولم يكن بد من الجمع بينهما ، بتقديم فدية ، ينال بها الانسان الصفح والغفران ، ويستوفى بها العدل الالهى ، حقوقه كاملة » .

« ولما » « لم تكن هناك فدية ما ، تتم مطلب العدل والرحمة ، الا الفدية من جانب الله نفسه ، لأن الفدية يجب أن تكون طاهرة من كل عيب ودنس ، مقدسة بلا لوم ، وليس فى كائنات العالم بأسرها ، من هو طاهر وقدوس ، وبلا عيب ، سوى الله جل جلاله » ، فقد « نشأت مشكلة أخرى ، هى أن الله لا جسد له ، يقدمه فدية عن العالم ، فلم يكن بد من أن يتخذ الله جسدا ، فيه يتحد اللاهوت والناسوت ، وهذا ما تم فى السيد المسيح ، باعتباره الله ، ظهر فى الجسد » [1] .

وهكذا يكون الله سبحانه — فى الفكر الدينى المسيحى — قد نزل الى الأرض ، وتجسد جسدا ، ليفتدى الانسان من خطيئته الأولى

---

(١) الايغومانس ابراهيم لوقا : المسيحية فى الاسلام — الطبعة الأولى — مطبعة النيل المسيحية — يوليو ١٩٣٨ ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

تلك ، وذلك بوصـــفه « دما طاهرا ، لم يصل اليه التلوث ، بأى حال من الأحوال ، ســـواء بالوراثة ، أم بغيرها » [١] ، وبوصـــفه يحبه الانسان ، الذى خلقه على صورته :

— « وقال الله : نعمل الانسان على صورتنا ، كشبهنا ، فيتسلطون على سمك البحر ، وعلى طير السماء .. فخلق الله الانسان على صورته . على صورة الله خلقه » [٢] .

وهكذا لا يكون السيد المسيح ، عند المسيحيين ، مجرد ابن الله ، كما أنه عند « المسيحيين ، ليس مجرد نبى ، من أمثال موسى وأشعياء وأرميا ، وغيرهم من الأنبيـــاء .. بل ولا حتى رئيس الأنبيـــاء .. انه أسمى من الأنبياء جميعا » ، كما أنه « ليس » « رســـول الله ، كما كان ايليا ، واليشع ويوحنا المعمدان ، وغيرهم من عبيد الله ، الذين أرسلهم الى الناس ، رحمة وهدى .. » ، « فالمسيح كان دائما يؤكد على مبدأ الوحدانية ، وأنه ليس يوجد غير اله واحد ، والمسيح ليس الها آخر .. وانه والآب جوهر واحد ، كيان واحد ، ذات الهية واحدة ، غير متجزئة .. لأنه ليس فى الوجود ، غير اله واحد » [٣] — هـــو السيد المسيح ، الذى يعتبرونه « الرب ، الذى لبس صورة العبد » [٤] ، أو هو « الاله المتأنس » [٥] ، ويعتبرونه « ثلاثة بالنســـبة للأقانيم ، وواحد بالنسبة للجوهر » [٦] .

---

(١) سر التجسد — محاضرات وندوات ، الشباب الجامعى — رقم (١٧) من مطبوعات ( مكتبة المحبة ) — اعداد كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بالظاهر — مكتبة المحبـــة ، ص ٨ .

(٢) العهد القديم : سفر التكوين — ١ : الاصحاح الأول : ٢٦—٢٨ .

(٣) الأنبا غريغوريوس : أنت المسيح ، ابن الله الحى — رقم (١٩) من ( سلسلة المباحث اللاهوتية والعقائدية ) — مطبعة دار العالم العربى — فبراير ١٩٧٥ ، ص ٤ — ٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٦ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٣ .

(٦) كتاب البراهين العقلية والعلمية ، فى صـــحة الديانة المسيحية ( مرجع سابق ) ، ص ٢٠٩ .

وهم لا يرون تناقضا بين قولهم هذا ، وبين قولهم « ان الله يغفر خطايا الانسان ، اكراما للمسيح » [١] مثلا ، حيث نجد الله شيئا ، والمسيح شيئا آخر .

كما يرون أن المسيحية تتفوق على غيرها من الديانات بهذه الفكرة — فكرة الأقانيم الثلاثة ، ولتوضيحها ، يضربون مثلا بالشمس ، « اذ لها نور ولون وحرارة ، ويطلق على كل من هذه الثلاثة الاسم شمس ، ولكل منها خاصة من خواص الشمس ، تميز الواحد عن الآخر ، ولكنها متحدة معا ، وتكون نورا واحدا ، وكل منها أيضا يتجه الى الجهة التى يتجه اليها البقية ، ولم نر يوما نور الشمس بدون اللون والحرارة » [٢] .

وهم يقسمون الاله الواحد ( جل وعلا ) ، الى أقانيمه ، أو أجزائه الثلاثة ، و « هى الذات ، والنطق ، والحياة » : «فاذا تجلى الله بصفته ذاتا ، سمى الآب ، واذا نطق ، فهو الابن ، واذا ظهر كحياة ، فهو الروح القدس » [٣] .

و « الله الآب ، جعلوه مصدر العدل ، والله الابن جعلوه مصدر الرحمة ، والله الروح القدس ، جعلوه مصدر النعمة » [٤] .

كما يرى مفكرو المسيحية أن « الله الابن ، الأقنوم الثانى من الثالوث ، سر بأن يصير انسانا ، ويولد من مريم العذراء ؛ لكى يكون الها وانسانا معا ، فهو اله ( منذ الأزل ) ، من طبيعة الآب ، وانسان ( من وقت التجسد ) ، من طبيعة أمه ، وهو بذا اله كامل ، وانسان كامل » [٥] ، وهو « ابن الله وابن الانسان ، كما لقب نفسه . واذا

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٠ .
(٣) محمد مجدى مرجان ( مرجع سابق ) ، ص ٩٠ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٢٧ .
(٥) كتاب البراهين العقلية والعلمية ، فى صحة الديانة المسيحية ( مرجع سابق ) ، ص ٢١٧ .

قلنا : ان المسيح اله فقط ، أو انسان فقط ، فقــد هدمنا بذلك ، ركن التعليم المسيحى ، وأخطأنا فى فهم طبيعة المسيح » [١] .

ثم يرى هؤلاء المفكرون — أخيرا — أن « أعجوبة الأعاجيب » ، فى المسيح ، « هى أنه ، وهو الاله الأزلى ، يولد كطفل . خالق الكل ، يولد من عذراء . القادر على كل شىء ، يتعلق بصــدر امرأة . الذى يمسك الكون بيمينه ، تحمــله ذراعا أم . الذى يعطى الجميع حيــاة وقوتا ، وفراخ النسر طعاما ، يرضع لبن الثديين . ملك الملوك ، ورب الأرباب ، يحسب ابن يوسف » [٢] ، « فهو من نســل داود حسب الجسد ، وأما بأقنومه الالهى ، فهو أصل داود وخالقه » [٣] .

ولا ينسى مفكرو المسيحية ، أن أسئلة كثيرة يمكن أن تثار هنــا ، حــول ( تخفى ) السيد المسيح ، فى هــذه الصورة البشرية ، وعــدم اعلان طبيعته اللاهوتية ، واستغلالها فى محاربة المنشقين عليه .. وهم يردون على هــذه الأسئلة المحتملة ، بقولهم : ان « السبب الأول لاخفاء الرب يسوع لاهوته عن الشيطان ، وعملائه من الناس الأشرار ، حتى لا يفشل تدبير الفــداء للانســان ، اذ لو كشف الرب يسوع لاهوته كاملا . كيف كان يمكن للشيطان ، الذى يريد هلاك الناس ، لاخلاصهم ، أن يساعد على خــلاص الناس ، بتحقيق صلب المسيح وموته ؟ .. يقينا لو عرف الشيطان ذلك ، لمــا هيج قادة اليهــود ، ليطلبوا صلب المسيح ، ولكان على العكس ، سعى لتعطيل الصلب » . « أما السبب الثانى لهذا الاخفاء ، فهو تحقيق تدبير التجسد ، لأنه لو نزل الله بكمال لاهوته على الأرض ، فمن كان يقوى على احتمال نوره ؟ ومن كان من البشر ، يمكنه أن يعيش ؟ » [٤] .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٣١ .

(٢) القمص ابراهيم جبرة : المولود من العذراء — رقم ( ٢ ) من ( المكتبة اللاهوتية ) — مكتبة المحبة بالقاهرة — ١٩٧٥ ، ص ٧١ .

(٣) القمص ابراهيم جبرة : المولود من الآب — رقــم ( ١ ) من ( المكتبة اللاهوتية ) — مكتبة المحبة بالقاهرة — ١٩٧٥ ، ص ٣٠ .

(٤) الأنبا غريغوريوس ( مرجع سابق ) ، ص ٢٧ .

وينتهى مفكرو المسيحية ، من فكرة الله ، المبنية على الخطيئة الأولى للانسان ، ليعودوا الى الانسان المخطىء ، الذى ( حزن الرب وتأسف ) ، على حد تعبير التوراة ، لخلقه :

— « ورأى الرب أن شر الانسان قد كثر فى الأرض ، وأن كل تصور أفكار قلبه ، انما هو شرير ، كل يوم • فحزن الرب أنه عمل الانسان فى الأرض ، وتأسف فى قلبه » (١) •

وليت الأمر وقف عند حد حزن الرب وأسفه ، بل انه تعدى ذلك ، الى لعنه الأرض كلها من أجله :

— « وقال لآدم : لأنك سمعت لقول امرأتك ، وأكلت من الشجرة التى أوصيتك قائلا : لا تأكل منها ، ملعونة الأرض بسببك » (٢) •

وبفداء البشرية من خطيئتها الأولى ، فتح الباب أمام الانسان — فى الفكر الدينى المسيحى — لتمسح عنه تلك الخطيئة الأولى •

ومن هنا كانت فكرة ( التعميد ) فى المسيحية ، حيث « تعتقد المسيحية أن الطفل يولد ، وآثار هذه الخطيئة الأولى عالقة به ، ولذلك يكون الشر كامنا فى أعماقه ، حيث ورثه وراثة الدم » (٣) ، و « الوسيلة الى تخليصه منها » ، هى « عقيدة العماد ، لتطهير نفس الطفل ، وغسلها من خطيئته الأولى » •

« ولكن لكى يحيا الانسان فى هذه الحياة الجديدة ، لابد له أن يلبس ملابس المسيح اراديا ، فى التوبة ، كاستمرار ونمو لموهبة التجديد ، التى أعطيت له فى المعمودية » (٤) •

---

(١) العهد القديم : سفر التكوين — ١ : الاصحاح السادس : ٥ ، ٦ •

(٢) العهد القديم : سفر التكوين — ١ : الاصحاح الثالث : ١٧ •

(3) FORSTER, LANCELOT : The New Culture in China, with an Introduction, by : Sir MICHAEL E. SADLER; Goerge Allen and Unwin Ltd., London, 1936, p. 104.

(٤) سليمان نسيم ، وكمال حبيب : التربية المسيحية — الطبعة الثانية — مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة — ١٩٧٠ ، ص ٦٨ ، ٦٩ •

ولا أحد يعلم شيئا عما أصاب من جاءوا قبل المسيح ، ممن يفخر اليهود والمسيحيون بأنهم ينتسبون اليهم ، كابراهيم واسحق ويعقوب ، عليهم الصلاة والسلام ، وقـد أتوا جميعا ، قبل أن يعلق على الصليب فى زعمهم ، ويفتدى البشرية ، من هذه الخطيئة الأولى !!

أى أن ( التعميد ) ، أى ( اغتسال ) الانسان أو ( غسله ) ، بماء معين ، وفق ( تقاليد ) معينة ، يسير عليها رجال الكنيسة ، هو ( الباب ) الى دخول المسيحية .. ثم يلى ولوج هـذا الباب ، السير وفق ما تراه الكنيسة ورجالها ، مع الايمان الكامل فى هـذا السير ، بأن المسيح ، هو « معطى الحياة ، بمعنى ( الوجود ) من العدم ، أى أنه الخـالق والموجد والمبدع والبارىء والفاطر وأصل الوجود ، فهو أصل الحيـاة ومنشئها ومبدئها ، وهـو لذلك علة الكون الأولى ، وهـو الأول الذى لا أول له ، والبـدء الذى لا بداية له ، وواجب الوجـود .. والحى الأول ، الذى منه نبعت الحيـاة ... » ، « والحافظ للحياة ، وليس الخالق لها فقط ، والضامن لوجودها ، والحامى لها ، والنافخ فيهـا لتبقى شعلتها مضيئة دائما ، وأوارها حاميا » [١] — والايمان الكامل أيضا بأنه « هو بذاته سيقيم الموتى ، فى اليوم الآخر ، وأنه سيتولى المؤمنين به ، والعاملين مسرته ، بأن يقيمهم بنفسه الى حيـاة أبدية سعيدة ، ليحيوا معه الى الأبد ، فى سعادة كاملة ، لا نهائية » [٢] .

ورجال الكنيسة ، هم وحدهم القادرون على تحديد ما يجب على المسيحى أن يعرفه ، وما يجب عليه ألا يعرفه — وتحديد ما يجب أن يفعله ، وما يجب ألا يفعله ، فقد أعطاهم المسيح — الاله — ( القدرة ) على المعرفة ، و ( الحق ) — بالتالى — فى قيادة المسيرة المسيحية .

وهـذا الحق فى القيادة ، نفهمه من ذلك الحوار ، الذى دار بين المسيح وبطرس ، كما أورده انجيل يوحنا مثلا :

---

(١) الأنبا غريغوريوس ( مرجع سابق ) ، ص ٥١ ، ٥٢ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

— « فبعد ما تغدوا ، قال يسوع لسمعان بطرس : يا سمعان ابن يونا — أتحبنى أكثر من هؤلاء ؟ قال له : نعم يارب ، أنت تعلم أنى أحبك • قال له : ارع خرافى • قال له أيضا ثانية : يا سمعان بن يونا ، أتحبنى ؟ قال له : نعم يارب ، أنت تعلم أنى أحبك • قال له : ارع غنمى • قال ثالثة : يا سمعان بن يونا ، أتحبنى ؟ فحزن بطرس ، لأنه قال له ثالثة : أتحبنى ؟ فقال له : يارب ، أنت تعلم كل شىء • أنت تعرف أنى أحبك • قال له يسوع : ارع غنمى » [١] •

كما يمكن أن يفهم حق رجال الكنيسة ، فى قيادة المسيحيين ، منذلك الحوار الذى دار بين المسيح وتلاميذه ، ومن بينهم بطرس ، كما يورده متى مثلا فى انجيله :

— « ولما جاء يسوع الى نواحى قيصرية فيلبس ، سأل تلاميذه قائلا : من يقول الناس : انى أنا ابن الانسان ؟ فقالوا ••• قال لهم : وأنتم من تقولون انى أنا ؟ فأجاب سمعان بطرس وقال : أنت هو المسيح ، ابن الله الحى • فأجاب يسوع وقال له : طوبى لك يا سمعان ابن يونا • ان لحما ودما لم يعلن لك ، لكن أبى الذى فى السموات • وأنا أقول لك أيضا : أنت بطرس ، وعلى هذه الصخرة ، ابن كنيستى ، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها • وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكل ما تربطه على الأرض ، يكون مربوطا فى السموات ، وكل ما تحله على الأرض ، يكون محلولا فى السموات » [٢] •

ولا تقف هذه القدرة التى أعطاها المسيح — الاله — عند حد بطرس ، بل انها تتعداه الى كل التلاميذ — وبالتالى الى رجال الدين المسيحى من بعدهم :

— « الحق أقول لكم : كل ما تربطونه على الأرض ، يكون مربوطا فى السماء • وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا فى السماء •

---

(١) العهد الجديد : انجيل يوحنا — ٤ : الاصحاح الحادى والعشرون : ١٥ ، ١٦ •

(٢) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح السادس عشر : ١٣ — ١٩ •

وأقول لكم أيضـــا : ان اتفق اثنـــان منكم على الأرض ، فى أى شىء يطلبانه ، فانه يكون لهما ، من قبل أبى الذى فى السموات » [١] .

ولم تقف هــذه القدرة ، عند حــد العالم الفيزيقى ( المــادى ) الذى يعيش فيه رجل الدين المسيحى ، بل انهــا تعدته الى العــالم الميتافيزيقي أيضا ــ عالم الجن والشياطين ، والقدرة على شفاء المرضى:

ــ « ودعا تلاميذه الاثنى عشر ، وأعطاهم قــوة وسلطانا على جميع الشياطين ، وشـــفاء أمراض . وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ، ويشفوا المرضى » [٢] .

وأخيرا أعطاهم المسيح ، حق غفران الذنوب :

ــ « فقال لهم يسوع أيضا : سلام لكم . كما أرسلنى الآب ، أرسلكم أنا . ولمــا قال هــذا نفخ ، وقال لهم : اقبلوا الروح القدس. من غفرتم خطاياه ، تغفر له ، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت » [٣] .

وفى ضوء هــذه ( السلطات ) المعطاة لرجال الدين المسيحى ، و ( القدرات ) المتاحة لهم ، يمكن أن نفهم قول البابا اينوسنت الرابع Pope Innocent lv : « ان يسوع المسيح نفســه، هو الذى خلق بطرس وأتباعه ، وأعطــاهم مفاتيح مملكة السماء ، وقال لهم : هيــا أطعموا خرافى Feed my sheep » [٤] .

---

(١) العهد الجــديد : انجيل متى ــ ١ : الاصحاح الثامن عشر : ١٨ ، ١٩ .

(٢) العهد الجديد : انجيل لوقا ــ ٣ : الاصحاح التاسع : ١ ، ٢ .

(٣) العهد الجــديد : انجيل يوحنا ــ ٤ : الاصـــحاح العشرون : ٢١ ــ ٢٣ .

(4) THUT, I.N. : The Story of Education, Philosophical and Historical Foundation; McGraw — Hill Company, Inc., New — York, 1957, p. 87.

وهكذا صار رجال الدين المسيحى ، هم الوسطاء بين الله والانسان، فى المسيحية .

ولهذه ( الوساطة ) بين الانسان وربه جذورها فى الفكر الدينى الاغريقي ، على نحو ما يلفت نظرنا ، ألبير كامى ، حيث يرى أنه « قد يظن البعض ، أن فكرة الوساطة بين الانسان وربه ، فكرة مسيحية بحتة ، لكنها فكرة اغريقية » (١) .

أما ( الطعام ) ، الذى يفرض أن يطعمه هؤلاء ( المنتدبون من الله ) لشعبهم ، أو لهؤلاء الخراف ، فهو ذلك الطعام ، الذى رأيناه فى (الاطار الأيديولوجى للمسيحية ) (٢) ، يتفق مع المنظور المسيحى الى الانسان ، ومع مفهوم ( الخطيئة الأولى ) ، التى يدور حولها الفكر الدينى المسيحى كله .

واذا كانت ( الخطيئة الأولى ) ، هى نتيجة من نتائج ما ركب فى الجسد الانسانى ، من غرائز وشهوات ، فقد سار منطقيا أن يكون المثل الأعلى المسيحى ، هو توجيه الطعان والحراب ، الى هذا الجسد الانسانى ، بكل ما ركب فيه من غرائز وشهوات :

— « من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ، ومن يهلك نفسه من أجلى يجدها » (٣) .

— « اسلكوا بالروح ، فلا تكملوا شهوة الجسد ، لأن الجسد يشتهى ضد الروح ، والروح ضد الجسد » (٤) .

---

(١) البير كامى : المتمرد — ( ترجمها عن الفرنسية : عبد المنعم الحفنى — مطبعة الدار المصرية ، ص ١٨٥ .

(٢) ارجع الى ص ١٠٢ وما بعدها من الكتاب .

(٣) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح السادس عشر : ٢٥ .

(٤) العهد الجديد : رسالة بولس الرسول الى أهل غلاطية — ٩ : الاصحاح الخامس : ١٦ ، ١٧ .

ومن ثم كانت تلك ( الصرخة ) التى تشرح نفسها بنفسها ، ومن ثم لا تحتاج الى مزيد من التقديم لها ، أو التعليق عليها :

— « أيها الزناة والزوانى . أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله . فمن أراد أن يكون محبا للعالم ، فقد صار عدوا لله » . « اكتئبوا ونوحوا وابكوا . ليتحول ضحككم الى نوح ، وفرحكم الى غم . اتضعوا قدام الرب ، فيرفعكم » [1] .

وفى ضوء هذا ( المثل الأعلى ) المسيحى ، حددت أهداف ( التربية ) المسيحية ، طوال العصور الوسطى الأوربية ، حيث كان ( هدف ) هذه التربية ، هو « اماتة الشهوات ، واهمال الجسم ، حتى تنتقى الروح ، وتنجو من عذاب جهنم » [2] ، وكذلك « توجيه الناس نحو الحياة الباطنية » [3] ، كبديل عن العالم المادى المحيط بهم .

وكانت المعاهد التعليمية ، القادرة على تحقيق هذا الهدف ، هى ( الأديرة ) ، التى كانت هى المؤسسات التعليمية الوحيدة ، حتى القرن الحادى عشر الميلادى [4] .

وقد بدأت الكنائس والكاتدرائيات ، تقوم بدورها فى العملية التعليمية ، بعد ذلك ، الى جانب الأديرة .. ثم كانت حركة الحياة كلها ، تسير فى ضوء ما ترسمه الكنيسة ، من خلال راعيها الأكبر ،

---

(١) العهد الجديد : رسالة يعقوب — ٢٠ : الاصحاح الرابع : ٤ ، ٩ ، ١٠ .

(٢) صالح عبد العزيز ، وعبد العزيز عبد المجيد : التربية وطرق التدريس — الجزء الأول — الطبعة الخامسة — دار المعارف بمصر — ١٩٥٦ ، ص ٣٤ .

(٣) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : المدنية الاسلامية ، واثرها فى الحضارة الأوربية ( مرجع سابق ) ، ص ٤٠ .

(٤) دكتور محمود عبد الرزاق شفشق ، ومنير عطا الله سليمان : تاريخ التربية ، دراسة تاريخية ثقافية اجتماعية — دار النهضة العربية — ١٩٦٨ ، ص ١٦٤ .

كما سبق ، وكما سنرى فيما بعد ــ وحركة الحياة تلك ، تعتبر مؤثرا تربويا ، أكثر من أية مؤسسة تعليمية .. نظامية أو شبه نظامية .

**الكتاب المقدس :**

ليس ( الكتاب المقدس ) كتابا واحدا فى الحقيقة ، وانما هو كتابان اثنان ، أحدهما هو ( العهد القديم ) ، أو ( التوراة ) ، الكتاب المقدس عند اليهود ــ والثانى هو ( العهد الجديد ) ، الذى يؤمن المسيحيون بما جاء به من أناجيل ، وبعض رسائل الرسل .

ولأن المسيحيين يؤمنون بالتوراة ، ايمانهم بالأناجيل ورسائل الرسل ، فانهم يطلقون على الكتابين معا اسم ( الكتاب المقدس ) ، الذى يصدر عادة جامعا عهديه معا ، القديم والجديد .

وقد صدر ( العهد الجديد ) فى الطبعة العربية بهذه العبارة : ( كتاب العهد الجديد ، لربنا ومخلصنا ، يسوع المسيح ) ــ ( وقد ترجم من اللغة اليونانية ) ؛ بينما كتب على ( الكتاب المقدس ) كله ، أنه ترجم من اللغات الأصلية ، وهى اللغة العبرانية واللغة الكلدانية ، واللغة اليونانية .

كما صدر ( العهد الجديد ) بنفس العبارة ، فى أشهر الطبعات الانجليزية للكتاب المقدس ، وهى الطبعة الموافقة للنص المعتمد سنة ١٦١١ ، والمعروف بنسخه الملك جيمس [1] .

كما صدرت طبعات أخرى من الكتاب المقدس ، بلغة انجليزية حديثة ، صدرت فى انجلترا والولايات المتحدة ، وطبعات باللغة الفرنسية ، وطبعات بغير اللغتين من اللغات الأوربية .. المسيحية .

---

(1) THE HOLY BIBLE, Containing the Old and New Testaments, Set Forth in 1611, and Commonly Known as the KING JAMES Version ; American Bible Society, New-York, p. 489.

وقـد كانت آخر هذه الطبعات للكتاب المقدس ، هى ( الطبعـة اليهودية ) له ، وقـد صدرت فى القدس ( أورشليم ) سنة ١٩٧٠ ، بعد أربع سنوات فقط ، من ( فضيحة ) تبرئة اليهود من دم المسيح ، سنة ١٩٦٦، والتى يمكن وصفها بأنها « ( العهـد الجـديد خاليا من معاداة السامية ) » [١] ، حيث حذفت من نسخة الملك جيمس ،المعتمدة سنة ١٦١١ كما سبق ، كل العبارات التى تشير الى ما ارتكبه اليهود ، فى حق المسيح والمسيحية ، فتم « محو كلمة ( اليهود ) من أسفار العهد الجـديد » ، ليحل محلهـا « أهل اليهـودية » . أو « الرعاع » ، أو « المنعزلين » ، أو « العامة » ، أو « الوثنيين » [٢] .

ويضم ( العهد الجديد ) أربعة أناجيل ، هى : انجيل متى ، وانجيل مرقس ، وانجيل لوقا ، وانجيل يوحنا . والى جانب الأناجيل ، يضم ( العهد الجديد ) : أعمال الرسل ، ورسالة الى أهل رومية ، ورسالتين الى أهل كورنثوس ، ورسالة الى أهـل غلاطية ، وأخرى الى أهـل أفسس ، وثالثة الى أهل فيلبيى ، ورابعة الى أهل كولوس ، ورسالتين الى أهل تسالونيكى ، ورسالتين الى تيموثاوس ، ورسالة الى تيطس ، وأخرى الى فليمون ، وثالثة الى العبرانيين — بالاضافة الى رسـالة يعقوب ، ورسالتين لبطرس ، وثلاثة رسائل ليوحنا ، ورسالة ليهوذا ، وأخيرا رؤيا يوحنا .

وبذلك يكون مجموع أسفار ( العهد الجديد ) ، سبعة وعشرين سـفرا !

ويسمى ( العهد الجـديد ) أحيانا ( بالانجيل ) ، تمييزا له عن ( التوراة ) ، وان كان لا يقتصر على انجيل واحـد ، بل على أربعـة أناجيل ، مضافا اليها ثلاثة وعشرون سفرا أخرى .

---

(١) أحمد عبد الوهاب : اسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة — الطبعة الأولى — مكتبة وهبة — اكتوبر ١٩٧٢ ، ص ٤٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٥ .

و «الانجيل كلمة يونانية «بمعنى الخبر السعيد ، أو البشارة»[١] .

الا أن هـذا الانجيل المتداول ، ليس هو ذلك الكلام الذى نزل على قلب المسيح من ربه ، اذ أن هـذا الوحى قـد « رفع معه » [٢] ، وانما هـو كلام التلاميذ وغير التلاميذ ، عن السيد المسيح ، لا كلام المسيح ذاته ، وان كان كلام المسيح ذاته ، أحيانا يذكر ، حسبما تذكره ذاكرة راويه ، أو حسبما يريد راويه أن يقوله .

ونتيجة لذلك ، فقد كانت هناك « عشرات النسخ من الأناجيل » ، « فى القرن الأول » [٣] ، و « التاريخ يروى لنا أنه كانت فى العصور الغابرة : أناجيل أخرى ، قـد أخذت بها فرق قديمة ، وراجت عندها ، ولم تعتنق كل فرقة الا انجيلها ، فعند كل من أصحاب مرقيون ، وأصحاب ديصان انجيل يخالف بعضه هـذه الأناجيل ، ولأصحاب مانى انجيل يخالف هـذه الأربعة ، وهو الصحيح فى زعمهم ، وهناك انجيل يقال له انجيل السبعين ، ينسب الى تلامس ، والنصارى ينكرونه . وهنـاك انجيل اشتهر باسـم التذكرة ، وانجيل سرن تهس . ولقـد كثرت الأناجيل كثرة عظيمة ، وأجمع على ذلك مؤرخو النصرانية ، ثم أرادت الكنيسة فى آخر القرن الثانى الميلادى ، أو أوائل القرن ، أن تحافظ على الأناجيل الصـادقة — فى اعتقادها — فاختارت هـذه الأناجيل الأربعة ، من الأناجيل الرائجة ، ابان ذلك » .

« ولم تكتف الكنيسة باختيار هـذه الأناجيل الأربعة ، بل أرادت الناس على قبولها » [٤] .

---

(١) عباس محمود العقاد : حياة المسيح ، فى التاريخ وكشوف العصر الحديث ( مرجع سابق ) ، ص ١٩٨ .
(٢) خليل طاهر ( مرجع سابق ) ، ص ٢٩٠ .
(٣) عباس محمود العقاد : حياة المسيح ، فى التاريخ وكشوف العصر الحديث ( المرجع الأسبق ) ، ص ١٩٨ .
(٤) الأستاذ الشيخ محمد ابو زهرة : محاضرات فى النصرانية ( مرجع سابق ) ، ص ٤٤ .

وقــد « اعتمد آباء الكنيسة أربع نسخ منها ، بالاقتراع — أى بكثرة الأصوات — وهى انجيل مرقس ، وانجيل متى ، وانجيل لوقا ، وانجيل يوحنا ، مع طائفة من أقوال الرسل ، المدونة فى العهد الجديد» .

« وتتفق الآراء أيضا ، على أن نسختين من الأناجيل ، كتبهما مسيحيان ، لم يجتمعا بالسيد المسيح ، ولم يسمعا منه ، وهى نسخة مرقس ، التى دون فيها ما سمعه من بطرس الرسول ، بغير ترتيب ، وعلى غير قصد منه أن تجمع فى كتاب ، وقــد كتبها فى رومة ، بعــد مقتل الرسول ، وليس معــه أحــد من التلاميــذ ، ويتراوح تاريخ كتابتها ، بين سنتى سبع وستين ، وسبعين .

والنسخة الأخرى ، هى نسخة لوقا ، صاحب بولس الرسول ، دون فيها ما سمعه منه ، ولعله أضاف اليها جزءا من النسخة المفقودة ، ثم جزءا من انجيــل مرقس ، بعد اطلاعه عليه ، وكانت كتابتها على الأرجح ، سنة ثمانين » [١] .

ويرى المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة ، فى بحثه القيم عن المسيح والمسيحية ، أنه قــد جاء « قيصران ، بعد طيباروس ، الذى عاصر المسيح ، كانا شديدين على تلاميذه ، وقتلا منهم قتلا ذريعا ، وفى زمن ثانيهما ، دون متى انجيله بالعبرية ، وترجمه يوحنا صاحب الانجيل ، الى اليونانية » .

« وفى عصر نيرون هــذا ، دون انجيــل مرقس سنة ٦١ على رواية ، وكان بمصر ، وقــد كتبه عنه بطرس ، وهو برومة ، وكتب أيضا لوقا انجيله ، فى عهد هذا القيصر » . « وفى عصر هذا القيصر أو بعده ، دون يوحنا انجيله » [٢] .

---

(١) عباس محمود العقاد : حياة المسيح ، فى التاريخ وكشوف العصر الحديث ( المرجع الأسبق ) ، ص ١٩٨ ، ١٩٩ .

(٢) الأستاذ الشيخ محمــد أبو زهرة ( المرجــع الأســبق ) ، ص ٣١ ، ٣٢ .

كمـا يرى أن متى كتب انجيله « فى السنة ٤٩ للمسيح » . ويظن البعض ، أن الانجيل الحالى ، كتب ما بين سنة ٦٠ و سنة ٦٤ » ، و « يقـول هورن ( ألف الانجيل الأول سنة ٣٧ أو سنة ٣٨ أو سنة ٤٢ أو سنة ٤٨ أو سنة ٦١ أو سـنة ٦٣ أو سـنة ٦٤ من الميلاد ) » ، ويرى أنه « لا شك أن جهل تاريخ التدوين ، وجهل النسخة الأصلية ، التى كانت بالعبرية ، وجهل المترجم وحاله ، من صـلاح أو غيره » ، « كل هذا يؤدى الى فقد حلقات فى البحث العلمى » [1] .

وكذلك يرى أن مرقس ، صـاحب الانجيل الثانى ، « اسـمه يوحنا : ويلقب بمرقس ، ولم يكن من الحواريين الاثنى عشر ، الذين تتلمذوا للمسيح » .

« ولقـد لازم مرقس خاله برنابا ( وهو من الرسل ) ، وبولس الرسول ، فى رحلتهمـا الى أنطاكية ، وتبشيرهما بالمسيحية فيها ، ثم تركهما بعد ذلك ، وعاد الى أورشليم » [2] .

ويرى أنه بالنسبة للوقـا ، صـاحب الانجيل الثـالث ، فانهم « على علم يقينى ، بمولد وصناعة كاتب هـذا الانجيل » ، « وكلهم متفقون على أنه من تلاميذ بولس ورفقـائه ، ولم يكن من تلاميذ المسيح ، ولا من تلاميذ حوارييه » [3] .

وأخيرا ، يرى أن يوحنـا له شأن آخر ، لأن انجيله هو الذى تضمن « ذكرا صريحا لألوهية المسيح » [4] ، وأن دائرة المعـارف البريطانيـة ، تصر على أن انجيله ، انجيل « مزور ، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين ، بعضهما لبعض ، وهما القديسان يوحنا ، ومتى ، وقـد ادعى هـذا الكاتب المزور ، فى متن الكتاب ، أنه هو

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٨ ، ٤٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٥٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٥٣ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٥٤ .

الحوارى الذى يحبه المسيح ، فأخذت الكنيسة هـذه الجملة على علاتهـا » (١) .

وهكذا نجد الشك يحيط بالأناجيل ، التى اعترفت بها الكنيسة ، من كل ناحية .

يضـاف الى ذلك ، أن السنوات التى تلت رفع المسيح ، كانت سنوات مطاردة لحوارييه وتلاميذه ، والمؤمنين به .. وفى مثل هـذه الظروف ، لا يكون هناك تفكير فى تسجيل شىء يتصل به .. مما يدل على أن التسجيل قـد تم ، وفيه كثير من ( التأليف ) ، ليناسب الواقع الجـديد ،الذى صارت المسيحية اليه .. حتى تنتشر ، بدلا من أن تموت ، على نحو ما رأينا فى مطلع هذا الفصل (٢) ــ يضاف الى ذلك ، دس بنى اسرائيل ، الذين كانوا ينتظرون .. ويتربصون .

بل ان المتحمسـين للمسيحية الصليبية أنفسهم ، يعترفون بأن « مما يحسن ذكره ، أن أقدم نسخ الانجيل ، التى فى أيدينا ، يرجع عهدها الى أوائل القرن الرابع . ولا غرابة فى ذلك ، لأنه فى القرنين الأولين ، كانت الكتب تكتب عادة على أوراق البردى ، القابل للتكسير ، فاندثرت كتب تلك المدة ، سواء كانت مسيحية أو علمية ، ولم يبق منها الا بقايا مبعثرة ، حفظت فى خزائن مصر ، ثم حل محل البردى ، جلود الرق . فى القـرن الثالث ، وهى أقوى منـه مادة ، ولكن لم يشـع استعمالها ، حتى القرن الرابع .

وفضـلا عن ذلك ، فانه فى خـلال الاضطهادات ، التى حلت بالمسيحيين ، فى فترات متقطعة ، حتى القرن الرابع ، كانت كتبهم مطمع أنظار المضطهدين ( بكسر الهاء ) ، وهدفا لسهام أيدى التخريب ، حتى أن كثيرين منهم ،كانوا يتحاشون الاحتفاظ بها ، درءا للخطر عنهم » (٣) .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٥ .

(٢) ارجع الى ص ٨٤ وما بعدها من الكتاب .

(٣) كتاب البراهين العقلية والعلمية ، فى صـحة الديانة المسيحية ( مرجع سابق ) ، ص ٢٤١ ، ٢٤٢ .

كما يعترف هؤلاء المتحمسون للمسيحية الصليبية ، بأنه « كان من الضرورى على التلاميـذ الحواريين فى تبشيرهم ، أن يعلموا عن المسيح ، حسبما يلائم عادات ولغات العالم ، ومن ثم كانت الرسالة فى مادتها » « واحدة ، وان تنوعت فى مظاهرها » :

« (١) فمتى ، بوصف كونه يهوديا ، كتب بشارته لليهود — أهل الدين المنزل — فتكلم عن المسيح ، كملك اسرائيل الموعود ، الذى تمت فيه نبوات وارشادات ورموز العهد القديم » .

« (٢) ومرقس كتب بعد متى ، فخص الشعب الرومانى الوثنى ، صاحب السيادة ، فأهمل أصل يسوع تماما ، وابتدأ بخدمته ، وتكلم عنه كعظيم ، حاز كمال الحياة وحده » .

« (٣)ولوقا كتب بعدهما ، فكتب للمتدينين والمتعلمين والمفكرين ، وخص بشارته بأهل العلم من اليونان ، كما يرى من مقدمة بشارته ، فتتبع نسب يسوع الى آدم ، أب البشرية جمعاء ، وتكلم عن المسيح وكهنوته الأدبى الكامل ، وعن شفاعته .. » . « ولا غرو ، فقد كان لوقا طبيبا رومانيا ، رجل علم وعمل ، مدققا محققا » .

« (٤) أما يوحنـا الحوارى ، فقد كتب بشارته ، بعد زملائه الثلاثة ، بعشرين أو ثلاثين سنة ، بعد أن كان اليقـين بتجسد المسيح قـد رسخ فى أفكار المؤمنين ، وزال الخوف من أن يتزعزع ، فخص فى كتاباته المتأخرة ، أهل الايمان اجمالا » (١) .

وقد كانت هذه الشكوك التى أحاطت بالأناجيل المختلفة ، وبمدى صحتها ، مما جعلها موضع شك من العلمـاء الغربيين أنفسهم ، على نحو ما رأينا فى كلام ول ديورانت ، فى مطالع هـذا الفصل (٢) ، وعلى

---

(١) الايغومانس ابراهيم لوقا ( مرجع سابق ) ، ص ٤٤ ، ٤٥ .
(٢) ارجع الى ص ٩٣ وما بعدها من الكتاب .

نحو ما نرى فى كتابات غربية أخرى كثيرة ، حتى لقد « اتهم بعضهم بولص بوضع أكثرها ، كما نرى فى دائرة المعارف الفرنسية وغيرها ، بل منهم من جعل أصول تعاليمها مأخوذة من الأديان الوثنية » [١] .

وقد زاد من الشك فى هذه الأناجيل ، ذلك الموقف المتطرف فى عداوته ، من الأناجيل الأخرى الكثيرة ، ومن بينها انجيل برنابا ، الذى كان صاحبه ( برنابا ) ، من تلاميذ المسيح المخلصين ، والذى وصفته الأناجيل ذاتها ، بأنه « ابن الوعظ » ، وبأنه « كان له حقل باعه ، وأتى بالدراهم ، ووضعها عند أرجل الرسل » [٢] ، كما وصفت فيها بأنه « كان رجلا صالحا ، وممتلئا من الروح القدس والايمان » [٣] .

والغريب أن انجيل رجل يوصف بهذه الصفات فى ( العهد الجديد ) ، يرفض ، لتقبل أناجيل كتبها من لم يروا المسيح ، أو من عايشوه ، ووصفوا منه أو من تلاميذه ، وصفا ، يجعل الباحث المدقق ، يتردد كثيرا ، قبل الثقة فيهم ، أو الأخذ عنهم .

فها هو بطرس ، يختلف مع بولس ، ويتهمه بالنفاق والمداهنة ، أمام برنابا وتيطس ، فى أنطاكية ، بعد أربع وعشرين سنة فقط ، من رفع السيد المسيح الى السماء ، على نحو ما يحكى بولس نفسه ، فى رسالته الى أهل غلاطية [٤] ، وها هو المسيح ذاته ، يصف بطرس ، بأنه ( شيطان ) ، فى قوله له ، كما نجده فى انجيل متى:

— « اذهب عنى يا شيطان . أنت معثرة لى . لأنك لا تهتم بما لله ، لكن بما للناس » [٥] .

---

(١) انجيل برنابا ( مرجع سابق ) ، ص ث ( من مقدمة الناشر ، محمد رشيد رضا الحسينى ، منشىء المنار ) .

(٢) العهد الجديد : اعمال الرسل — ٥ : الاصحاح الرابع : ٣٧ .

(٣) العهد الجديد : اعمال الرسل — ٥ : الاصحاح الحادى عشر : ٢٤ .

(٤) العهد الجديد : رسالة بولس الرسول الى اهل غلاطية — ٩ : الاصحاح الثانى : ١ — ١٤ .

(٥) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح السادس عشر : ٢٣ .

وقــد « اتفق المؤرخون ، على أن أقدم نسخة ، عثروا عليها لهذا الانجيل ، نسخة مكتوبة باللغة الايطالية ، عثر عليهــا كريمر ، أحــد مستشارى ملك بروسيا ، وذلك فى سنة ١٧٠٩ • وقــد انتقلت النسخة مع بقيــة مكتبــة ذلك المستشار ، فى سنة ١٧٣٨ ، الى البلاط الملكى بفيينا » •

« ولكن فى أوائل القرن الثامن عشر ، أى فى زمن مقارب لظهور النسخة الايطالية ، وجدت نسخة أسبانية ، ترجمها المستشرق سايل ، الى اللغة الانجليزية » [١] •

« ولقد رجح المحققون ، أن النسخة الايطالية ، هى الأصل للنسخة الأسبانية ، وذلك أنها قــد قدمت بمقدمة ، تذكر أن الذى كشف النقاب عن النسخة الايطالية ، التى كانت أصــلا للنسخة الأسبانية ، راهب لاتينى ، اسمه فرامينو » •

ومن ثم فأن « أقدم نسخة معروفة اذن ، هى النسخة الايطالية ، التى عثر عليها فى فجر القرن الثامن عشر ، وقــد وجدت فى جو مسيحى خالص ، فلا مظنــة لأن تكون مدخولة عليهم • فأول من عثر عليهــا فى خزانة كتبه ، رئيس دينى خطير ، وكاشفها راهب ، ولمــا تداولتها الأيدى ، انتقلت الى مستشار مسيحى ، من مستشارى ملك بروسيا ، ثم آلت الى البلاط الملكى بفيينا • فلا مظنة لأن تكون مدخولة عليهم ، وهى منسوبة لقديس من القديسين ، هو برنابا ، ولم يعرف بهذا الاسم ســواه ، له مثل مكانته الدينية » [٢] •

---

(١) الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة ( مرجع سابق ) ، ص ٦٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٦٧ ، ٦٨ .

# الفصل الرابع

## المسيحية المعـاصرة

**تقـــديم :**

رأينا فى الفصل السابق ، أن المسيحية سرعان ما تطورت بعـد المسيح ، لأسباب مختلفة كثيرة ، كان سوء النية وراء بعضها ، وحسن النيـة وراء بعضها الآخر ، ولكن التطور الحاسم فى هـذه المسيحية ، كان « على يـد ( بولس ) ، الذى ظهر فى السنة الثانية بعد المسيح ، وكان من أكبر أحبار اليهود ، المعروفين بالعلم والذكاء ، وكان فى أول أمره ، من أعـداء المسيح ، وأشـد المنكرين على تعاليمـه ، مع أنه لم يجتمع به قط ، ثم عاد فادعى أن المسيح هبط عليه ، وعلمه الحقائق ، وأمره باعلانها ، فظهر للناس ، فى طور جديد » .

« وهـو فى نظر كثير من المؤرخين الغربيين ، المؤسس الحقيقى للمسيحية الحالية ، فقد وضع قواعد جديدة ، اختلف بها عن الرسالة المنزلة » ، وبذلك « أنقذ المسيحية ، بعـد أن أوشكت أن تدخل عالم النسـيان » [1] .

وقـد جاءت المسيحية ــ كما رأينا فى الفصل الأول ــ الى بنى اسرائيـل وحـدهم ، وعلى ظروف حياتهم فصلت [2] ، ولكن بطرس وأمثاله ، ممن طوروها لتناسب الشعوب الأخرى ، قـد أضافوا الى الأناجيل ، ما يناسب هـذا التطوير :

ــ « .. فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الآب

---

(١) أنور الجندى : الاسلام والغرب ــ دار الاعتصام بالقاهرة ــ ١٩٧٦ ، ص ٩١ ، ٩٢ .

(٢) ارجع الى ص ٤٧ ، ٤٨ من الكتاب .

على الحيـــاة فى الغرب [٣] .
بالآيات التابعة » [٢] .
الميلادى ، هى الأساس ، الذى قامت عليه المسيحية بعدها .. ولا زالت
الرب بعد ما كلمهم ، ارتفع الى السماء ، وجلس عن يمين الله . وأما هم،
للخليقة كلها . من آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يدن .. ثم ان
خارج اسرائيل ، وأن تكون شريكا للدولة ، فى حكم أوربا ، كمارأينـــ
ــ « .. وقال لهم : اذهبوا الى العالم أجمع ، وأكرزوا بالانجيل ،
وقـــد استطاعت الكنيسة أن تجـــد لها مكانا تحت الشمس ، فى
وقـــد كانت هذه ( المسيحية الصليبية ) المبكرة ، فى القرن الرابع
فى الفصل السابق ــ حيث بدأت ( المسيحية الصليبية ) تفرض نفسها ،
وها أنا معكم كل الأيام ، الى انقضاء الدهر » [١] .
والابن والروح القدس . وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به .
فخرجوا وكرزوا فى كل مكان ، والرب يعمل معهـم ، ويثبت الكلام ،

ومن ثم كان لابد من الحديث عن هذه المسيحية الصليبية الأولى ،
لننطلق منها الى الحـــديث عن المسيحية المعاصرة .

**مفاســـد الكنيســـة :**

تعدلت المبادىء المسيحية عدة مرات ، لتتناسب ( متغيرات ) العصر

تقوم عليه حتى اليوم .

التى فرضت عليها ، فى كل مرحلة من مراحل تاريخها .

وقـــد كان التعديل الأول كما سبق ، هو تعديلها لتتناسب البيئات
الجديدة ، التى اضطرت الى الهجرة اليها ، فى خارج اسرائيل .

---

(١) العهد الجديد : انجيل متى ــ ١ : الاصحاح الثامن والعشرون : ١٩ ، ٢٠ .
(٢) العهد الجديد : انجيل مرقس ــ ٢ : الاصحاح السادس عشر : ١٥ ــ ٢٠ .
(٣) ارجع الى ص ٩٥ وما بعدها من الكتاب .

ثم كان التعديل الثانى ، والأخطر ، هو ذلك التعديل الذى أصابها ، لتناسب سيطرتها على مقدرات الأوربيين ، كما رأينا فى الفصل السابق [١] .

وكانت المسيحية فى المرحلة السابقة ، فى أيام الضعف ، التى تسعى فيها لتعيش ، دين حب وسلام :

— « سمعت أنه قيل : عين بعين ، وسن بسن . وأما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشر . بل من لطمك على خدك الأيمن ، فحول له الآخر أيضا . ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك ، فاترك له الرداء أيضا . ومن سخرك ميلا واحدا ، فاذهب معه اثنين . من سألك فاعطه ، ومن أراد أن يقترض منك ، فلا ترده .

سمعتم أنه قيل : تحب قريبك وتبغض عدوك ، وأما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا الى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسئون اليكم ويطردونكم ، لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات » [٢] .

وفى هذه المرحلة الثانية ، حيث صارت قوة ، تحولت الى دين آخر تماما :

— « لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض . ما جئت لألقى سلاما بل سيفا » [٣] .

— « من ليس معى ، فهو على . ومن لا يجمع معى ، فهو يفرق » [٤] .

---

(١) ارجع الى ص ٩٨ ، ٩٩ من الكتاب .
(٢) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح الخامس : ٣٨ — ٤٥ .
(٣) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح العاشر : ٣٤ .
(٤) العهد الجديد : انجيل لوقا — ٣ : الاصحاح الحادى عشر : ٢٣ .

ـ « جئت لألقى نارا على الأرض ، فما أريد لو اضطرمت ؟ .. أتظنون أنى جئت لأعطى سلاما على الأرض ؟ كلا : أقول لكم . بل انقساما » [١] .

وقد تصل فى قوتها ، الى درجة ( اعلان الحرب ) ، على كل الخصوم ، وابادتهم ابادة تامة :

ـ « أما أعدائى أولئك ، الذين لم يريدوا أن أملك عليهم ، فأتوا بهم الى هنا ، واذبحوهم قدامى » [٢] .

وقد بدأت ( ممارسة ) هذا التحول ، أول الأمر ، فى داخل أوربا ،حيث استقر سلطان الكنيسة ، وتدعم نفوذها .

ويرسم لنا ول ديورانت (خريطة) لنفوذ الكنيسة فى القرن الرابع الميلادى ، يرى فيه أن المسيحية فى هذا القرن ، كانت قد نالت « نصرا فى بلاد الشرق ، يكاد أن يكون تاما ، ففى مصر ،أصبح المسيحيون المحليون أو الأقباط ، هم أغلبية السكان ، وكانوا يمدون بالمال مئات من الكنائس والأديرة » . « وكان المسيحية فى آسية زعماء ، أعظم حكمة من زعمائها فى مصر » ، « أما القسطنطينية ، فلم يكد يبقى منها أثر للعبادات الوثنية ، بيد أن المسيحية نفسها ، قد تفرقت شيعا ، بسبب النزاع القائم بين أهلها » [٣].

أى أن الكنيسة فى الشرق ، قد رأت أن تخضع للسلطان ، بينما أخذت الكنيسة فى الغرب ، تحارب من أجل سيادتها على الدولة ، كما رأينا فى الفصل السابق [٤] . وقد كانت لها بالفعل هذه السيادة ، فكانت لها ـ بالتالى ـ هذه (الانتقالة) ، من دين سلام ، الى دين حرب .

---

(١) العهد الجديد : انجيل لوقا ـ ٣ : الاصحاح الثانى عشر : ٤٩ ـ ٥١ .

(٢) العهد الجديد : انجيل لوقا ـ ٣ : الاصحاح التاسع عشر : ٢٧ .

(٣) ول ديورانت : قصة الحضارة ـ الجزء الأول ، من المجلد الرابع (١٢) ( عصر الايمان ) ( مرجع سابق ) ، ص ١٢٥ ـ ١٢٧ .

(٤) ارجع الى ص ٩٣ من الكتاب .

وقد بدأت هذه الحرب أول الأمر ، فى داخل حدود أوربا ، بينها وبين الهراطقة ، أو الكفرة والملحدين ، أو من رآهم رجال الكنيسة هراطقة أو كفرة أو ملحدين ، حتى أنه فى سنة ١٣٢٩ م وحدها ، تم احراق « واراقة دماء حوالى عشرة آلاف برىء ، فى فرانكفورت وفورتزبرج ونورمبرج وغيرها » ، بسبب ظهور « البقع اندموية على القربان الموجود فى بعض كنائس ألمانيا » ، حيث فسر ذلك ، بأن « المسيح قد عاد الى الأرض ، ليطالب باراقة دماء المشعوذين ، الذين لا يحترمون تعاليم الدين » (١) .

ولم يقف الأمر عند حد ( الشعوب ) الأوربية ، فى هذه المطاردة ، بل ان الأمر تعدى الشعوب ، الى الأباطرة أنفسهم ، كلما وجدت البابوية، فرصة للنيل من الامبراطورية ، « حتى أن هنرى الرابع ، ممثل الامبراطورية ، اضطر سنة ١٠٧٧ م ، أن يتقدم بخضوع ، نحو البلاط البابوى ، فى قلعة كانوسا ، ولم يسمح له البابا بالدخول ، الا بعد أن شفع له الرجال ، فدخل الامبراطور صاغرا حافيا ، لابسا الصوف ، وتاب على يديه ، فغفر له البابا زلته » (٢) .

وهكذا ، أتيح للكنيسة ورجالها ، أن يسيطروا على الحياة فى الغرب ، ويفرضوا ( المثل الأعلى ) المسيحى عليها ، كما يرونه هم ؛ مما أدى الى « انحطاط العلم والفنون ، شيئا فشيئا ، الى أن ماتت فعلا ، وتركت الجو خاليا للعقائد الدينية » ، و « الى الاعتقاد فى الخرافات والبدع » ، مما أدى الى زيادة « سحب الجهل وظلمت الظلمات، فوق أطلال المدنية الرومانية ، والامبراطورية الشاسعة ؛ وأصبحت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ، مسيطرة فى واد كله ظلام

---

(١) الدكتور عبد المحسن صالح : الميكروبات والحياة — رقم (٦٢) من ( المكتبة الثقافية ) — دار القلم بالقاهرة — اول يونية ١٩٦٢ ؛ ص ٦٩ .

(٢) ابو الحسن الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين — مطابع على بن على — الدوحة — ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م ؛ ص ١٩٠ .

حينالك »^(١) .

ولم يقف الأمر عند حد هذا ( التخلف ) الذى فرضته الكنيسة ، باسم الايمان ، بل لقد انتشر الى جانبه ، الفساد الخلقى ، « فالبابوات أنفسهم ، انصرفوا الى الشئون الدنيوية ، وتحايلوا على اصطياد المال ، بكل طريق غير مشروع » ، « ولذا تأثرت الكنيسة بأسرها ، من مساوىء راعيها الأكبر ، حتى أن الأديرة ، التى نشأت فيما مضى لقمع الشهوات الدنيوية ، ونشر الهدى والاصلاح ، قد تحولت الى بؤرات للفساد والجهل ، بل ان هذا الفساد ، تطرق الى تعاليم الكنيسة نفسها ، فبدلا من أن يكون الغفران نتيجة التوبة والاعتراف ، أصبح يباع كالسلعة ، بقدر من المال ، وبعد أن كانت التماثيل تعتبر رمزا للحقائق ، غدت تشترى ، لالتماس المنفعة ، وقضاء الحاجة »[٢] .

وتكاد كتب التاريخ ، التى تتحدث عن تاريخ العصور الوسطى الأوربية ، ألا تخلو من الحديث عن ( تفصيلات ) هذه المفاسد والشرور ، التى كان الانسان يجدها — رغم مطاردة انهراطقة والكفرة والملاحدة فى كل مكان ، فقد كانت « العلاقات الجنسية قبل الزواج ، وفى خارج نطاق الزواج ، منتشرة » ، كما « كانت بعض النساء يعتقدن أن ورعهن آخر الأسبوع ، يكفر عن مرحهن وبطنتهن ، وكان الاغتصاب شائعا ، رغم ما يتعرض له المغتصب ، من أشد ضروب العقاب » ، « وتمشى العهر مع مطالب ذلك الوقت ، فقد كان بعض النساء الذاهبات الى الحج ، يكسبن نفقة الطريق ، كما يقول الأسقف بنيفاس ، ببيع أجسادهن فى المدن القائمة فى طريقهن ، وكان كل جيش ، يتعقبه جيش

---

(١) أحمد فهمى القطان بك : تاريخ التربية — الجزء الأول — التربية قبل الاسلام — مطبعة مدرسة طنطا الصناعية — ١٣٤٢ هجرية — ١٩٢٣ ميلادية ، ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ .

(٢) محمد قاسم ، وحسين حسنى : تاريخ اوروبا الحديثة ، من عهد النهضة الاوربية ، الى نهاية عهد الثورة الفرنسية ونابليون — المطبعة الأميرية ببولاق — القاهرة — ١٩٣٤ ، ص ٤٢ .

آخر من العاهرات ، لا يقل عن جيش أعدائه » [١] . « وأباحت بعض المدن — أمثال طولوز ( طلوشة ) ، وأفنيون ، ومنبلييه ، ونورمبرج — هـذه الدعارة قانونا ، ووضعتها تحت اشراف البلديات ، بحجـة أنه بغير هـذا الدنس ، لا تستطيع النساء الصالحات ، أن يخرجن الى الشوارع ، وهن آمنات على أنفسهن » [٢] .

وكانت هـذه المفاسد التى تزخر بهـا الحياة العـامة ، صورة لمفاسد أخرى ، تزخر بها الكنيسة ورجالها ، ومن أوضح النماذج لهم ، البابا اينوسنت الثامن ( ١٤٨٤ — ١٤٩٢ ) ، الذى يرى ول ديورانت ، أنه وجد « صعوبة كبيرة ، فى موازنة دخله ونفقاته » ، « ولهذا أخذ يجـرى على السـنة التى جرى عليها سكستس الرابع ( ١٤٧١ — ١٤٨٤ م ) ، ومعظم حكام أوربا ، فملأ خزائنـه بالأموال ، التى كان يتقاضاها من طلاب المناصب الكبيرة ، ولمـا وجد ما فى هـذا من نفع كبير ، أنشأ مناصب جديدة ، وعرضها للبيع ، فرفع أمناء البابوية الى ستة وعشرين ، وحصل بذلك على ٦٣٫٤٠٠ دوقة ، ثم رفع عدد حاملى الأختام ، وكان واجبهم الثقيل ، هو مهر القرارات البابوية ، بخـاتم من الرصاص ، الى اثنين وخمسين ، وجنى من ذلك ٢٥٠٠ دوقة ، من كل واحـد عينه فى المنصب » [٣] .

« وكان تحويل البابوية الى سلطة زمنية — انهماكا فى السياسة والحرب وشئون المـال — سببا فى امتلاء هيئة الكرادلة برجال اشتهروا بمقدرتهم الادارية ، ونفوذهم السياسى .. » ، وقـد « سرت اليهم

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجـزء الخامس ، من المجلد الرابع (١٦) ( عصر الايمـان ) ( مرجع سابق ) ، ص ١٧٩ ، ١٨٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٠ ، ١٨١ .
(٣) ول ديورانت : قصـة الحضارة — الجزء الثالث ، من المجلد الخامس (٢٠) ( النهضة ) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٥٩ ، ص ٧٤ ، ٧٥ .

عدوى الفساد ، الذى كان منتشرا فى ايطاليا ، بين الطبقات العليا ، فى عصر النهضة » ، « وكانوا يصيدون ويقامرون ، وينغمسون فى الفساد الخلقى ، الطليق من كل قيد » (١) .

ويرى ول ديورانت ، أن هناك « ثلاث مشاكل داخلية ، كان يضطرب بها قلب الكنيسة ، فى ذلك الوقت ، وهى المتاجرة بالمناصب فى محيط البابوية والأسقفية ، والزواج أو التسرى بين رجال الدين من غير الرهبان ، ووجود حالات متفرقة من الدعارة ، بين الرهبان أنفسهم » (٢) .

ولم يقف الأمر — عند ول ديورانت — عند حد الكرادلة والرهبان ، بل انه تعدى ذلك الى البابوات أنفسهم ، كالبابا اسكندر السادس ( ١٤٨٢ — ١٥٠٣ ) ، الذى يصفه بأنه كان « فى أيام شبابه ، وسيم الخلق ، جذابا ، حلو الطبع ، حارا فى عشقه » ، « ثم عقد حوالى عام ١٤٦٦ صلة أكثر دوما ، من صلاته النسائية السابقة ، مع فانتسا ده كاتانى » (٣) ، ويرى أن روما كانت « قد غفرت للبابا ، علاقته بفانتسا الساذجة ، ولكنها دهشت لعلاقته بجوليا ، التى تنقلت من عشيق الى عشيق » ، وأنه « ليس ثمة شك فى أن الاسكندر هذا ، كان رجلا شهوانيا ، حار الدم ، الى درجة لا تتفق قط ، مع العزوبة» (٤) .

ويرى أن هذا البابا ، « كان ، كمعظم الذين يستمسكون بقواعد الدين كاملة ، يسلك مسلك رجال الدنيا كاملا . ويبدو أنه كان يشعر أن البابوية ، فى الظروف المحيطة بها فى عهده ، تحتاج الى حاكم سياسى ، لا الى ولى من أولياء الله الصالحين » (٥) ، فانغمس — بجانب

---

(١) المرجع السابق ، ص ٧٦ ، ٧٧ .
(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث من المجلد الرابع (١٤) ( عصر الايمان ) ( مرجع سابق ) ، ص ٣٨٤ .
(٣) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث ، من المجلد الخامس (٢٠) ( النهضة ) ( مرجع سابق ) ، ص ٧٩ ، ٨٠ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٩٤ ، ٩٥ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٩٦ .

انغماسه فى الجنس — فى اصطناع أساليب الساسة فى عهده ، وقد كانوا جميعا « طغاة دهاة ، يعملون للكسب والسلطان » ، « غادرين ، لا ذمة لهم ولا ضمير ، وانتهى به الأمر الى اتباع جميع أساليبهم ، واصطناع أكثر ما تحوم حوله الريب ، من حيل من سبقوه فى البابوية » [١] — بالاضافة الى بيعه المناصب الكنسية ، واستيلائه على ضياع الموتى من الكرادلة ، وتوسعه فى بيع صكوك الغفران ، وأنه قاسم القسس نصيبهم منها ، كما فتح باب الصكوك ، فجعلها لغفران كل ذنب ، حتى الزواج من المحارم ، لما يدره عليه من كسب [٢] .

**الحروب الصليبية :**

وكان ممكنا أن تستمر أوضاع أوربا ، على ما هى عليه ، لولا ظهور الاسلام فى الشرق ، ليهز جدار الصمت ، الذى كان محيطا بالأوضاع فى الغرب ، بعد أن طرق — بالفعل — حدوده .

ذلك أن « السرعة العظيمة ، التى تم بها انتشار دين النبى العربى فى العالم ، ظاهرة من أكثر ظواهر تاريخ الأديان ، اثارة للدهشة والاستغراب ، فقد ظلت المسيحية ، طوال قرون ، تخفى نفسها فى الزوايا والمنعطفات ، والى أن استطاعت أن تمتص وتتمثل الوثنية ، وحتى دخل حظيرتها ملك نصف وثنى ، ساعدها بأن تطبق بعض أهدافها وقراراتها : الى ذلك الحين ، وليس قبله ، غدا بوسعها أن ترفع رأسها ، بين مذاهب العالم . أما الاسلام — فخلال فترة لا تتعدى الثلاثين سنة ، بعد موت معلمه الأكبر ، شق لنفسه طريقا راسخا ، بأن نفذ الى قلب الملايين من الناس . وقبل أن ينقضى قرن واحد ، كان صدى وحى غار حراء ، يزحف بعيدا بعيدا ، عبر قارات ثلاث » [٣] .

ومع انتشار الاسلام ، كان انتشار حضارته ، التى خصصنا لها

---

(١) المرجع السابق ، ص ٩٦ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٩٦ — ٩٨ .
(٣) سيد أمير على : روح الاسلام — نقله الى العربية : عمر الديراوى — الطبعة الأولى — دار العلم للملايين — بيروت — ١٩٦١ ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

الكتاب الحادى عشر من كتب السلسلة ، وكان انتشار سمعته ، كدين يقوم على التوحيد والشمول ، وعلى تحقيق العدل والخير للانسان ٠٠ فى وقت كان كل ما يعرف عن الكنيسة الغربية فيه ، شهرتها الواسعة « بالظلم ، والنظام الاقطاعى ، وبالرق ، وباستبداد الكنيسة وطغيانها » (١) — مضافا اليها ما ارتبط بها من « محاكم التفتيش واجراءاتها » (٢) ، حيث حكمت هذ المحاكم ، « فى ١٨ سنة — من سنة ١٤٨١ الى ١٤٩٩ — حكمت على ١٠ آلاف ومائتين وعشرين شخصا ، بأن يحرقوا وهم أحياء ، فأحرقوا ، وعلى ٦ آلاف وثمانمائة وستين بالشنق ، بعد التشهير ، فشهروا وشنقوا ، وعلى سبعة وتسعين ألفا وثلاثمائة وعشرين شخصا ، بعقوبات مختلفة ، فنفذت » ٠ و « حكمت هذه المحكمة ، من يوم نشأتها سنة ١٤٨١ الى سنة ١٨٠٨ ، على ثلاثمائة وأربعين ألف شخص ، منهم نحو مائتى ألف ، أحرقوا بالنار : وهم أحياء » (٣) ٠

وقد كان للعلماء والمفكرين من أحكام هذه المحاكم ، نصيب الأسد ، على حد ما يجمع المؤرخون(٤) ٠

---

(١) الدكتور محمد محمد حسين : حصوننا مهددة من داخلها — الطبعة الرابعة — المكتب الاسلامى ، للطباعة والنشر — بيروت — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ٢٠٩ ٠

(٢) اسوالد اشبنغلر : تدهور الحضارة الغربية — الجزء الثانى — ترجمة احمد الشيبانى — منشورات دار مكتبة الحياة — بيروت — ١٩٦٤ ، ص ١٨٧ ٠

(٣) الأعمال الكاملة ، للامام محمد عبده — جمعها وحققها وقدم لها : محمد عمارة — الجزء الثالث ( الاصلاح الفكرى والتربوى والالهيات )— الطبعة الأولى — المؤسسة العربية ، للدراسات والنشر — بيروت — ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٢ ، ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ ( فى رد الامام على « فرح انطوان » ، صاحب « الجامعة » ، فى مقالاته عن « الاضطهاد فى النصرانية والاسلام » ) ٠

(٤) ارجع — فيما حدث لثلاثة من هؤلاء العلماء ، وهم كوبر نيكس وبرونو وجاليليو — على سبيل المثال — لا الحصر — الى :

— ج٠ برونوفسكى : ارتقاء الانسان — ترجمة د توفيق شخاشيرو — مراجعة زهير الكرمى — رقم (٣٩) من ( عالم المعرفة ) — سلسلة كتب ثقافية شهرية ، يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت — ٢٩ ربيع الثانى / جمادى الأولى ١٤٠١ هـ — مارس ( آذار ) ١٩٨١ م ، ص ١٤٨ — ١٦٩ ٠

وهكذا ووجهت الكنيسة المسيحية الغربية ، لأول مرة فى تاريخها ، بنظام انسانى ، يهـدم نظامهـا ، ويحتك هـذا النظام الانسانى — الاسلامى — بنظامها ، احتكاكا مباشرا ، من خـلال ( حدود مشتركة ) كثيرة ، لا تمثل حدودها مع الأندلس ، الا واحدا منها .

وكان هـذا ( النظام ) الاسلامى ، قد بدأ يغزو المجتمع الغربى ، الذى تحكمه الكنيسة ، وتتحكم فيه ، منذ مطلع القرن الحـادى عشر الميلادى ، من خلال طلاب العلم الكثيرين ، الذين فتحت لهم جامعـات الأندلس الاسـلامية أبوابها ، فعـادوا الى بلادهم رسـلا للاسلام وحضارته ، وجنودا محاربين ضـد الكنيسة ونظامها .

ولم تعش ( الفلسفة ) الغربية ، بمعزل عن هذا ( الغزو ) الفكرى الاسلامى ، بل لعلهـا كانت فى مقدمته اليه ، فلأول مرة فى تاريخ فكر العصور الوسطى المسيحية ، نجد أمثال جان روسلان Jean Roscellin ( حوالى ١٠٥٠ — حوالى ١١٢٠ ) ، وتلميذه أبيلارد Abelard ( ١٠٧٩ — ١١٤٢ ) ، يهاجمـان ( الأسرار الكنسية ) ، ويطالبان باطـلاق حرية التفكير ، حتى فى مجـال الدين والعقيدة ، على أساس أنه « لا أسرار فى الدين » [١] .

وقـد وصل هذا ( الغزو ) الفكرى الاسلامى مداه ، عندما اقتحم ( عقول ) رجال الدين المسيحى ، كما حدث مع القديس توماس الأكوينى St. Thomas Aquinas ( ١٢٢٠ — ١٢٧٥ ) ، الذى أقام فلسفته ، على أساس « أنه لا تعارض بين اللاهوت والفلسفة ، أو بين الحقيقة المعلنة والعقـل الانسانى ، لأن الله هـو خالق كل حقيقة » [٢] ، وأن

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء السادس ، من المجـلد الرابع (١٧) ( عصر الايمان ) — ترجمـة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربيـة — مطبعـة لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٥٨ ، ص ٨٦ .

(٢) الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : الثقافة والتربية ، فى العصور الوسـطى ( مرجع سابق ) ، ص ١٠٦ .

« العقيدة لا تستطيع أن تحيا مدعمة قوية ، بغير علم ومعرفة »[١] .

و ( البصمة ) الإسلامية على مثل هذا الكلام ، الذى ينسب لأحد رجال الدين المسيحى ، بصمة واضحة ، وقوله بها ، يدل على أن ( الجو ) الأوربى العام ، كان مهيأ لها تماما ، من خلال رسل الاسلام ، وحضارته ، الى أوربا ، ممن تعلموا فى جامعات الأندلس .

وبفضل توماس الأكوينى ، وفلسفته المدرسية Scholastic Philosophy تم اقتحام الفكر الاسلامى معاهد العلم المسيحية فى العصور الوسطى ، سواء فى الأديرة والكاتدرائيات ، منذ « القرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر »[٢] — وقد كانت هذه المعاهد ، هى « التفتح الأول للعلم الحر » — رغم تبعيتها للكنيسة ، ثم كانت — أخيرا — « هى التى كونت الحركة الفنية والفكرية التى نسميها بالاصلاح »[٣] .

ذلك أن توماس الأكوينى ، كان قد ابتكر — بفضل الاسلام والمسلمين — تفسيرا « جديدا لمذهب الفردية عند أرسطو ، وبذلك حول الغزو الفكرى الاسلامى ، بحيث أجراه فى اتجاهات شخصانية »[٤] .

وكل ذلك يظهر ( حجم ) المأساة ، التى صارت الكنيسة تعيشها

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٤ .
(٢) الدكتور عبد الله عبد الدائم : تاريخ التربية — من منشورات كلية التربية ، بجامعة دمشق — مطبعة جامعة دمشق — ١٩٦٠ ، ص ٨٧ ، ٨٨ .
(3) DEWEY, JOHN : Education To—day; G.P. Putman's Sons, New — York, 1940, p. 181.
(٤) رالف ت . فلوولنج : « الفلسفة الشخصانية » — **فلسفة القرن العشرين** — مجموعة مقالات ، فى المذاهب الفلسفية المعاصرة ، **نشرها : داجوبرت** د. رونز — ترجمه عثمان نويه — راجعه الدكتور زكى **نجيب** محمود — رقم (٤٦٤) من ( الألف كتاب ) — مؤسسة سجل العرب — ١٩٦٣ ، ص ١٠٣ .

فى الغرب ، بعد ظهور الاسلام ، ووصوله الى الأندلس ، فقد تأكد لها أنه قد « وجد فى القرون الوسطى ، تأثير مباشر ، للفلسفة الاسلامية ، فى أوروبا » ، وأنه « لولا هـذا التأثير ، الذى كان للفلسفة الاسلامية على النصرانية ، ربما كانت هـذه الفلسفة النصرانية ، لتقـدر على اجتياز تلك الخطوة العمـلاقة ، التى نقـدرها ونثمنها ، عند عباقرة السكولاستيك ، أمثـال القـديس توماس الأكوينى St. Thomas Aquinas ، أو على الأقل ، لم تكن لتخطو تلك الخطـوة العملاقة ، بنفس السرعة التى تظللنا » [١] .

ولقد كان هـذا التأثير الفلسفى الاسلامى قـد وصل الى الغرب بصفة خاصة ، على يد اثنين من كبـار فلاسفة المسلمين ، هماابن سينا Avicenna وابن رشد Averos ، من خلال فهمهما لأرسطو أول الأمر ، ثم من خـلال تعبيرهما الخـاص عن فلسفتهما ، التى تعكس روح الاسـلام [٢] .

ورغم ما أحدثته الحركة المدرسية ، أو الاسكولائية [٣] — من تأثير فى حياة الغرب ، فقد هوجمت هـذه الحركة مهاجمة عنيفة ، على يـد تلاميذ المسلمين أيضا ، ولعل أشهرهم فى هـذا المجال ، روجر بيكون Roger Bacon ( حوالى ١٢١٤ — ١٢٩٢ تقريبا ) ، « وهـو قس انكليزى ، وفيلسوف ، وفلكى ورياضى شهير » ، « كان تلميـذا ( مريدا ) لابن سينا » [٤] — كمـا تأثر بالحسن بن الهيثم ( ٩٦٥ — ١٠٣٩ م ) ، عالم الطبيعة العربى المشهور ، وبمنهجه العلمى ، ومن ثم عافت نفسه « ميتافيزيقية المدرسيين ، فألقى بنفسه فى حماسة بالغة ، فى تيار العلوم الرياضية والتاريخ الطبيعى والفلسفة » [٥] ، وعاد الى

(١) سلفادور غومث نوغالس : الفلسـفة الاسـلامية ، وتأثيرها الحاسم فى فكر الغرب ، أثناء العصور الوسطى — نقله من الأسبانية : الأسـتاذ عثمان الكعاك — الدار التونسية للنشر — ١٩٧٧ ، ص ٦٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٨ .

(٣) هكذا يحب البعض تسميتها ، باسـمها الافرنجى .

(٤) سلفادور غومث نوغالس ( المرجع السابق ) ، ص ٤٤ .

(٥) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء السادس ، من المجلد الرابع (١٧) ( عصر الايمان ) ( مرجع سابق ) ، ص ٢٠٦ .

الغرب . ( يبشر ) بمنهجه الجديد ، و « يعترف بفضل أولئك السابقين عليه ، ويثنى عليهم ثناء لا حـد له ، وكان يعترف كذلك ، بما للعلوم والفلسفة الاسلامية ، من فضل عليه وعلى العالم المسيحى كله ، وبما هو مدين به لليونان ، عن طريق العلماء والمسلمين ، وأشـار الى أن علماء اليونان والمسلمين ( الكفرة ) ، كانوا هم أيضا ، ممن تلقوا الوحى والهداية من الله » [١] .

وهكذا ، كان روجر بيكون ، من وجهة نظر المؤرخين ، « علمـا ذا أهمية بالغة ، فى تاريخ الانتقالة العظمى ، للانسانية ، من العصور الوسطى ، الى العصور الحديثة » [٢] ، حيث اعتبر « رسول الطريقة التجريبية » [٣] الى الغرب ، اذ بفضله « انتقل العلم التجريبى ، من عالم الاسلام الى الغرب » ، « ثم لم يلبث أن توقف الجهد العلمى الاسلامى المبذول ، وبدأت مرحلة جديدة ، أصبح فيها العلم والتجريب ، فى قبضة الغرب » [٤] .

وهكذا ، كان مجرد وجـود ( النظام ) الاسـلامى ، قريبا من ( العـالم ) المسيحى الغربى .. تهديدا له ولأمنه ، لأنه أدى الى أن « أخفق الدين ، فى القرن الرابع عشر ، اخفاقا أدى الى نشوب الثورة ، على طول جبهة العقائد المسيحية » [٥] — على حد تعبير ول ديورانت .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠٦ .

(2) HUDSON, WILLIAM HENRY : The Story of the Renaissance ; Goerge G. Harrap and Company Ltd., London, 1928, p. 145.

(٣) د. م. تيريز : الكشف العملى — ترجمة احمد محمد سليمان — مراجعة د. محمد جمال الدين الفندى — العدد (٥) من ( العلم للجميع ) — دار الكاتب العربى ، للطباعة والنشر ، ص ١٥ .

(٤) انور الجندى : الاسلام والتكنولوجيا — دار الاعتصام — ١٩٧٧ ، ص ٩١ .

(٥) ول ديورانت : قصـة الحضـارة — الجزء السادس ، من المجلد الرابع (١٧) ( عصر الايمان ) ( مرجع سابق ) ، ص ١٥٦ .

وقبله أن يغزو الاسلام . العالم الغربى المسيحى ، ويحطم كنيسته •• كان لابد من غزوه فى عقر داره ، والقضاء عليه •• من وجهة نظر الكنيسة •

وهذا هو السبب ، الذى من أجله قامت ( الحروب الصليبية ) ، التى أعلنت رسميا ، فى نهايات القرن الحادى عشر الميلادى — أى فى نفس الوقت الذى بدأ فيه ( الغزو الفكرى ) الاسلامى ، يقتحم أوربا •• خاصة بعد تلك الخطبة الشهيرة ، « التى ألقاها البابا أربان ، بمدينته كليرمون الفرنسية ، ليفتتح بها الحملات الصليبية على الاسلام » [١] •

ولقد استعرضنا أسباب الحروب الصليبية ، فى الكتاب الثانى عشر من كتب السلسلة ، عن ( الدولة الاسلامية ، والدولة المعاصرة ) [٢] ، ورأينا أنه كانت لهذه الحروب ، دوافع دينية واقتصادية واجتماعية وسياسية [٣] — ولكن أهم هذه الدوافع على الاطلاق ، كان الدافع الدينى ، وما أصاب المسيحية وكنيستها ، منذ ظهور الاسلام ، وبسبب ظهوره ، فان « رجال الكنيسة لم يستطيعوا حتى نهاية العصور الوسطى ، أن ينسوا الخسارة . التى لحقت بهم وبكنيستهم ، نتيجة لانتشار الاسلام ، مما جعلهم يشعرون دائما بالرغبة فى الانتقام ، من الاسلام والمسلمين » [٤] •

ولأغراض سياسية بحتة ، تركز الدراسات العربية ، على (غربية) الحروب الصليبية ، أى على انتساب هذه الحروب الصليبية الى

---

(١) محمد صبيح ( مرجع سابق ) ، ص ٢٥٢ .
(٢) دكتور عبد الغنى عبود : الدولة الاسلامية . والدولة المعاصرة ( مرجع سابق ) ، ص ٦٧ — ٧٠ .
(٣) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، صفحة مشرقة فى تاريخ الجهاد العربى ، فى العصور الوسطى — الجزء الأول — الطبعة الثانية — مكتبة الأنجلو المصرية — ١٩٧١ ، ص ٢٧ — ٤١ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٥٠ .

الكنيسة الغربية ( الكاثوليكية ) وحدها ، ناسية دور المسيحية الشرقية ، والمسيحيين الشرقيين فيها — وهى مغالطة تاريخيـة ، نكتفى هنـا بالاشارة اليها ،مؤجلين الحديث عنها الى الفصل القادم ، عند الحديث عن ( المسيحية والاسلام ) •

**الاصـلاح الدينى :**

رأينا فيما سبق ، أن ظهور الاسلام وانتشاره السريع ، حتى وصل الى أوربا ، كان مما زعزع الكنيسة ونفوذها ، من خـلال ما مثله من ( غزو فكرى ) ، أخـذ يقتحم أوربا ، عن طريق طـلاب العلم الذين تعلموا فى الجامعات الاسلامية ، مما أدى الى ( التفكير ) فى المعطيات المسيحية ، من كثيرين [١] — « حتى كان القرن الخامس عشر المسيحى ، فظهر ( مارتن لوثر ) Martin Luther فى ألمـانيا ، فقام باصـلاح محدود قاصر ، ينحصر فى مسائل جزئية » [٢] •

وبالرغم من تسمية حركة مارتن لوثر ( ١٤٨٣ — ١٥٤٦ ) بحركة الاصلاح الدينى Reformation ، فان الاصلاح الدينى ، كان أبعـد بكثير ، مما يفكر فيه مارتن لوثر ، وان كان قـد اضطر اليه بعد ذلك اضطرارا •• لم يرد اليه ، وما كان يحبه •

ذلك أنه كان يعيش فى عصر « البابا ( لاون ) العاشر » ، الذى « توسع » « فى منح الغفرانات ، التى لم يكن أسـلافه يمنحونها ، الا لمن يشترك فى حرب صليبية ، أو ينشىء كنيسة ، أو يقوم بنحـو هـذا ، من الأمور الدينية ، فأرسل كثيرا من أتباعه ، الى أقطار أوربا ، يبيعون الغفرانات لأهلها بالدراهم ، لتمحى بها ذنوبهم ، ولا يحاسبون عليها فى الآخرة ، فأخـذوا يجولون فى هـذه الأقطار ، وهم ينادون بالبركات الروحية ، ويبيعون الغفرانات للعامة ، بأبخس الأثمان ، حتى

---

(١) ارجع الى ص ١٣٢ وما بعدها من الكتاب .

(٢) أبو الحسن النـدوى : رجال الفـكر والدعوة فى الاسلام — الطبعة الرابعة — دار القلم بالكويت — ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤م ، ص ٣٠ .

نفرت منهم قلوب الملوك والأمراء ، لأنهم رأوا أموال رعاياهم تذهب الى خزينة البابا ( لاون ) العاشر ، لينفقها فى شهواته وملذاته » [١] .

وقد احتج مارتن لوثر على هذا التصرف .. مجرد احتجاج ، بوصفه واحدا من رجال الدين المسيحى ، شجعه عليه الأمراء الألمان ، الذين كانت تربطه بهم صلة قوية .. ومن ثم سمى أتباعه والمؤيدون له بالبروتستانت .. أى المحتجين Protestant .

ولما كان احتجاج مارتن لوثر على بيع صكوك الغفران ، مما يمس « السلطة البابوية من أساسها ، فقد سارع البابا الى انكار عقائد لوثر ، والى دعوته الى الخضوع للسلطة الدينية ، بلا شرط ولا قيد ، ولكن هذا المصلح الثائر ، أحرق كتاب البابا ، وقانونه الاكليركى ، على مشهد من الناس ، فأعلن البابا حرمانه من رحمة الكنيسة ، بحيث أصبح من واجب السلطة الزمنية ، طبقا للتقاليد القديمة ، ( أن تنقله من نار الدنيا ، الى نار الآخره ) ، حتى لا يتبين أن هذا الراهب الوضيع ، أقوى نفوذا من البابوية والامبراطورية معا » [٢] .

وكأن المسألة ، كانت مجرد ( احتجاج ) على تصرفات البابا والكنيسة ، لم يكن مارتن لوثر أول من فكر فيه ، فلقد سبقه اليه مثلا : ويكليف Wycliff ( ١٣٢٤ — ١٣٨٤ ) فى انجلترا ، وهس Huss ( ١٣٧٣ — ١٤١٥ ) فى بوهيميا ، وارازمس Erasmus ( ١٤٦٧ — ١٥٣٦ ) ، أشهرهم جميعا — الا أن اصلاحات كل منهم كانت محدودة ، فى ( اطار ) الكنيسة ذاته ، ومن ثم لم يقم ( صدام ) بينهم وبين السلطة الكنسية ،

---

(١) عبد المتعال الصعيدى : المجددون فى الاسلام ، من القرن الأول الى الرابع عشر ( مرجع سابق ) ، ص ٣٦٢ .

وحقيقة اسم البابا هو ( ليو ) ، لا (لاون ) .. وربما عاد الاختلاف ، الى نطق الكلمة ، باللغة الفرنسية ، حيث يتعمد عدم نطق النون ، فى مثل هذه الحالة Leon .

(٢) محمد قاسم ، وحسين حسنى ( مرجع سابق ) ، ص ٤٤٥،٤٤ .

كما حدث مع مارتن لوثر ، الذى قطع صلته بالسلطتين الزمنية والدينية ، وعكف على « بحث العقائد على اطلاقهـا : فوضع أسس عقيدته الدينية ، وعقيدته السياسية ، التى تضمنت علاقة الكنيسة بالحكومة — فى مجلدات ثلاثة ، تعرف باسم ( رسائل الاصلاح Reformation Tracts » [١] — التى نسب اليها العصر كله ( عصر الاصلاح ) ، والتى كان واضحا تأثره فيها « بمبادىء الاسلام ، فى مثل ابطال الكهنوتية ، وتحريم صكوك الغفران » [٢] ، مما يؤكد أن مارتن لوثر ، كان « يضع أمامه نسخة من القرآن الكريم » ، الذى «كان قد نقل الى اللغة اللاتينية ، فى النصف الأول من القرن الثانى عشر للميلاد » [٣] .

ولقد أدى الى نجاح مارتن لوثر فيما ذهب اليه : عوامل عديدة ، سياسية واقتصادية واجتماعية .. كان أهمها ، أن « الجو العقلى والعاطفى فى أوربا ، كان معدا تماما ، للثورة على الكنيسة : سنة ١٥١٥ » [٤] ، بعد ما يزيد على عشرة قرون من ( التخريب ) الدينى فى الغرب ، كما مارسته الكنيسة ، حتى صار الانسان على يدها ، غير انسان ، مما كان واحدا من أسباب سرعة انتصار الاسلام وانتشاره ، « حتى لقد ظهر الحكم الاسلامى ، كأنه عقاب قد نزل ، بهؤلاء الذين

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٥ .

(٢) الدكتورة عائشة عبد الرحمن ( بنت الشاطىء ) : القرآن ، وقضايا الانسان — الطبعة الأولى — دار العلم للملايين — بيروت — ١٩٧٣ ، ص ١٠٥ .

(٣) الدكتور عمر فروخ : « اثر الرسالة الاسلامية ، فى الحضارة الانسانية » — **مجلة الأزهر** — مجلة شهرية جامعة ، تصدر عن مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر فى أول كل شهر عربى — الجزء الأول — السنة **الثانية والخمسون** — محرم/صفر ١٤٠٠ هـ — ديسمبر ٧٩ / يناير ١٩٨٠ م ، ص ٦٩ .

(4) THUT, I.N. ; Op. Cit., p. 92.

ضلوا الطريق السوى ، واتجهوا نحو الرذيلة » [١] — على حد تعبير السير توماس أرنولد •

ثم كان نجاح مارتن لوثر — فى الوقت ذاته — ذا آثار متعددة الحوانب على الحياة فى أوربا — سياسيا واقتصاديا واجتماعيا •• الخ ، ولذلك كان « من الصعب تحديد تاريخ معين لبدء هذا العهد (الاصلاح) ، فقد بدأ حيث انتهت العصور الوسطى ، فى أوقات مختلفة ، فى الدول المختلفة ، وفى ميادين النشاط المختلفة » [٢] ، وذلك حيث كانت ( قبضة ) الكنيسة ، تتفاوت فى شدتهـا ، من بلد أوربى الى آخر ، ومن ثم كان التفاوت بين دول أوربا المختلفـة ، فى الأخـذ بمبادىء مارتن لوثر ، أو التصدى لهذه المبادىء ، أو تطويرها لتناسب الواقع ، كمـا نجد فى دعوة كالفن Calvin ( ١٥٠٩ — ١٥٦٤ ) الاصلاحية ، التى هى تطوير لأفكار الاصلاح ، لتناسب ظروف الحياة فى جينيف [٣] •

ويرى ول ديورانت ، أن قصـة الصراع فى المسيحية ، هى هى قصة الصراع بين ثلاثة من أقطابها ، هم : المسيح ذاته ، والقـديس بطرس ، وبولس الرسول — وأن فكر القديس بطرس كان هو السائد فى ظل الكنيسة الكاثوليكية ، رغـم أن رجال الكنيسة فى العصـور الوسطى ، « لم يقيموا له الا قليلا من الكنائس ، وقلما كانوا يقيمون له تمثالا ، أو ينطقون باسمه • ومرت خمسة عشر قرنا من الزمان ، قبل أن يجعـل لوثر بولس ، رسول الاصلاح الدينى ، ويجـد فيه كلفن Calvin ، النصوص القائمة ، التى أخذ منها عقيدته الجبرية • وبهذا كانت البروتستنتية ، نصرا لبولس على بطرس ، وكان الاعتقاد بأن

---

(١) سير توماس و. ارنولد : الدعوة الى الاسلام ، بحث فى تاريخ نشر العقيدة الاسلامية — ترجمه الى العربيـة وعلق عليه : الدكتـور حسن ابراهيم حسن وآخران — الطبعة الثانية — مكتبة النهضة المصرية — ١٩٥٧ ، ص ١٥٥ .

(2) HUDSON, WILLIAM HENRY ; Op. Cit., p. 3.

(3) ULICH, ROBERT : The Education of Natoins, A Comparison in Historical Perspective ; Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, 1961, pp. 46, 47.

النجاة انما تكون بالايمان والعقيدة ، نصرا لبولس على المسيح » [١] .

وكانت مسألة نقل ( المبادرة ) ، من يد رجل الدين المسيحى ، صاحب الحق فى منح الغفران ، الى يد الرجل المسيحى ذاته ، بايمانه وعقيدته .. هى جوهر ( التغير ) الذى أدخله الاصلاح الدينى على الغرب ، فكانت هذه ( المبادرة ) ، هى ( المفتاح ) الى ما أصاب الغرب كله من تغير ، وذلك عندما شك الانسان الغربى ، فى أن « القسيس ، الذى تأكد من فساده ، يمكن أن يظل هو ( الواسطة ) ، الى محو ذنوبه عند الله » [٢] — على حد تعبير أوليخ .

وكانت أهم نتيجة لنقل هذه المبادرة ، أن صار الناس ( يرون ) الأشياء ، بعد أن كان رجال الدين هم الذين يرونها لهم ، ومن ثم حدث « تغير أساسى ، فى اتجاه الناس نحو أنفسهم ، ونحو عالمهم الذى يعيشون فيه » [٣] — على حد تعبير هدسون ، كانت نتيجته ، ذلك « النشاط العقلى الواضح ، والنشاط الحيوى ، فى كل مجال » [٤] .

وبذلك « أصبحت الحياة ديناميكية ، دائمة التغير ، والعلم ، والثروة ، والتكنولوجيا ، فضلا عن أنها أسباب ، هى نتائج مباشرة لهذه الحقيقة . ان الانسان لم يعد مجرد عامل ذليل ، فى مزرعة الله ، ولكنه صار مغامرا جسورا » [٥] .

وهكذا ، « انتشرت روح جديدة ، فى كل مكان » ، « فى العلم والفلسفة والدين ، وفى الأدب والفن » [٦] — نتيجة لهذا التغير ،

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث ، من المجلد الثالث (١١) ( قيصر والمسيح ، أو الحضارة الرومانية ) ( مرجع سابق ) ، ص ٢٧٠ .

(2) ULICH, ROBERT ; Op. Cit., p. 33

(3) HUDSON, WILLIAM HENRY ; Op. Cit., p. 3.

(4) Ibid., p. 7.

(5) ULICH, ROBERT ; Op. Cit., p. 45.

(6) HUDSON, WILLIAM HENRY ; Op. Cit., p. 3.

فى نظرة الانسان الى نفسه ، والى العالم المحيط به — بعد الاصلاح ، فان « حركة الاصلاح الدينى — وخصوصا دعوة كالفن ، الذى استمد البيوريتان(*) عقائدهم الدينية منه ، كان من نتائجهـا الاجتماعية ، بغض النظر عن مغزاها الروحى ، التقشف فى الحياة الدنيا ، أى أن يروض المرء نفسه ، على أن يبذل فى القيام بعمله أو مهنته ، قصارى جهده . والبروتستانتى ليس له من بابا أو كاهن ، يروده بالارشادات الروحية ، ويحله من خطاياه ، بل يجب عليه فى النهاية ، أن يعتمد على ضميره ، وعلى ايمانه ، مما شجع على ظهور نظام خاص ، يفرضـه الرجل على نفسه . وان هـذا الانكار الشديد ، للملذات والعواطف — الذى يتمثل فى قوانين البيوريتان الصارمة ، التى يطلق عليها اسـم ( القوانين الزرقاء ) — يولد فى النفس ، اتزانا وتجـردا ، يمهـدان الطـريق ، للمنهج العقلى . ثم ان دعـوة كالفن — على النقيض من الكاثوليكية ، وحتى دعوة لوثر — لا تشدد على أن نظام الدنيا الحالى ، هو من خلق الله ، بل تذهب الى أن الانسان أفسده بخطاياه . فليس واجب المرء الدينى ، أن يكيف نفسه مع هـذا العالم الشرير ، ولا أن يبتعد عنـه ، ليقبع فى دير من الأديرة ، بل أن يعمـل على تغييره ،

---

(*) جماعة البيـوريتان Puritans ، هم جماعة من المتطرفين البروتستانت ، الذين ظهروا فى انجلترا ، بعد انتشار الحركة البروتستانتية بها بعـد الاصـلاح ، والذين رفضوا التصالح مع الكنيسة الكاثوليكية ، أو التفاهم معها ، لانهـاء الحرب بين الكاثوليك والبروتستانت . ومن ثـم وقفـوا فى وجه الكنيسة الانجليكانية ، الانجليزية ، والحكومة الانجليزية التى تحميها ، بسبب موقفهما غير الحازم من قضية الحرب تلك . ولم ينضم البيـوريتان الى الكنيسـة الانجليكانيـة ، الا عنـدما تعرضت المذاهب البروتستانتية كلهـا للخطر ، بعد أن دبت الحياة فى الكاثوليكية من جديد ، على اثر انقسام الحركة البروتستانتية .

والى جماعة البيوريتان هؤلاء ، ينتمى المفكر والفيلسوف الانجليزى ، جـون لـوك John Locke ( ١٦٣٢ — ١٧٠٤ ) ، الذى ( فلسف ) الحياة الأوروبية بعد الاصلاح الدينى ، فكانت آراؤه هى ( المنبع ) ، الذى استمد منه كل فلاسفة أوربا المحدثين افكارهم ، من امثال جان جاك روسو ، وفولتير ، ومونتسكيو ، وآثار افكار هؤلاء ، فى التاريخ الأوربى المعـاصر ، معروفة .

ومما تجـدر الاشارة اليه ، أن معظم المهاجرين الى القارة الأمريكية بعد اكتشافها ، كانوا من هؤلاء البروتستانت المتطرفين — أو البيوريتان .

( تمجيدا للرب ) ، عن طريق الجهـود المنهجية فى حيـاته اليومية ، وأعماله العـادية » •

« فالبروتستانتية اذن نقلت الحرص المتقشف على العمل الشاق »، « من حياة الدير والتنسك ، التى كاد هـذا الحرص والتقشف ، يقتصر عليها من قبل ، الى شئون الحياة الاقتصادية الدنيوية • ومع أن هذه الغاية الصريحة ، من حركة الاصلاح الدينى ، كانت تتعلق بالحيـاة الأخرى ، لا بالحيـاة الدنيـا ، الا أن الاسـتعداد النفسى ، الذى خلقته ، كان من نتائجه التى لم يحسب حسابهـا ، العمل على قلب أوضاع العالم الدنيوى » ، و « لولا هـذا الاستعداد ، والاقبال على الجهـد غير المنقطع ، والمسلك العقلى ، باعتبارهما قيمتين أخلاقيتين بحد ذاتهما ، لمـا قامت الرأسمالية ، ولمـا قامت كذلك البيروقراطية المكتملة النضج ، لأنها هى أيضا ، تعتمد على المسلك العقلى » [١] •

وهكذا كان الاصلاح الدينى فى الغرب ، بكل فروعه ، ( اقرارا ) مسيحيا ، بما صارت حياة المسيحيين الغربيين اليه بالفعل ، من فساد ، وانحلال خلقى ، وانغماس فى هـذه الحياة الدنيا ، استمتاعا بهـذه الحياة أول الأمر ، ثم حلا لمشاكلها بعد ذلك •

وهكـذا ، أدى الاصـلاح الدينى فى الغـرب « الى تحقيق ( المصالحة ) ، بين الانسان الأوربى وعقله ، وتحقيق ( المصالحة ) بينه وبين العلم ، وتحقيقهـا بينه وبين الكون » ، ثم « الى ذلك التقـدم العملى ، والرقى الحضارى ، الذى بلغ ذروته فى هذا القرن العشرين ، بحيث صارت ( الحضـارة الأوربية ) ، نموذجا تحتذيه البلاد الراغبة فى التقدم ، شيوعية كانت أو رأسمالية ، مسيحية أو اسلامية ، بعيدة عن القارة الأوربية ، أو قريبة منها •

---

(١) بيتر م. بلاو : البيروقراطيـة فى المجتمع الحـديث — ترجمـة اسماعيل الناظر ، ومعد كيـالى — دار الثقـافة — بيروت — ١٩٦١ ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

ولكن هــذا التقدم ، تم .. على حساب المسيحية ذاتها » [١] .

ولم يقف هــذا التعلق بالدنيا ، عند حد البروتستانت ، بل ان ( العدوى ) قد انتقلت الى الكاثوليكية ذاتها ، فانغمست فى الدنيا الى ذقنها ، لتعيش الى جانب البروتستانتية .

ومنذ قرن من الزمان تقريبا ، زار رفاعة الطهطاوى ( ١٢١٦ — ١٢٩٠ هـ = ١٨٠١ — ١٨٧٣ م ) ، فرنسا ، فلفت نظره فيها ، أن « دين الدولة هو دين النصارى القاثوليقية » ( أى الكاثوليك ) ، « وهــم يعترفون ( للبــابه ) ( أى للبابا ) ، الذى هو ملك رومة ، بأنه عظيم النصارى ، وكبير ملتهم » ، « وقــد يوجد بباريس الملة النصرانية ، المسماة البروتستانتية وغيرها ، ويوجد بها كثير من اليهود المستوطنين ، ولا وجــود لمسلم مستوطن بها . وقــد أسلفنا أن الفرنساوية على الاطلاق ، ليس لهم من دين النصرانيــة ، غير الاسم ، فهم داخلون فى اسم الكتابيين ، فلا يعتنون بما حرمه دينهم أو أوجبه ، أو نحــو ذلك » [٢] .

كمــا لفت نظر الشيخين جمال الدين الأفغــانى ومحمد عبده ، فى المجتمعــات المسيحية كلهــا ، أن المسيحيين عموما ، « يتسابقون فى المفاخرة والمباهاة ، بزينة هــذه الحياة ، ورفه العيش فيهــا » ، « ويسارعون الى افتتاح الممالك ، والتغلب على الأقطــار الشاسعة ، ويخترعون كل يوم فنا جديدا من فنون الحرب ، ويبدعون فى اختراع

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : الاسلام والكون — الكتاب الثالث من سلسلة ( الاسلام وتحديات العصر ) — الطبعة الأولى — دارالفكر العربى — مايو ١٩٧٧ ، ص ٨٣ ، ٨٤ .

(٢) « كتــاب تخليص الابريز ، فى تلخيص باريز » أو « الديوان النفيس ، فى ايوان باريس » — **الأعمال الكاملة ، لرفاعة رافع الطهطاوى** — دراسة وتحقيق : محمد عمــارة — الجزء الثانى ( السياسة والوطنيــة والعربيــة ) — الطبعة الأولى — المؤسسة العربية ، للدراسات والنشر — بيروت — تشرين أول ( أكتوبر ) ١٩٧٣ ، ص ١٥٥ .

الآلات الحربية القاتلة » ، مع أن « الديانة المسيحية بنيت على المسالمة والمياسرة فى كل شىء » ، « ونبذ الدنيا وبهرجها » [١] .

ولكن ( التحول ) الجذرى الذى أصاب المسيحية بالاصلاح الدينى ، هو الذى يفسر لنا ذلك كله ، فى نظر ألبير كامى ، حيث « تختفى ألوهية المسيح ، لتحل محلها ألوهية الانسان ، ومن ثم ينتهى العمل بمبدأ الوساطة المسيحى ، ويبدأ سقوط المسيحية ، ليعاود العالم اليهودى الظهور ، ويتربع على عرشه من جديد ، الههم يهوا ، اله الحرب ، ويهان كل الجمال ، كمصدر لأحاسيس متلكئة ، ولذات متعطلة ، وتمتهن الطبيعة ، ليستعبدها الانسان » [٢] .

**المسيحية والشيوعية :**

برغم كل عيوب الكنيسة فى العصور الوسطى ، فقد كانت هى التى حافظت « الى حد ما ، على وحدة أوربا الغربية ، التى حققتها الدولة الرومانية ، وحافظت كذلك شعائرها وعظاتها ومدارسها ، على تراث رومانى ، لم يبق له وجود فى هذه الأيام » [٣] .

وما أن سقطت الكنيسة ، حتى سقطت ( الوحدة ) الأوربية ، وبدأت سلسلة طويلة من الصراع ، بين امارات أوربا المختلفة ، قبل أن تستقر على وضعها الحالى ، نسيجا مهلهلا ، متنافرة أجزاؤه ، بين بلاد كاثوليكية ، وأخرى بروتستانتية ، وبين بلاد رأسمالية ، وأخرى شيوعية .. وقد كان هذا النسيج ، المتنافرة أجزاؤه اليوم ، فى العصور الوسطى ، يكون كيان أمة واحدة [٤] ، يتحدث أبناؤها بلغة واحدة ،

---

(١) جمال الدين الأفغانى ، والشيخ محمد عبده : العروة الوثقى — الطبعة الأولى — دار الكتاب العربى — بيروت — لبنان — ذو الحجة ١٣٨٩ هـ — شباط ( فبراير ) ١٩٧٠ م ، ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) البير كامى ( مرجع سابق ) ، ص ١٨٦ .

(٣) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء السادس من المجلد الرابع (١٧) ( عصر الايمان ) ( مرجع سابق ) ، ص ١ .

(4) BENIANS, SYLVIA ; Op. Cit. p. X.

ويجمع بينهم تراث روحى واحد ، « يتحقق لهم من خلاله ذلك النظام ، الذى حلم به أفلاطون فى جمهوريته » [١] • وقد أدى ( تمزق ) الجسد الأوربى على هـذا النحو ، بعد ( تحطيم ) الكنيسة ، التى كانت تربط بين أجزائه •• الى قيام سلسلة من الحروب ، هـددت أمن الأوربيين جميعا ، وحولت امارات أوربا المختلفة ، الى فوضى ، دفعت بالطامحين والطـامعين ، الى السيطرة على المقـدرات ، ودفعت بالمفكرين الى الأحلام •• تماما كما فعـل أفلاطون Plato ( ٤٢٧ — ٣٤٨ ق•م ) ، عندما انهارت أثينا بين يديه ، فكانت ( الجمهورية ) و ( القوانين ) ، هما حله لمشكلتها ، باعتبارهما الاطار الواجب ، لمجتمع مثالى ، يعيش الجميع فى ظله آمنين •

وقد كان أول الحالمين بهذا المجتمع المثالى ، على طريقة أفلاطون ، هـو السير توماس مور Sir Thomas More ، مستشار ملك انجلترا ، الذى « نشر سنة ١٥١٦ مؤلفا باللغـة اللاتينية ، عن جزيرة أيتوبيا الجديدة ، أو ( جزيرة الخيال ) » ، يصف ( فيـه ) هيئة اجتماعية شيوعية » [٢] ، « متأثرا فيه بطريقة مباشرة ، بأفلاطون ، وقد اعترف بذلك صراحة » [٣] •

وقـد عادت أفـكار السير توماس مور ( الطوباوية ) تلك الى الظهور مرة ثانية ، بشىء من التطوير ، على يد هوبز Hobbes وهارنجتن Harington فى انجلترا أيضا — وعلى يد فولتير ومونتسيكيو وجان جاك روسو •• وكانت ثمرتها ، هى ( الثورة الفرنسية ) ، حيث رأى الثوار ، « أن الأرض الفرنسية ، تصلح لتطبيق هـذه المبادىء » [٤] •

---

(1) HANS, NICHOLAS : Comparative Education, A Study of Educational Factors and Traditions ; Routledge and Kagan Paul Limited, London, 1968, p. 88.

(٢) الدكتور عبد الحليم الرفاعى : الاقتصاد السياسى — الجـزء الأول — الطبعة الأولى — ١٩٣٦ ، ص ٥٤ .

(3) HANS, NICHOLAS ; Op. Cit., p. 195.

(٤) الدكتور عبد العزيز محمد الشناوى : دراسات فى تاريخ أوربا فى القـرن التاسع عشر — دار النهضة العربية — ١٩٦٤ ، ص ٦ .

ومن أجل ذلك ، رحب الفلاسفة الأوربيون « بالثورة الفرنسية » ، « رغم اشفاقهم من الارهاب » ، و « تحمسوا لتنظيم الدولة والمجتمع على أساس عقلى ، من أجل حماية حريات الفرد ومصالحه » (١) .

وقد كان نجاح الثورة الفرنسية ، مما جعلها تطمع فى توحيد أوربا من جديد ، تحت لوائها ، على نحو ما عبر به نابليون سنة ١٧٩٧ ، حيث قال ، بعد توليه السلطة : « لقد وصلت ، لا الى عرش لويس الرابع عشر ، بل الى عرش شارلمان » ، و « ان المجتمع الأوربى يجب أن يتجدد ، ويجب على أسمى قوة فيه ، أن تحكم القوى الأخرى ، وتجبرها على أن تعيش فى سلام ، مع بعضها البعض . وفرنسا هى خير من يستطيع أن يقوم بهذا الدور فى أوربا » (٢) .

وكأنما أراد نابليون ، أن يعود الى مجتمع أوربا العصور الوسطى ، على أن يكون هو البابا ، الذى يحكم العالم المسيحى ، أو شارلمان ، الذى يشارك البابا هذا الحكم ، على أقل تقدير .

وكان هذا ( التطلع ) الى حكم العالم المسيحى الغربى ، مما أيقظ فى كل جزء من أجزائه ، ذلك المفهوم الجديد ، الذى بدأ نابليون بزرعه فى فرنسا ، فانتقل منها الى بقية أجزاء القارة .. وهو مفهوم ( القوميات ) ، الذى يعنى أن كل جماعة من الجماعات ، التى كانت تسكن أرضا معينة ، راحت تلتمس لنفسها ( ملامح مشتركة ) ، تربط بين أفراد هذه الجماعة ، وتعمل من خلالها على دعم وجودها واستقلالها ، ضد أى تهديد خارجى ، وبسط نفوذها خارج حدودها ، ان تيسر لها هذا البسط ، كما فعل نابليون ، مع أرض الراين Rhineland ، التى اقتطعها من دولة بروسيا ( التى كانت ألمانيا

---

(١) عبد الفتاح الديدى : فلسفة هيجل — مكتبة الأنجلو المصرية — ١٩٧٠ ، ص ٣١ .

(2) COUPLAND, R. (Selected by) : The War Speeches of William Pitt, The Younger ; Third Edition, Oxford, at the Clarendon Press, 1940, p. XI, from the Introduction.

الحالية جزءا منها ) ، « وفرض عليها طوال عشرين عاما ( من سنة ١٧٩٥ الى سنة ١٨١٥ ، حيث أعيدت أجزاء كثيرة من أرض الراين الى ألمانيا ، بعد مؤتمر فيينا ) — الأفكار الفرنسية ، واللغة الفرنسية ، والقانون الفرنسى ، وبذلك أفقد هذه الأرض ، استقلالها السياسى ومقوماتها الثقافية ، وشخصيتها القومية أيضا » [١] .

واذا كانت فرنسا ، قد حاولت أن تكون هى ( روما ) الجديدة ، فان ألمانيا هى الأجدر بأن تكون ( روما ) ، من وجهة نظر الألمان ، كما عبر عنها فيلسوفها فيخت Fichte ، فى كلماته التى وجهها الى الأمة الألمانية ، فى شتاء ١٨٠٧/١٨٠٨ [٢] ، حيث رأى أن ألمانيا هى وحدها القادرة من بين دول أوربا ، « بحكم موقعها الجغرافى ، وظروفها التاريخية ، على أن تقود العالم » [٣] — من خلال قيادتها لأوربا بطبيعة الحال .

وهكذا كانت ( النعرة القومية ) ، التى فجر شرارتها نابليون فى فرنسا ، قد انتقلت عدواها الى كل أنحاء القارة ، وبذلك حل « التعصب الوطنى ، محل التعصب الدينى ، الذى كان سائدا فى القرن السابع عشر » [٤] — متمثلا فى سلسلة الحروب بين الكاثوليك والبرونستانت ، حتى عرف القرن التاسع عشر « فى أوربا ، بأنه عصر القوميات » [٥] .

ومع ( النعرة القومية ) ، الراغبة فى السيطرة والتحكم ، أو المدافعة

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : الأيديولوجيا والتربية ، مدخل لدراسة التربية المقارنة ( مرجع سابق ) ، ص ٤٤ .

(2) HANS, NICHOLAS, Op. Cit., p. 213.

(3) Ibid., p. 219.

(٤) أحمد أمين : « الانسانية والقومية » — **فيض الخاطر** — الجزء الثالث — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٤٢ ، ص١٣١ .

(٥) عمر فروخ : تجديد التاريخ ، فى تعليله وتدوينه ( اعادة النظر فى التاريخ ) — الطبعة الأولى — دار الباحث ، للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت — لبنان — ١٤٠١ هـ — ١٩٨٠ م ، ص ٢٦٤ .

عن الحدود ، على الأقل ، بدأ التقدم العلمى ، تمكينا للراغب فى السيطرة من أن يسيطر ، وتمكينا للمدافع عن حدوده ، من أن يدافع عنها •
ومن هنا ارتبطت ( الثورة القومية ) ، ( بالثورة الصناعية ) •

ومع ( الثورة الصناعية ) ، بدأت الرأسمالية الحديثة ، وبدأت سلسلة أخرى من الصراع ، لا بين الدول الأوربية بعضها البعض ، ولكن بين أصحاب الأعمال والعمال ، فى داخل البلد الأوربى الواحد •

وهكذا أدى سقوط الكنيسة فى الغرب ، الى شيوع « الفوضى والغوغائية ، التى تمثلت فى ثورات تتفجر هنا وهناك ، وقد بلغت هذه الثورات ذروتها فى سنة ١٨٤٨ ، التى كان فيها فى كل بلد أوربى ثورة » [١] •

وفى مثل هذا الجو القلق ، يكون التفكير دوما ، فى البحث عن •• النظام •

وحول اعادة هذا ( النظام ) المفتقد ، دارت أحلام الفلاسفة والمفكرين ، من جديد •• فكانت آراء كانت Kant وفيخت Fichte وشيلنج Scheiling وهيجل Hegel وفيورباخ Feurbach وغيرهم •

غير أن هذه الآراء والأفكار •• المثالية ، كانت نسيجا مهلهلا ، لا يمكن أن تجتمع منه ( ملامح ) نظام متكامل •

ولم يتح لهذا النظام أن يوجد ، الا على يد كارل ماركس Carl Marx ( ١٨١٨ — ١٨٨٣ ) ، وفردريك انجلز Frederick Engels ( ١٨٢٠ — ١٨٩٥ ) ، اللذين قدما — لأول مرة فى التاريخ الحديث — ( اطارا متكاملا ) لنظرية محددة المعالم ، فصلاها لحل مشاكل الحياة ، فى مجتمع رأسمالى غربى معاصر •

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : الأيديولوجيا والتربية ، مدخل لدراسة التربية المقارنة ( مرجع سابق ) ، ص ٢٧٩ •

ويرى جالبريث ، أن ماركس ، قــد « أخــذ شرائح كثيرة من النسيج الانسانى ، ونسجها معــا : الطبقات الاجتمــاعية ، السلوك الاقتصادى .. » ، « ووضعها كلهــا على لوحة كبيرة ، انحدرت من أعمــاق المــاضى ، الى آفاق بعيدة فى المستقبل » ، وأنه لذلك « كان الرجل الوحيد ، الذى قدم تفسيرا كاملا ، متكاملا لدرجة كبيرة ، مع التجربة الانسانية » [١] .

وبالرغم من أن ماركس ، يرى أن النظــريات الســابقة عليه ، نظريات خيالية حالمــة ، أما نظريته هو ، فهى « وليدة النظام الرأسمالى الحاضر » [٢] ، فان الواقع يدل على أن أفكاره — بالفعل — « هى أثر مباشر ، للنظام ( الرأسمالى ) الحــديث » [٣] ، الا أنها لم تأت من فراغ ، ولم تعتمد على الواقع وحده ، بل استندت الى كل الآراء التى سبقته ، خاصة أفكار الفيلسوف الألمــانى هيجل ، « فمن غير هيجل ، يستحيل تصور ماركس » [٤] ، وان كان موقف ماركس من هيجل ، لم يكن موقف المؤيد دوما ، بل انه كثيرا ما رد عليه وعارضه ، تماما كما رد أرسطو على أستاذه أفلاطون [٥] .

وفى رد ماركس على هيجل ، فيما عارضه فيه ، كان متأثرا أيضا بمفكرين آخــرين ، من أمثال فيورباخ ، ولذلك يلاحظ أن « ماركس

---

(١) جون كينيث جالبريث : اضواء جديدة ، على الفكر الاقتصادى — ترجمة الدكتور خليل حسن خليل — مراجعــة الدكتــور سعيد النجار — دار المعــرفة — ١٩٦٢ ، ص ٨٨ .

(٢) الدكتور عبد الحليم الرفاعى ( مرجع سابق ) ، ص ٥٨ .

(٣) عبد الرحمن عزام : الرسالة الخالدة — الطبعة الأولى — مطبعة لجنة التأليف والترجمــة والنشر — ١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م ، ص ١٢٥ .

(٤) عصر الأيدولوجية — مجموعة من المقــالات الفلسفية ، قــدم لهــا : هنرى د. أيكن — ترجمة الدكتور فؤاد زكريا — مراجعة الدكتــور عبد الرحمن بدوى — رقم (٤٨٩) من ( الالف كتاب ) — مكتبــة الانجــلو المصرية — ١٩٦٣ ، ص ٨٩ .

(5) LLOYD, CHRISTOPHER ; Democracy and Its Rivals; An Introduction to Modern Political Theories ; Longmans, Green and Co. London, 1940, pp. 145 - 148.

لم يأت بجديد ، وانما من التلفيق بين ما قاله هيجل ، وما قاله فيورباخ ، أقام فلسفته » ، على أساس « مادية ( فيورباخ ) ، وجدلية ( هيجل ) » [١] ، « وان عارضها ماركس فى أمور كثيرة » [٢] .

وهكذا ، كان كارل ماركس ، فيما قدمه لنا من نظرية طوباوية ، أتيح لهـا أن تجد طريقها الى التطبيق ، فى الاتحاد السوفيتى ، بعد الثورة الفلسفية سنة ١٩١٧ ، ثم فى بلاد أوربا الشرقية بعد الحرب العالمية الثانية ، وفى الصين سنة ١٩٤٩ ، بعد تولى ماو تسى تونج السلطة .. كان — بحق — على حد تعبير جالبريت — « على جانب كبير من المعرفة ، وكانت أهـدافه هى أهـداف رجل ثورى ، ولكن أدواته ووسائله ، كانت أدوات العالم » [٣] ، ومن ثم كانت نظريته ، « وليدة النظام الرأسمالى الحاضر » ، وكانت « مستمدة من طبيعة الأشياء ، أو من دراسة التاريخ وملاحظة الواقع » [٤] ، بينما كانت النظريات السابقة عليه ، والتى تأثر بها بالضرورة ، « مستمدة من فكرة العدالة والمساواة والاخاء ، فى النظام الاجتماعى ، فالقائلون بهـا يريدون أن يبنوا نظاما اجتماعيا جديدا » [٥] .

وهكذا تجمع الدراسات ، على أن النظـرية المـاركسية ، قـد صيغت بكاملها ، « فى اطار الظروف الاقتصادية والاجتماعية ، والمناخ الفكرى العام ، الذى دعا الى تنظيم الحياة الاجتماعية تنظيما جديدا ، بعد أن أفلس الفكر البورجوازى ، وتناقضت تقاليده فى البلاد المختلفة ، وقصر عن أن يبرز فى نظرية علمية موحدة ، تفسر الحقائق التاريخية

---

(١) د. على محمد جريشة ، ومحمد شريف الزيبق : أساليب الغزو الفكرى ، للعـالم الاسلامى — الطبعة الأولى — دار الاعتصام بالقاهرة — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ١١٣ .

(2) SARUP, MADAN : Marxism and Education ; Routledge & Kegan Paul, London, 1978 ,p. 108.

(٣) جون كينيث جالبريث ( مرجع سابق ) ، ص ٨٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٨٣ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٨٣ .

المتجددة ، وتقوم الصراع فى ضوء التبدلات ، التى طرأت على طبيعة العلاقات الاجتماعية فى عصر ازدهار الرأسمالية والصناعة ، دون الانصراف الى الغيبيات ، والأفكار المجردة » [١] .

ولكن هذه الدراسات كلها ، نسيت الحقيقة الأساسية والوحيدة ، التى تقف وراء النظرية الماركسية ، وهى أنها رد فعل مسيحى ، وليست رد فعل ضد المسيحية ، كما يدعى كهنة الماركسية وشراحها ، حين يدعون مثلا أنها « مناقضة للدين ، لأنه فى عالم لا مكان فيه لغير المادة ، لا يكون هناك مكان لاله » [٢] .

ذلك أن المسيحية كما عرفها الغرب ، لم تكن هى المسيحية الحقة ، على نحو ما يعترف المسيحيون أنفسهم ، وانما كانت « مسيحية مارقة قومية » [٣] — على حد تعبير ول ديورانت ، تشرف عليها كنيسة قد انحطت « من الناحيتين الخلقية والروحية » [٤] — على حد تعبير السير توماس أرنولد .

وقد رأينا فى الفصل السابق ، كيف تسربت الوثنية الى المسيحية ، وأسباب هذا التسرب ، والطرق التى اتبعت ، حتى صارت المسيحية ، هى المعبرة عن الوثنية فى العصور الوسطى الأوربية [٥] — ثم رأينا عند حديثنا عن ( مفاسد الكنيسة ) ، فى مطلع هذا الفصل ، صورا كثيرة من مفاسد الكنيسة تلك [٦] .

ومن ثم فليس معقولا أن تكون الماركسية حربا على المسيحية ،

---

(١) دكتور عز الدين فودة : خلاصة الفكر الاشتراكى — دار الفكر العربى — ١٩٦٨ ، ص ١٤ .

(2) AFANASYEV, A. : Marxist Philosophy, A Popular Outline ; Third Editon, Progress Publishers, Moscow, 1968, p. 11.

(٣) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث ، من المجلد الرابع (١٤) ( عصر الايمان ) ( مرجع سابق ) ، ص ٣٦٣ .

(٤) سير توماس و. أرنولد ( مرجع سابق ) ، ص ٨٩ .

(٥) ارجع الى ص ٨٤ وما بعدها من الكتاب .

(٦) ارجع الى ص ١٢٤ — ١٤٢ من الكتاب .

وان كانت هى بالفعـــل حربا على كل الأديان السماوية الصـــحيحة ، وفى مقدمتها الاسلام • وانما المعقول ، هو أنها رد فعل مسيحى ، لواقع مسيحى كان قائما وقت صياغة النظرية ، تماما كما كانت البروتستانتية ، رد فعل للكاثوليكية •

واذا كان مارتن لوثر ، قــد استطاع أن ينقـــل ( السلطة ) من الكنيسة — والدولة — ليضعها فى يد ( الانسان ) المسيحى الفرد •• فلقــد جاءت المـــاركسية ، لتسير بالمسيرة المسيحية ، فى الطـــريق المضاد •• أى لتنزع هـــذه ( السلطة ) من يد الانسان ، وتضعها مرة ثانية •• فى يد الدولة ، التى وصفها هيجل — أستاذ كارل ماركس — بأنها « اله يمشى فى الأرض » [١] ، والتى لا تكتفى ( بحدود قومية ) ، تلتزم بها ، وانما تضع ( العالمية ) نصب أعينها ، أى تصر على السيطرة على العـــالم •

وقـــد أحسن أدولف هتلر ، الزعيم النـــازى المعروف ، وصف ماركس ، صـــاحب النظـــرية ، بقوله : « وقـــد كان كارل ماركس فى الحقيقة ، مجرد واحد من بين الملايين ، الذين تعرفوا بعين ثاقبة ، على مقتل عالم متعفن ، بالســـم المناسب له ، ولخص القضية كلها ، كمـــا لو كان بفنون سحرية ، فى حل مركز ، يصل بالعالم بسرعة ، الى تدمير الوجود المستقل ، للأمم الحرة على ظهر الأرض » [٢] •

لقد تفتتت أوربا الغربية بالاصلاح الدينى كمـــا سبق — ويبـــدو أن كارل ماركس أراد تجميعها من جـــديد •• بالارتداد مرة ثانية ، الى •• نظام العصور الوسطى [٣] •

---

(١) هـ. أ. ل. فشر : تاريخ أوربا فى العصر الحـــديث ( ١٧٨٩ — ١٩٥٠ ) — تعريب أحمـــد نجيب هاشم ، ووديع الضبع — ( جمعية التاريخ الحديث ) — دار المعارف بمصر — ١٩٥٨ ، ص ٢٠٣ .

(2) HITLER, ADOLF : My Struggle, Number, II ; The Paternester Library, 1937, p. 149.

(٣) نذكر هنا مجرد تذكير ، بأن المـــاركسية قـــد رسمت وخططت لبلاد أوربا الغربيـــة ، لا لروسيا القيصرية وغيرها من البلاد المتخلفة ... على نحو ما أشرنا كثيرا ، فى كتب سابقة من كتب السلسلة .

ويؤكد ذلك ، أن نظام كارل ماركس ، عندما أتيحت له فرصة التطبيق فى الاتحاد السوفيتى ، على يد لينين سنة ١٩١٧ ، قد نظم الحياة فى الاتحاد السوفيتى تنظيما شبيها بذلك التنظيم ، الذى كانت عليه الكنيسة الكاثوليكية ، فى أوربا بالعصور الوسطى ، بكل ما كان فيه من خير وشر •

بل ان الدارسين يلاحظون أن الماركسية — أو البلشفية — لم تستطع أن تتحول الى ( نظام ) ناجح ، الا باتخاذها هذا التنظيم ، حيث « لم تحرز البلشفية تفوقها ، الا بانتحال أساليب الدين ووسائله ، ومن هنا تدعى الآن ( دينا ) ! أما كتبها المقدسة ، فهى تعاليم كارل ماركس ، التى ينظر اليها بكل جلال ، باعتبارها كشفا والهاما ، كما ينظر اليها باعتبار أنها معصومة من أى خطأ • وللشيوعية شراحها ومريدوها ودعاتها ، وحتى شهداؤها ، ولها عقائدها وأصولها ، وبدعها الزائفة المرفوضة ، وهى تأخذ فى مطاردة الهراطقة ، وفى تصفية الزنادقة ، وفى اقامة محاكم التفتيش ، وفى عمل المذابح ضد المتشككين والمنكرين والمرتدين ، ولها طرائقها فى ( الالهام ) و ( الحرمان ) ، ولها معبد أوثانها وأيقوناتها ، الفاتيكان لديها هو الكرملين ، والوثائق البابوية هى كتابات ستالين ، ولها طقوسها ورموزها المعقدة ، مثل أى دين ، وانها لتشغل قلوب أتباعها ، بوعود الخلاص ، وآمال المستقبل ، والجزاء المنتظر فى نعيم الدنيا !! » [١] •

وقد أحسن ألبير كامى حسم هذه القضية ، حين رأى أن كارل ماركس ، كان « بورجوازيا ، ونبيا ثوريا فى نفس الوقت ، لكننا لم نعرفه كبورجوارى ، وعرفناه كنبى ثورى ، ومع ذلك ، فالبورجوازى ، يلقى كثيرا من الضوء ، على حياة النبى الثورى ، فثقافة ماركس البورجوازية ، استقت أصولها من المسيحية ، وكانت

---

(١) ميرزا محمد حسين : الاسلام وتوازن المجتمع — ترجمة فتحى عثمان — رقم (٣٥) من ( سلسلة الثقافة الاسلامية ) — دار الثقافة العربية للطباعة — ذو القعدة ١٣٨١هـ — مايو ١٩٦٢م ، ص ٧٨ ، ٧٩ •

المسيحية تاريخيا وعلميا ، بورجوازية ، وأثرت هـذه السيحية ، على مسيحية ماركس الثـورية ، مثلمـا تأثرت بالأيديولوجية الألمـانية ، والتمردات الفرنسية » [١] .

لقـد « كان ماركس ملحد الحادا مطلقا ، ولكنه كان مع ذلك ، يؤمن بكائن أعلى ، والكائن الأعلى هنا هو الانسان ، الذى أضفى عليه الكثير من صفات الله ، فى الديانات القديمة . فاذا كانت المسيحية قـد تسمت بالمسيحية ، وقدست المسيح ، فهو نفس الشىء مع الماركسية ، ونفس الشىء ، مع كل مسيحية تاريخية حتى المسيحيات الثورية » [٢] .

---

(١) البير كامى ( مرجع سابق ) ، ص ١٨٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٩ .

# الفصل الخامس

## المسيحية والاسـلام

**تقـــديم :**

خصصنا الفصل الثانى من الكتاب ، للحديث عن ( مولد المسيح ونشأته ) ، وتعرضنا فيه لكثير من ( القضايا ) المتصلة بهذا المولد ، وتلك النشأة [١] ، ولكثير من التناقض الذى ظهر فيها ، ولم نعلق على شىء من هـذا التناقض ، مؤثرين تأجيـل مثل هـذا التعليق ، الى هـذا الفصل .. حيث كان الاسـلام هـو الذى أنصف بالفعل المسيحية والمسيح ، بعد أن شوهت معالمهـا ، وشوهت صورته ، تشويهـا .. فى الأناجيل المعترف بها من الكنيسة ، وفى كتابات المفكرين المسيحيين ، الذين ظنوا أنفسهم يجلون الغموض حوله وحولها ، فاذا بهم يزيدون هـذا الغموض ، غموضا .

وقـد كان ذلك مما جعـل بعض المفكرين المسيحيين أنفسهم ، يشكون فى قضية المسيح والمسيحية ، ويعتبرونها وليدة خيال انسانى ، يحس بالشقاء ، كمـا استعرضنا من كلام ول ديورانت فى الفصـل الثـانى [٢] .

ومن ثم وقف هؤلاء المفكرون المسيحيون على جبهتين متقابلتين :

ـ جبهـة تنكر المسيح والمسيحية ، وتعتبر المسيح انسانا عاديا تماما ، لم يرق حتى الى ما كان عليه « الأنبياء والأسينيون والمعمدان » من طهروغقـة ، فانه « قبل عاهرا تائبة ، ضمن أتبـاعه » ولم يكن

---

(١) ارجع الى ص ٥١ ــ ٨٢ من الكتاب .
(٢) ارجع الى ص ٦٩ من الكتاب .

يأنف من مسرات الحياة الساذجة » [١] .

أما ما بدا على يديه من معجزات خارقة ، فان هذه الجبهة تراها أمورا عادية ، يمكن أن يقوم بها أى انسان ، « بقوة الايحــاء — أى بتأثير روح قوية ، واثقة من نفسها ، فى روح قابلة للتأثير » . « وهناك عاملان يدلان على أن هــذه المعجزات ظاهرة نفسانيــة : أولهمــا أن المسيح نفســه كان يعزو شفاء المرضى على يديه ، الى ( ايمــان من يشفيهم ) ، وثانيهما عجزه عن القيام بمعجزات فى الناصرة ، لأن أهلها فيما ظهر ، كانوا ينظرون اليه ، على أنه ( ابن النجار ) ، ولا يؤمنون بقواه غير العــادية » [٢] .

— والجبهة المقابلة ، ترى المسيح الها كاملا ، على نحو ما رأينا عند حديثنا عن ( الاطار الأيديولوجى للمسيحية ) ، فى الفصل الثالث من الكتــاب [٣] .

وعلى الساحة الواسعة بين الجبهتين ، ضاعت الحقيقة ، وضيعت معها العالم المسيحى كله ، حتى جاء الاسلام ، ليجلو لنا هذه الحقيقة .

ولنبدأ القاء الضوء على هــذه الحقيقة ، من خلال ما تعرضنا له من قضايا ، فى فصول الكتاب السابقة ، وخاصة ما تناولناه فى ( الاطار الأيديولوجى للمسيحية ) ، فى الفصل الثالث .

**الخطيئــة الأولى :**

رأينا عند حديثنا عن (الاطار الأيديولوجى للمسيحية) ، فى الفصل الثالث ، أن (الخطيئة الأولى) لأبى الخلق آدم ، كما وردت فى التوراة

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث ، من المجــلد الثالث (١١) ( قيصر والمسيح ، أو الحضارة الرومانية ) ( مرجع سابق ) ، ص ٢٢٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .
(٣) ارجع الى ص ١٠٤ وما بعدها من الكتاب .

( العهد القديم ) ، هي ( المحور ) ، الذى يدور حـولـه الفكر الدينى المسيحى كله (١) .

و ( الخطيئة الأولى ) ، التى تقول بها التوراة ، ويؤمن بها اليهود من خلالها ، كمايؤمن بها المسيحيون .. واردة أيضا فى القرآن الكريم — ولو على نحو آخر ، يربط فيه القرآن الكريم ، بين هـذه ( الخطيئة الأولى ) ، وبين خلق السموات والأرض ، وخلق الانســان ، ليكون له دوره على الأرض ، التى نزل اليها ، بعد هـذه ( الخطيئة الأولى ) :

— « هـو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ، ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ، وهو بكل شىء عليم . واذ قال ربك للملائكة : انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال : انى أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلهـا ، ثم عرضهم على الملائكة ، فقال : أنبئونى بأسماء هؤلاء ، ان كنتم صادقين . قالوا : سبحانك ، لا علم لنا الا ما علمتنا ، انك أنت العليم الحكيم . قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم ، قال : ألم أقل لكم : انى أعلم غيب السموات والأرض ، وأعلم ما تبدون ، وما كنتم تكتمون ؟ واذ قلنـا للملائكة : اسجدوا لآدم ، فسجدوا الا ابليس ، أبى واستكبر ، وكان من الكافرين . وقلنا : يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ، وكلا منهـا رغـدا حيث شئتمـا ، ولا تقربا هذه الشجرة ، فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها ، فأخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا : اهبطوا ، بعضكم لبعض عـدو ، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، انه هو التواب الرحيم . قلنا : اهبطوا منها جميعا ، فامـا يأتينكم منى هدى ، فمن تبع هداى فلا خـوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ، أولئك أصحاب النار ، هم فيهـا خالدون » (٢) .

---

(١) ارجع الى ص ١٠١ ، ١٠٢ من الكتاب .
(٢) قرآن كريم : البقـرة — ٢ : ٢٩ — ٣٩ .

ان كل ما حدث فى هـذه ( الخطيئة الأولى ) ، كان مقدرا من الله سبحانه ، ولم يكن يتم من وراء ظهره سبحانه ، حتى يندم على خلقه للانسان ، أو يحزن ويتأسف فى قلبه ، على حد تعبير التوراة ذاتها[١] ، وعلى نحو ما رأينا فى الفصل الثالث من الكتاب [٢] . لقد كانت « المشيئة العليا ، تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد فى الوجود ، زمام هـذه الأرض ، وتطلق فيها يده ، وتكل اليه ابراز مشيئة الخالق ، فى الابـداع والتكوين ، والتحليل والتركيب ، والتحوير والتبديل ، وكشف ما فى هـذه الأرض ، من قـوى وطاقات ، وكنوز وخامات ، وتسخير هـذا كله — باذن الله — فى المهمة الضخمة ، التى وكلها الله اليـه » [٣] .

فهى ( خطيئة ) مقصودة ، هدفها هو ( التطور ) بالانسان ، بحيث يكون أقدر على الحركة والتصرف فى شئون حياته .

ولم يكن ذلك كله ممكنا ، بدون أن تتوفر لهذا الانسان ، القدرة على ( الحركة ) ، والقدرة على ( التصرف ) فى الأمور ، وهمـا حركة وتصرف بمشيئة الله سبحانه ، وعلمه به مقدما ، كما يستدل على ذلك الطبرى من تفسيره لقوله تعالى « واذ قال ربك للملائكة ، انى جاعل فى الأرض خليفـة » — حيث يرى أنه من باب تكريم ( بنى آدم ) ، بدأ « بتنويهه بذكرهم فى الملأ الأعلى ، قبل ايجادهم » [٤] .

ذلك أن الملائكة ، بوصفهم أطهـارا أنقياء — على حـد تعبير عبد الله يوسف على — « يعيشون بلا عاطفة ولا انفعال ، على النقيض

---

(١) العهد القـديم : سفر التكوين — ١ : الاصحاح السادس ٦ .
(٢) ارجع الى ص ١٠٧ ، ١٠٨ من الكتاب .
(٣) سيد قطب : فى ظلال القـرآن — المجلد الأول ( الأجـزاء : ١ — ٤ ) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ٥٦ .
(٤) تفسير القرآن العظيم ، للامام الجليل ، الحافظ عماد الدين أبى الفـداء ، اسماعيل بن كثير ، القـرشى الدمشقى ، المتوفى سـنة ٧٧٤ هـ — الجزء الأول — ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م ، ص ٦٩ .

من الانسان ، الذى يمكن أن تقوده علطفته وانفعاله ، الى خطأ أوالى صواب — الى الارتفاع أو الى الهبوط • وقوة الارادة ، أو القدرة على الاختيار ، هى التى تحدد مصير الانسان ، ومن ثم فان الانسان الى حـد ما ، هو الذى يحدد مصيره بنفسه ، كما يستطيع أن يسيطر على الطبيعة ، ومن ثم فهو يقترب من ربه وخالقه من حيث الطبيعـة والامكانات ، وان كان الله هو المثل الأعلى له فى ذلك بطبيعة الحال »[١]•

ويلعب ابليس هنا ، دورا بارزا فى مسألة اقتراب الانسان من كماله هـذا ، وتمكينه من الحركة ، والقدرة على التصرف ، حيث كان الانسان — قبل الشيطان — مخلوقا بلا ارادة ، تسيره — كما تسير غيره من المخلوقات — الفطرة وحدها • أما بعد خلق الشيطان ، أو بعد فسوق الشيطان عن أمر ربه بعبارة أصح ، فقد بدأ الانسان يميز بين الخير والشر ، « ولم يكن بين الخير والشر من تمييز ، قبل أن يعرف الشيطان ، بصـفاته وأعماله ، وضروب قدرته . وخفـايا مقاصـده ونيـاته » [٢] •

وهكذا بلغت حكمة الله سبحانه من خلق الانسان ، وتفضيله على سائر المخلوقات ، مداها ، بوسوسة الشيطان له ، وعصيانه لأمر ربه ، ثم توبته اليه ، وقبول الله سبحانه لهذه التوبة ، على عكس ما يرى الفكر الدينى اليهودى / المسيحى ، وذلك لأن آدم — ( بهبوطه ) — قـد صار « عرضة للخير والشر ، لأنه مطالب بالخيرات ، وهو ممتحن بالشرور » ، « والخير ، هو القـدرة على الحسن ، مع القـدرة على القبيح ، وهو الاختيار المطلوب ، بين التمييز بين القدرتين » [٣] •

---

(2) ALI, ABDULLAH YUSUF : The Holy Qur-an, Text, Translation and Commentary, Volume One ; Third Edition, Hafner Publishing Company, New-York, U.S.A., 1946, p. 24.

(٢) عباس محمود العقاد : ابليس ( بحث فى تاريخ الخير والشر ، وتمييز الانسان بينهما ، من مطلع التاريخ ، الى اليوم ) — الطبعة الخامسة — دار نهضـة مصر ، للطبع والنشر — ١٩٧٤ ، ص ٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥ .

ومن ثم ففكرة ( الخطيئة الأولى ) ، فكرة ملفقة أساسا ، لتدور حولها الفكرة الأم فى أى دين — وهى فكرة الألوهية • وكان مبتدعو هذه الفكرة قد تأثروا فيها ولا شك ، كما تأثروا فى فكرة الألوهية ، بالديانات الوثنية الكثيرة ، التى غزت المسيحية من خلالهم ، على نحو ما ذكرنا فى مطالع الفصل الثالث من الكتاب [1] •

وبدون فكرة الخطيئة الأولى تلك ، ما كان ( الاله المخلص ) ، لينزل من عليائه ، ليخلص الانسان الذى يحبه ، وما كانت فكرة ( خلاص الروح ) لتأتى ، على هذا النحو الذى أتت عليه فى المسيحية •

ولكنه الخطأ فى (المقدمة) ، الذى لا يجر الا الى خطأ فى (النتيجة) المترتبة عليها ، ثم يجر الى خطأ أكبر فى البناء الكلى ، لم يكن هناك من سبيل الى الاقناع به ، سوى فرضه بالقوة ، على من لا يريدون الاقتناع به •• على نحو ما رأينا فى تاريخ المسيحية الطويل ، فيما سبق من فصول الكتاب ، وعلى نحو ما سنرى فيما بعد •

ويرى المرحوم عباس العقاد ، أنه قد « مضى عصر المسيح ، وجاء بعده عصر بولس الرسول ، وعقيدة الخلاص ، الموقوف على سلالة ابراهيم الخليل ، باقية مسلمة بين العبريين ، الجامدين على تقاليدهم ، وبين المسيحيين المتجردين من تلك التقاليد ، وانما أضيف اليها تفسير جديد لهذه البنوة وهو أنها بنوة روحية ، لا تتوقف على بنوة الجسد » •

« ثم تطورت هذه العقيدة الالهية ، بعد ظهور المسيحية ، فانتقلت من الايمان بالاله ، لأبناء ابراهيم فى الجسد ، الى الايمان بالاله لأبناء ابراهيم فى الروح • وانقضى عصر السيد المسيح ، وعصر بولس الرسول ، واتصلت المسيحية بالأمم الأجنبية ، وفى مقدمتها الأمة المصرية ، فشاعت فيها على أثر ذلك ، عقيدة الهية جديدة فى مذهب

---

(١) ارجع الى ص ٨٣ وما بعدها من الكتاب •

العربيين ، وهى عقيدة الثالوث المجتمع ، من الآب والابن والروح القدس ، وفحواها أن المسيح المخلص ، هو ابن الله ، وأن الله أرسله فداء لأبناء آدم وحواء ، وكفارة عن الخطيئة التي وقعا فيها ، عندما أكلا من شجرة المعرفة فى الجنة ، بعد أن نهاهما عن الاقتراب منها .. » (١) .

ولم يكن غريبا ، أن يرى دعاة المسيحية ، أن المسيح ، هو هو يهوه ، اله اليهود ، « فالرب يسوع اذا ، هو ذاته يهوه المخلص ، الذى لا غيره يهوه ، ولا غيره مخلص ، لأن الله لا يعطي مجده لآخر » (٢) — وأن يرى هؤلاء الدعاة ، ذلك التشابه القوي بين المسيح ، وآلهة المصريين القدماء ، وخاصة هوراس ، الا أنهم يرون « التعليم الدائر حول عبادة هوراس ، أفرغ فى قالب الغموض والابهام كسائر تعاليم الديانة المصرية القديمة ، ولكن يظهر أن خلاصته ، هى أن هوراس هذا ، كان ابنا وحيدا للاله العظيم أوزيرس ، وقد جاء الى الأرض قبل الانسان ، بأحقاب طويلة ، وكان الفارس المحارب لأجل الحق ، المجاهد ضد الخطأ ، ولم تنسب اليه الا الأعمال الشريفة السامية . أما مكانته بالنسبة للانسان ، فكان بمثابة المنقذ المبرر ، وكان الاعتقاد السائد ، أن النفس بعد الموت تجوز شيئا أشبه بالمطهر ، حيث تلاقى مخاطر شتى ، فتقهرها كلها بمعونة هوراس ، وأخيرا عندما تأتي النفس للدينونة ، أمام أوزيرس ، ينبرى عنها هوراس ، ويتشفع عنها ، ويكفل لها خلاصها .

ومما يزيد هذا التشابه ، أهمية الألقاب التى أطلقت على هوراس ، فقد دعى ( ابن الآب الوحيد ، وكلمة الآب ، ومبرر الأبرار ، والملك الأبدى الخ ) ، غير أن هذه الألقاب عديدة ومتناقضة ، ومنها

---

(١) عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام ، وأباطيل خصومه ( مرجع سابق ) ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

(٢) القمص ابراهيم جبرة : المولود من العذراء ( مرجع سابق ) ، ص ٧٦ .

ما يشبه ألقاب المسيح ، ومنها ما ليس كذلك ، وقد أطلق كثير منها على الآلهة الأخرى » (١) .

كما يرى قسيس سابق ، أن اليهود كانوا « يشتركون مع الكنعانيين والمؤابيين والفينيقيين والقرطاجنيين ، وغيرهم من الشعوب ، فى عادة التضحية بطفل ، بل بطفل محبوب ، لاسترضاء السماء الغضبى .

ثم أصبح فى الامكان على توالى الأيام ، أن يستبدل بالطفل ، مجرم محكوم عليه بالاعدام » . « وأغلب الظن أن التضحية بحمل أو جدى فى عيد الفصح ، ليست الا تخفيفا لهذه التضحية البشرية » . « وهذه الفكرة كانت أكثر قبولا لدى الوثنيين ، منها لدى اليهود . ولقد كانت مصر وآسيا الصغرى وبلاد اليونان ، تؤمن بالآلهة ، من زمن بعيد » ، « وكانت ألقاب سوتر المنقذ Soter Savoir واليوتريس المنجى Eleatherios Deliverer ، تطلق على هذه الآلهة ، وكان لفظ كريوس الرب Kyrios Lord ، الذى أطلقه بولس على المسيح ، هو اللفظ الذى تطلقه الطقوس اليونانية السورية ، على ديونشيس Dionysus » (٢) .

فصلب العقيدة المسيحية ، قد تسربت اليه أفكار وثنية ، متعددة المصادر ، مما جعل علماء الغرب المحدثين ، بعد تحررهم من سلطان الكنيسة ، يغلب عليهم « ترجيح القول بأن أخبار المسيح ، بقية من بقايا الديانات الشمسية » ، « فى ديانات الأقدمين : من المصريين والبابليين والفرس والهنود والكنعانيين » ، « يدل عليها عدد ( اثنى عشر ) ، الذى يشير الى البروج ، ويشير الى عدد التلاميذ ، ويدل عليها الاحتفال بالميلاد ، فى يوم الاعتدال الخريفى ، على حساب

---

(١) كتاب البراهين العقلية والعلمية ، فى صحة الديانة المسيحية ( مرجع سابق ) ، ص ٤٥٧ .

(٢) ابراهيم خليل احمد ( مرجع سابق ) ، ص ٧٥ : ٧٦ .

الأقدمين ، والاحتفــال بيوم الأحد ، الذى اعتقـدوا قديما أنه يوم الشمس ، ويعرف حتى اليوم فى اللغات الأوربية ، بهذه النسبة » [1] — حيث يســمى Sunday — مكونا من مقطعـــين ، هما : Sun بمعنى الشمس ، و day بمعنى يوم .

ولم يكن غريبــا ، أن نرى « من الآباء المسيحيين ، من أنكروا وراثة الخطيئة » [2] ، كما أنكروا غيرها من جوانب العقيدة المسيحية ، كفكرة الأقانيم ، والخلاص ، وغيرهما ، وأعلنوا ما آمنوا به « على المـلأ فى صراحة ووضوح » ، فمنهم من « يقرر أن الله وحده ، هو الاله الأصلى ، الواجب الوجود » ، ومن « ينكر ألوهية المسيح » ، ومن نادى « بوحدانية الله وبشرية المسيح » .

و « لم يخل مكان من عشاق الحقيقة ، ولم يخل زمان من عباد التوحيد ، عرفوا الحقيقة وأعلنوها ، ثم حاربوا فى سبيلها ، وضحوا من أجلها بكل عزيز ، حتى الحياة نفسها دفعوها ثمنا يسيرا لانتصـار الحقيقة » [3] ، على نحو ما سترى فى أخريات الكتاب .

**الوهيــة المسيح :**

يوصف السيد المسيح فى أســفار العهـد الجـديد . تارة بأنه ( ابن الله ) ، وتارة بأنه ( ابن الانسان ) ، « بحيث أصبح المدلول لأى منهما فى مكان ، نجده للأخرى فى مكان آخر » [4] .

وقــد رأينا فى كتابنا الثانى من كتب السلسلة ، أن السيد المسيح ،

---

(١) عباس محمود العقاد : حيــاة المسيح ، فى التــاريخ : وكشوف العصر الحديث ( مرجع سابق ) ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٢) عباس محمود العقاد : الفلســفة القرآنيــة — دار الاسلام بالقــاهرة — ١٩٧٣ ، ص ١٣٤ .

(٣) محمد مجدى مرجان ( مرجع سابق ) ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٤) عبد الكريم الخطيب : الله والانســان ( قضية الألوهيــة بين الفلسفة والدين ) ( مرجع سابق ) ، ص ٢٥٩ .

« عندما يسمى نفسه ( ابن الانسان ) ، انمــا يقول الحقيقة ، وعندما يسمى نفسه ( ابن الله ) ، انما يقولها مجازا .

وهو لا يقصر التسمية ( ابن الله ) عليه وحــده ، وانما يجعلها لكل مؤمن بالله » .

« وأكثر من ذلك ، أنه يجعل الناس جميعا آلهــة » .

« ولكن تسمية المسيح ( بابن الله ) ، كما سمى غــيره . تحولت — مع الزمن — من المجاز ، الى الحقيقة .

وصار عيسى بن مريم ، عبد الله ورسوله ، الهــا كاملا » [١] .

وقــد رأينا عند حديثنا عن ( الاطار الأيديولوجى للمسيحية ) ، فى الفصل الثالث ، أن المسيح يعد عند المسيحيين الها كاملا ، تجســد فى صورة انسان ، ليعلق نفســه على الصليب ، ويفتدى البشرية من ( خطيئتهــا الأولى ) [٢] ، وأنه كان دائمــا ينكر ألوهيتــه ، ليخفى « لاهوته عن الشيطان وعملائه ، من الناس الأشرار ، حتى لا يفشل تدبير الفداء للانسان ، اذ لو كشف الرب يسوع لاهوته كاملا ، كيف كان يمكن للشيطان ، الذى يريد هلاك الناس ، لا خلاصهم ، أن يساعد على خــلاص الناس ، بتحقيق صلب المسيح رموته ؟ يقينا لو عرف الشيطان ذلك ، لمــا هيج قادة اليهود ، ليطلبوا صلب المسيح ، ولكان على العكس ، سعى لتعطيل الصلب » [٣] .

وموقف الاسلام من القضية برمتها — قضية الخطيئة الأولى ، وقضية الألوهية ، وقضية الصلب ، المترتبتين عليها — هو موقف المنكر

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : الله ، والانســـان المعاصر ( مرجــع سابق ) ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

(٢) ارجع الى ص ١٠١ — ١٠٦ من الكتاب .

(٣) الأنبا غريغوريوس : انت المسيح ابن الله الحى ( مرجع سـابق ) ، ص ٢٧ .

تماما منذ البداية ، بل انه يعتبر من يقول بذلك ( كافرا ) ، له عند ربه حساب الكافرين ومصيرهم :

ــ « لقد كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح ابن مريم ، قل : فمن يملك من الله شيئا ، ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا ؟ » [1] .

ومن ثم نجد القــرآن الكريم ينصح هؤلاء المؤمنين ( بألوهية ) المسيح ، بمراجعة حساباتهم ، قبل فوات الأوان :

ــ « يا أهل الكتاب ، لا تغلوا فى دينكم ، ولا تقولوا على الله الا الحق ... انتهوا خيرا لكم ، انما الله اله واحد ، سبحانه أن يكون له ولــد ، له ما فى السموات وما فى الأرض ، وكفى بالله وكيــلا . لن يستنكف المسيح أن يكون عبــدا لله ، ولا الملائكة المقــربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر ، فسيحشرهم اليه جميعا » [2] .

ويأتى انجيل برنابا ، ليورد مثل تلك القصص ، التى ينفى بهـا المسيح عن نفسه صفة الألوهية ، ويقرر بشكل قاطع بشريته ، كقصته عندما استقبله اليهود فى جبل سيناء ، ثم فى أورشليم ( القــدس ) ، قائلين له : « ( مرحبابك يا الهنا ) » ، وأخذوا يسجدون له ، قائلين له : « ( مرحبا بك يا الهنا ) ، وأخذوا يسجدون له ، كما يسجدون لله » ، فتنفس « الصعداء ، وقال : ( انصرفوا عنى أيها المجانين ، لأنى أخشى أن تفتح الأرض فاها ، وتبتلعنى واياكم ، لكلامكم الممقوت ) » [3] .

ثم « قال : ( انكم لقد ضللتم ضلا لا عظيما ، أيها الاسرائيليون ، لأنكم دعوتمونى الهكم ، وأنا انسان . وانى أخشى لهذا ، أن ينزل الله بالمدينة المقدسة ، وباء شــديدا ، مسلما اياها لاستعباد الغــرباء .

---

(١) قرآن كريم : المــائدة ــ ٥ : ١٧ .

(٢) قرآن كريم : النساء ــ ٤ : ١٧١ ، ١٧٢ .

(٣) انجيل برنابا : الفصل الثاني والتسعون : ١٨ ، ١٩ .

لعن الشيطان ، الذى أغراكم بهـذا ألف لعنة ! ) ولمـاذا قال يسوع هـذا ، صفع وجهه بكلتا يديه » (١) .

ثم عاد فقال : « ( انى أشهد أمام السماء ، وأشهد كل ساكن على الأرض ، أنى برىء من كل ما قال الناس عنى ، من أنى أعظم من بشر ، لأنى بشر ، مولود من امرأة ، وعرضة لحكم الله ، أعيش كسائر البشر ، عرضة للشقاء العام ) » (٢) .

واذا كانت الكنيسة لا تعترف بانجيل برنابا ، ومن ثم فلا قيمة له عندها ، فان الأناجيل الأخرى ، المعترف بهـا من الكنيسة ، تقول به أيضا ، على نحو أو آخر ، ولكنها ترد ذلك ، الى ما سبق أن قلناه ، من أن المسيح كان يهدف الى اخفاء ألوهيته عن الشيطان ، حتى تصل ملحمة حياته الى نهايتها ، فيعلقه اليهود على الصليب ، فيفتدى البشرية بذلك ، من خطيئتها الأولى — على نحو ما سبق (٣) .

ويلخص ابن تيمية هـذه ( المهـزلة ) المضحكة كلهـا بقوله : « والنصـارى يقولون : ان المسيح ، الذى هـو عندهم اللاهـوت والناسوت جميعا ، انما مكن الكفار من صلبه ليحتال بذلك على عقوبة ابليس ، قالوا : فأخفى نفسه عن ابليس ، لئلا يعلم ، قالوا : ومكن أعداءه من أخذه وضربه ، والبصاق فى وجهـه ، ووضع الشوك على رأسه ، وصلبه ، وأظهر الجـزع من الموت ، وصار يقول : يا الهى ، لم سلطت أعدائى على ، ليخفى بذلك عن ابليس ، فلا يعرف أنه الله ، أو ابن الله ، ويريد ابليس أن يأخذ روحه الى الجحيم ، كما أخذ أرواح نوح وابراهيم وموسى .. » (٤) .

---

(١) انجيل برنابا : الفصل الثالث والتسعون : ٢ — ٥ .
(٢) انجيل برنابا : الفصل الرابع والتسعون : ١ ، ٢ .
(٣) ارجع الى ص ١٦٦ من الكتاب .
(٤) شيخ الاسلام ، ابن تيمية ( ٦٦١ — ٧٢٨ ) : الجواب الصحيح ، لمن بدل دين المسيح — قـدم له وأشرف على طبعـه : على السيد صبح المدنى — الجزء الأول — مكتبـة المدنى ومطبعتها — جدة ، ص ٢٣٦ =

وسوف نعود بعد قليل ، الى هذه القضية — قضية الصلب وما دار فيها — ولكننا نكتفى هنا ، بأن نورد تعليق ابن تيمية على هذه ( المهزلة ) المضحكة ، حيث يرى أنه « سواء تاب آدم أو لم يتب ، فكيف يجوز أن يكون رسل الله ، الذين هم أفضل منه ، محبوسين فى حبس الشيطان ، فى جهنم ، بذنبه ؟ وابراهيم خليل الرحمن ، كان أبوه كافرا ، ولم يؤاخذه الله بذنبه ، فكيف يجعله الله فى جهنم ، فى حبس الشيطان ، بسبب ذنب أبيه الأقصى آدم ، مع أنه كان نبيا ؟ » .

« ثم أى مناسبة بين الصلب ، الذى هو من أعظم الذنوب ، سواء صلبوا المسيح أو المشبه به ، وبين تخليص هؤلاء من الشيطان ؟ فان الشيطان ان فعل ذلك بالقوة ، كان ظالما معتديا ، والله عز وجل ، قادر على منعه من ظلمهم ، بل وعلى عقوبته اذا لم ينته عن ظلمهم . فلماذا أخر منعه من ظلمهم ، الى زمن المسيح ، وهو سبحانه ولى المؤمنين وناصرهم ومؤيدهم ، وهم رسله ، الذين نصرهم على من عاداهم ، بل أهلك أعداءهم ، الذين هم جند الشيطان »[1] .

وربما كان مفيدا هنا ، أن نعود الى سيجموند فرويد Sigmond Freud ( ١٨٥٦ — ١٩٣٩ م ) المحلل النفسى اليهودى المشهور ، الذى يربط قضية صلب الاله أو ابنه هنا ، بجذورها التاريخية ، فيرى هذه الجذور تمتد بها الى اخناتون ، امبراطور الأسرة المصرية الثامنة عشرة ، التى انتهى أمرها فى مصر سنة ١٣٥٠ ق . م ، والذى صارت مصر فى عهده ، ومن خلال فتوحاته ،

---

= ونذكر هنا بأن الفكر الدينى اليهودى / المسيحى : يقوم على أساس ( البركة ) الممنوحة من سيدنا ابراهيم ، الى ابنه اسحق ، والبركة الممنوحة من اسحق ليعقوب ، دون عيسو — فكيف يمنح البركة ، من يعتبر محبوسا فى سجن الشيطان . وارجع الى قصة البركة تلك ، كما وضحناها فى كتابنا السابق من كتب السلسلة :
— دكتور عبد الغنى عبود : اليهود واليهودية والاسلام ( مرجع سابق ) ، ص ٤١ ، ٤٢ .

(١) شيخ الاسلام ، ابن تيمية ( المرجع السابق ) ص ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

« امبراطورية عالمية ، وانعكست الامبريالية الجديدة ، فى تطور بعض الأفكار الدينية ، ان لم يكن فى أفكار الشعب كله ، فعلى الأقل فى أفكار الطبقة الحاكمة ، والفعالة ثقافيا ، وتحت تأثير كهنة الشمس [١] فى آتون ( هليوبوليس ) ، والذى ربما قوته أفكار مصدرها آسيا ، قامت هناك فكرة اله عالمى ، آتون — لم يعد مقصورا على شعب واحد ، وبلد واحد .

واعتلى الفرعون الشاب أمينحوتب الرابع العرش ( الذى غير اسمه فيما بعد الى اخناتون ) ، ولم يول شيئا عناية أكبر ، من عنايته بتطوير فكرة هذا الاله . ورفع ديانة آتون ، فأصبحت الديانة الرسمية ، وبذلك صار الإله العالمى ، هو الاله الواحد » [٢] .

ثم يعلق فرويد على هذه الخطوة ، فيراها « الحالة الأولى ، فى تاريخ البشرية ، وربما كانت الأنقى ، لديانة توحيدية » [٣] ،ولكنها — عنده — ماتت بموته ، « وبدت اصلاحات اخناتون ، كما لو كانت حادثا ، مصيره الى النسيان » .

« وربما كان هناك رجل بين خلصاء اخناتون ، يدعى توتمس Thothmes ، كما كان يدعى الكثير فى ذلك الوقت ، ولا يهم الاسم ، ولكن الجزء الثانى من اسمه ، لابد كان ( موسى Mose ) ، وكان يشغل منصبا كبيرا ، وكان من المؤمنين المقتنعين بديانة آتون » . « وكان موت اخناتون والقضاء على ديانته ، يعنى بالنسبة لهذا الرجل ، نهاية كل آماله » [٤] .

---

(١) نذكر هنا بما قلناه عن منزلة الشمس فى الفكر الدينى المسيحى ، منذ قليل ، وذلك ص ١٦٤ ، ١٦٥ من الكتاب .
(٢) سيجموند فرويد : موسى والتوحيد ( اليهود . فى ضوء التحليل النفسى ) — ترجمة دكتور عبد المنعم الحفنى — الطبعة الثانية — مطبعة الدار المصرية ، للطباعة والنشر والتوزيع — ١٩٧٨ ، ص ١٢٧ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٨ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

ويرى فرويد ، أن موسى هذا — أو سيدنا موسى — الذى يعزوه الى البيت المالك المصرى — يحتمل أن يكون قد « اتصل بقبيلة سامية معينة ، كانت قد هاجرت منذ بضعة أجيال ، وتحول فى يأسه وفى وحدته ، الى أولئك الأغراب ، وبحث فيهم عن تعويض لما كان قد فقده ، واختارهم ليكونوا شعبه ، وحاول أن يحقق من خلالهم مثله ، وبعد أن غادر مصر معهم ، يصحبه أتباعه الملاصقون ، باركهم بختانهم ، ومنحهم الشرائع ، وبشرهم بديانة آتون ، التى كان قد نبذها المصريون توا » [1] .

وأخيرا ، يرى فرويد ، أن « موسى ، الذى تدرب فى مدرسة أخناتون ، استخدم نفس الطرق ، مثل الملك . لقد كان يعطى الأوامر ، ويفرض ديانته على الشعب ، وربما كانت ديانة موسى ، أكثر تعصبا من ديانة سيده » ، وأنه قد « واجه موسى نفس المصير ، الذى واجه اخناتون، المصير الذى ينتظر كل الطغاة المستنيرين » . « ولكن بينما انتظر المصريون الوديعون ، حتى رفع عنهم القدر ، الشخص المقدس لفرعونهم ، أخذ الساميون الهمج قدرهم فى أيديهم ، وتخلصوا من طاغيتهم » [2] .

ويتم فرويد تحليله للشخصية القومية اليهودية ، التى قتلت منقذها موسى ، فيرى أن الديانة المسيحية ، كانت ( ردة ) فى الفكر الدينى اليهودى ، ولكنها كانت رد فعل لها ، والجريمة التى مارسها اليهود ضد مخلصهم موسى . انه يبدو — فى نظره — أن « احساسا متزايدا بالذنب ، قد أمسك بالشعب اليهودى — وربما بكل حضارة ذلك الزمن » ، « واستمر هذا ، حتى أسس أحد أفراد الشعب اليهودى ، فى شكل داعية سياسى — دينى ، مذهبا انفصل — مع مذهب آخر ، هو الديانة المسيحية — عن الديانة اليهودية . وأمسك بولس ، اليهودى الرومانى — طرسوس ، بهذا الاحساس بالذنب ، وتتبعه تتبعا

(١) المرجع السابق ، ص ١٢٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

صحيحا ، الى منبعه البدائى ، وأطلق على هــذا اسم الخطيئة الأصلية ، وكانت هــذه الخطيئة ، جريمــة فى حق الاله ، وما كان فى الوسع ، التكفير عنها الا بالموت ، فالموت قد نفذ الى العالم ، من خلال الخطيئة الأصلية • والواقع أن هــذه الجريمة ، التى يستحق مرتكبها الموت ، كانت اغتيال الأب الذى أصبح معبودا فيما بعد • وأما الفعل الاجرامى نفسه ، فقد تنوسى ، ووقف مكانه شبح التكفير ، وهــذا هو السبب ، فى أن هــذا الشبح ، كان فى الوســع الترحيب به ، فى شكل بشارة خلاص ( انجيل ) ، وضحى ابن للاله ، هو نفسه برىء ، ضحى بنفسه ، وبذلك تحمل ذنب العــالم • وكان لابد أن يكون فاعل ذلك ابن ، لأن الخطيئة ، كانت اغتيال الأب • وربما كان للتراث الأسطورى الشرقى الاغريقى ، أثره على تشكيل شبح الخلاص هــذا » [١] •

وهكذا ، يعيدنا سيجموند فرويد ، الى ما قلناه من قبل فى الفصل الثالث ، عن تسلل اليهود الى المسيحية ، لتخريبها من الداخل ، بعد أن فشلوا فى محاصرتها من الخارج [٢] ، من خلال بولس الرسول وغيره ، ومن خــلال المجامع المقدسة ، التى عقدت على الطريق [٣] — وهــو ما يمكن تلخيصه ، فى أنه « بعدما انطلق أتباع المسيحية بدعوته ، عقد اليهــود عــدة مجامع ، وتشاوروا فى أمر أتبــاع المسيح ، واستقر رأيهم على تعذيبهم ، ولمــا عذبوهم ، ولم تقف دعوتهم عن الانتشار ، اتفق رأيهم على أن يتظــاهر فريق منهم بالنصرانيــة ، وأن يحرفوها تحريفا ، وتزعم الفريق الذى تظاهر بالنصراينة ، وحرفهــا تحريفا : القــديس بولس » ، « وفى ســنة ٤٥١ ميلادية ، اختلف النصــارى فى ألوهية المسيح ، هل هو الله نفسه ، ظهر فى الجسد ، أم ثالث ثلاثة ، قالت الكنائس الشرقية ، هو الله ظهر فى الجسد ، وقالت الكنائس الغربية ، ثالث ثلاثة •

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ •
(٢) ارجع الى ص ٨٤ ، ٨٥ من الكتاب •
(٣) ارجع الى ص ٨٧ وما بعدها من الكتاب •

وفى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م ، طبق النصارى رسميا ، نبوءة الابن ، التى هى موضوعة فى الأصل ، لنبى الاسلام ، على المسيح • وفى مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م ، طبقوا لقب ( الروح القدس ) على المسيح ، اللقب الذى أطلقه المسيح على نبى الاسلام • وأصبح عيسى بن مريم ، هو الكائن على الكل ، الها مباركا ، ولا نبى من بعده ، الى يوم القيامة » [1] •

ويشير ول ديورانت ، الى أن الأمر لم يقف عند عبادة المسيح ، بل تعداه الى عبادة مريم — ما دامت هى أم الاله • ولكن عبادتها لم تفرض على الشعب المسيحى فرضا ، كما حدث فى ألوهية المسيح ، بل ان الشعب الأوروبى ذاته ، هو الذى لجأ اليها ، رغم أنف الكنيسة •

ذلك أن « الكنيسة نفسها » ، « لم تشجع » « عبادة مريم • نعم ان آباء الكنيسة كانوا قد كرموا مريم ، وفضلوها على حواء ، ولكن عداءهم للمرأة بوجه عام » ، « وخوف الرهبان من النساء ، وفرارهم منهن ، وحملة الوعاظ على مفاتن النساء ونقائصهن — هذا كله ، لم يكن من شأنه أن يؤدى الى عبادة مريم ، هذه العبادة القوية الشاملة » •

« وكان الشعب وحده ، هو الذى ابتدع أجمل زهرة ، فى العالم الروحى ، أثناء العصور الوسطى ، وجعل مريم أقرب الأشخاص الى القلوب ، فى التاريخ كله • ذلك أن سكان أوربا ، المستيقظة من رقدتها ، لم يعودوا يقبلون تلك الصورة الصارمة ، لاله يعاقب الكثرة الغالبة من خلقه ، بالقائهم فى نار جهنم » ، « وكانوا يرون أن فى وسعهم ، أن يقتربوا من عيسى — وهو لا يزال عندهم ، أسمى وأعدل ، من أن يتصلوا به مباشرة — عن طريق أمه ، التى لا ترد سائلا ، والتى

---

(١) الشيخ رحمت الله الهندى ( ١٢٣٣ — ١٣٠٨ هـ ) : اظهار الحق — الجزء الأول ( مرجع سابق ) ، ص ٢٠ ، ٢١ ( من المقدمات ) •

لايستطيع ابنها أن يرد لها شفاعة » [١] .

« وعلى هـذا النحو ، نشأ دين جديد ، ولعل السبب فى بقاء الكثلكة الى هـذا اليوم ، هو أنهـا استوعبت هـذا الدين . وصيغ انجيل لمريم ، لا تعترف به الكنيسة ، ولا يصدقه العقل ، ولكنه يفتتن به افتتانا يجل عن الوصف » .

« وكانت هـذه الكثلكة الجـديدة ، من الأسـباب التى طهرت الاقطاع ،فاستحال فروسية ، ورفعت من شأن المرأة ، الى حـد ما ، فى عالم من صنع الرجال » [٢] .

**صلب المسيح ، وقيامه من الأموات :**

تتفق الأناجيل التى تعترف بهـا الكنيسة ، على أن السيد المسيح قـد صلب — وهو أمر منطقى ، تتم به الفكرة الالهية المسيحية ، كما سبق فى هـذا الفصل ، ولا يشـذ عن هـذه الأناجيل ، سوى انجيل برنابا وغيره من الأناجيل الكثيرة ، التى لا تعترف بها الكنيسة .

وتتفق الأناجيل التى تعترف بها الكنيسة ، على أن السيد المسيح ، كان يعرف أنه سيصلب ، وكان يعرف الوقت الذى سيصلب فيه ، كمـا كان يعرف على وجه التحديد أن تلميذه يهوذا الاسخريوطى ، هو الذي سيسلمه لمن سيصلبونه :

— « تعلمون أنه بعد يومين ، يكون الفصح ، وابن الانسان يسلم ليصلب » [٣] .

---

(١) ول ديورانت : قصـة الحضارة — الجزء الخامس ، من المجـلد الرابع (١٦) ( عصر الايمان ) ( مرجع سابق ) ، ص ٢٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣١ ، ٣٢ .

(٣) العهـد الجـديد : انجيل متى — ١ : الاصـحاح السادس والعشرون : ٢ .

— « الحق أقول لكم : ان واحدا منكم يسلمنى .. ان الانسان ماض ، كما هو مكتوب عنه . ولكن ويل لذلك الرجل ، الذى به يسلم ابن الانسان .. فأجاب يهوذا وقال : هل أنا هو يا سيدى ؟ قال له : أنت قلت » (١) .

— « الحق أقول لكم : ان واحدا منكم يسلمنى . الآكل معى .. ولكن ويل لذلك الرجل الذى به يسلم ابن الانسان . كان خيرا لذلك الرجل ، لو لم يولد » (٢) .

— « وبينما هو يتكلم ، اذا جمع ، والذى يدعى يهوذا ، أحد الاثنى عشر ، يتقدمهم ، فدنا من يسوع ليقبله : فقال له يسوع : يا يهوذا ، أبقبلة تسلم ابن الإنسان ؟ » (٣) .

بل ان ( الحبكة القصصية ) تصل الى منتهاها ، حين تحدد الأناجيل ، أن السيد المسيح ، كان يعرف مقدما ، ( الحالة ) التى سيكون عليها كل تلميذ من تلاميذه ، فيهوذا سيسلمه الى أعدائه ، ليصلبوه ، وبطرس سينكر معرفته به ثلاث مرات ، وكلهم سيشكون فيه ليلة تسليمه :

— « حينئذ قال لهم يسوع : كلكم تشكون فى فى هذه الليلة .. ولكن بعد قيامى أسبقكم الى الجليل . فأجاب بطرس وقال له : ان شك فيك الجميع ، فأنا لا أشك فيك أبدا . قال له يسوع : الحق أقول لك : انك فى هذه الليلة ، قبل أن يصيح ديك ، تنكرنى ثلاث

---

(١) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح السادس والعشرون : ٢١ — ٢٥ .

(٢) العهد الجديد : انجيل مرقس — ٢ : الاصحاح الرابع عشر : ١٨ — ٢١ .

(٣) العهد الجديد : انجيل لوقا — ٣ : الاصحاح الثانى والعشرون : ٤١ : ٤٨ .

مرات .. » (١) .. أو :

— « .. يا بطرس ، لا يصيح الديك اليوم ، قبل أن تنكر ثلاث تنكرني ثلاث مرات .. » (٢) — أو :

— « .. يا بطـرس ، لا يصيح الديك اليوم ، قبل أن تفكر ثلاث مرات ، انك تعرفني » (٣) .

واذا كانت الأناجيل ( تتفق ) على أن السيد المسيح ، كان يعلم بما ( سيحدث ) ، على هذا النحو ، فانها ( تختلف ، فيما بينها في وصف ( الحالة المعنوية ) ، التي كان عليها ، وهو يستعرض لتلاميذه ، هـذا الذي سيحدث ، فمتى يؤكد حزنه واكتئابه :

— « .. وفيما هم يأكلون ، أخـذ يسوع الخبز ، وبارك وكسر ، وأعطى التلاميذ ، وقال : خذوا وكلوا . هـذا هو جسدي . وأخـذ الكأس ، وشرب ، وأعطاهم قائلا : اشربوا منها كلكم ، لأن هذا هو دمي، الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين،لمغفرة الخطايا ..حينئذ جاء معهم يسـوع الى ضيعة يقال لها ، جتسيماني ، فقال للتلاميذ : اجلسوا ها هنا ، حتى أمضي وأصلي هناك . ثم أخـذ معه بطـرس ، وابني زبدي ، وابتدأ يحزن ويكتئب . فقال لهم : نفسي حزينة جـدا حتى الموت . امكثوا هنا واسهروا معي » (٤) .

---

(١) العهـد الجـديد : انجيل متى — ١ : الاصـحاح السادس والعشرون : ٣١ — ٣٤ .

(٢) العهد الجديد : انجيل مرقس — ٢ : الاصحاح الرابع عشر : ٣٠ .

(٣) العهد الجديد : انجيل لوقا — ٣ : الاصحاح الثاني والعشرون : ٣٤ .

(٤) العهـد الجـديد : انجيل متى — ١ : الاصـحاح السادس والعشرون : ٢٦ — ٣٨ .

ويؤكد حزنه واكتئابه أيضا ، مرقس فى انجيله ، بنفس التفصيلات تقريبا [١] ، وهـو عكس ما يعرضه يوحنا فى انجيله ، اذ يظهره فرحا مسرورا ، لتمكنه من القيام بالمهمة التى كلف بها :

— « تكلم يسوع بهذا ، ورفع عينيه نحو السماء ، وقال : أيها الآب ، قد أتت الساعة . مجد ابنك ، ليمجدك ابنك أيضا ... أنا مجدتك على الأرض . العمل الذى أعطيتنى أكملته . والآن ، مجدنى أنت أيها الآب عند ذاتك ، بالمجد الذى كان لى عندك ، قبل كون العالم .

أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتنى من العالم . كانوا لك ، وأعطيتهم لى ، وقد حفظوا كلامك . والآن علموا أن كل ما أعطيتنى ، هو من عندك ... من أجلهم أنا أسأل . لست أسأل من أجل العالم ، بل من أجل الذين أعطيتنى ، لأنهم لك . وكل ما هو لى ، فهو لك ، وما هو لك فهو لى ، وأنا ممجد فيهم ... أما الآن ، فانى آتى اليك ، وأتكلم بهذا فى العالم ، ليكون لهم فرحى كاملا فيهم ... » [٢] .

وتقترب ساعة الصفر ، فيتحقق ما تنبأ به السيد المسيح كله :

— « حينئذ ذهب واحد من الاثنى عشر ، الذى يدعى يهوذا الأسخريوطى ، الى رؤساء الكهنة ، وقال : ماذا تريدون أن تعطونى ، وأنا أسلمه اليكم ؟ فجعلوا له ثلاثين من الفضة . ومن ذلك الوقت ، كان يطلب فرصة ، ليسلمه » [٣] — أو :

— « ثم ان يهوذا الأسخريوطى ، واحدا من الاثنى عشر ، مضى

---

(١) العهد الجديد : انجيل مرقس — ٢ : الاصحاح الرابع عشر : ٢٢ — ٣٦ .

(٢) العهد الجديد : انجيل يوحنا — ٤ : الاصحاح السابع عشر : ١ — ١٤ .

(٣) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح السادس والعشرون : ١٤ — ١٦ .

الى رؤساء الكهنة ، ليسلمه اليهم • ولما سمعوا فرحوا ، ووعدوه أن يعطوه فضة • وكان يطلب : كيف يسلمه فى فرصة موافقة ؟ » [١] •

ثم تأتى الساعة ، فيتحقق ما تنبأ به بشأنها :

ــ « وفيما هو يتكلم ، اذا يهوذا ، أحد الاثنى عشر ، قد جاء ومعه جمع كثير ، بسيوف وعصى ، من عند رؤساء الكهنة ، وشيوخ الشعب • والذى أسلمه أعطاهم علامة ، قائلا : الذى أقبله هو هو • أمسكوه ••• حينئذ تقدموا ، وألقوا الأيادى على يسوع ، وأمسكوه ، واذا واحد من الذين مع يسوع ، مد يده ، واستل سيفه ، وضرب عبد رئيس الكهنة ، فقطع أذنه • فقال له يسوع : رد سيفك الى مكانه ، لأن كل الذين يأخذون السيف ، بالسيف يهلكون • أتظن أنى لا أستطيع الآن ، أن أطلب الى أبى ، فيقدم لى أكثر من اثنى عشر جيشا من الملائكة ؟ فكيف ستكمل الكتب ، أنه هكذا ينبغى أن يكون ؟ ••• وأما هذا كله ، فكان لكى تكمل كتب الأنبياء » [٢] ــ أو :

ــ « ••• ولكن ، لكى تكمل الكتب » [٣] •

وفى رواية أخرى للوقا ، أن المسيح قد أعاد الأذن المقطوعة ، الى حيث كانت :

ــ « فلما رأى الذين حوله ما يكون ، قالوا : يارب : أنضرب بالسيف ؟ وضرب واحد منهم عبد رئيس الكهنة ، فقطع أذنه اليمنى ، فأجاب يسوع وقال : دعوا الى هذا ، ولمس أذنه وأبرأها » [٤] •

(١) العهد الجديد : انجيل مرقس ــ ٢ : الاصحاح الرابع عشر : ١٠ ، ١١ •

(٢) العهد الجديد : انجيل متى ــ ١ : الاصحاح السادس والعشرون : ٤٧ ــ ٥٦ •

(٣) العهد الجديد : انجيل مرقس ــ ٢ : الاصحاح الرابع عشر : ٤٩ •

(٤) العهد الجديد : انجيل لوقا ــ ٣ : الاصحاح الثانى والعشرون : ٤٩ ــ ٥١ •

وقـــد حدد يوحنا فى انجيله اسم رافع السيف من بين الاثنى عشر ، واسم العبد مقطوع الأذن :

— « ثم ان سمعان بطرس ، كان معه سيف ، فاستله ••• وكان اسم العبد ملخس ، فقال يسوع لبطرس : اجعـــل سيفك فى الغمد • الكأس التى أعطانى الآب ، ألا أشربها ؟ » (١) •

ويتم صلب السيد المسيح ، فى نظر الأناجيل ، فيتنكر له تلاميذه ، أو يدعونه يقابل محنته وحيدا ، مكتفين بالحزن عليـــه •• على أحسن الفروض :

— « والذين أمسكوا يسوع ، مضوا به الى قيافا ، رئيس الكهنة ، حيث اجتمع الكتبة والشيوخ • وأما بطرس ، فتبعه من بعيد ، الى دار رئيس الكهنة ، فدخل الى داخل ، ودخل بين الخدام ، لينظر النهاية •••

أما بطرس ، فكان جالسا خارجا ، فى الدار • فجاءت اليه جارية قائلة : وأنت كنت مع يسوع الجليلى ، فأنكر قدام الجميع قائلا : لست أدرى ما تقولين • ثم اذا خرج الى الدهليز ، رأته أخرى ، فقالت للذين هناك : وهذا كان مع يسوع الناصرى ، فأنكر أيضـــا بقسم انى لست أعرف الرجل • وبعد قليل ، جاء القيـــام ، وقالوا لبطرس : حقا أنت أيضا منهم ، فان لغتك تظهرك • فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف انى لا أعرف الرجل • وللوقت صـــاح الديك • فتذكر بطرس كلام يســـوع ، الذى قال له : انك قبل أن يصيح الديك ، تنكرنى ثلاث مرات ، فخـــرج الى خارج ، وبكى بكاء مرا » (٢) •

وهـــذا الذى يذكره متى عن بطرس ، يذكره مرقس أيضـــا •••

---

(١) العهد الجديد : انجيل يوحنا — ٤ : الاصـــحاح الثامن عشر : ١٠ ، ١١ •

(٢) العهـــد الجـــديد : انجيل متى — ١ : الاصـــحاح السادس والعشرون : ٥٧ — ٧٥ •

مع اختلاف محدود فى الألفاظ المستخدمة [١] ، كما ينقله لوقا ، مضيفا :

ــ « وفى الحال ، بينما هو يتكلم ، صاح الديك . فالتفت الرب ( المسيح ) ونظر الى بطرس ، فتذكر بطرس كلام الرب ، كيف قال له : انك قبل أن يصيح الديك ، تنكرنى ثلاث مرات » [٢] .

ويورد يوحنا تنكر بطرس لأستاذه أيضا ، وان كان ذلك باختصار شـديد [٣] .

أى أن الأناجيل جميعا تتفق على تنكر بطرس هـذا ، لأستاذه أو لربه ــ المسيح .

وتتم محاكمة السيد المسيح ، محاكمة صورية ، يسترضى فيهـا الحاكم بيلاطس اليهود ، ولا يدافع فيها السيد المسيح عن نفسه :

ــ « وللوقت فى الصباح ، تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله ، فأوثقوا يسوع ، ومضوا به ، وأسلموه الى بيلاطس .

فسأله بيلاطس : أنت ملك اليهود ؟ فأجاب وقال له : أنت تقول . وكان رؤساء الكهنة يشتكون عليه كثيرا . فسأله بيلاطس أيضا قائلا : أما تجيب بشىء . انظر : كم يشهدون عليك . فلم يجب يسوع أيضا ، حتى تعجب بيلاطس » [٤] .

ويزيد لوقا على الرواية السـابقة أن اليهـود اتهمـوا المسيح بالتحريض على قيصر :

---

(١) العهد الجديد : انجيل مرقس ــ ٢ : الاصحاح الرابع عشر : ٦٦ ــ ٧٢ .

(٢) العهد الجديد : انجيل لوقا ــ ٣ : الاصحاح الثانى والعشرون : ٦٠ ، ٦١ .

(٣) العهد الجديد : انجيل يوحنا ــ ٤ : الاصـحاح الثامن عشر : ١٥ ــ ١٨ .

(٤) العهد الجديد : انجيل مرقس ــ ٢ : الاصحاح الخامس عشر : ١ ــ ٥ .

— « فقام كل جمهورهم ، وجـاءوا به الى بيلاطس • وابتدءوا يشتكون عليه قائلين : اننـا وجدنا هـذا يفسد الأمة ، ويمنع أن تعطى جزية لقيصر ، قائلا : انه هـو مسيح ملك • فسأله بيلاطس قائلا : أنت ملك اليهود ؟ فأجابه وقال : أنت تقول » (١) •

ثم يزيد أيضا أن بيلاطس ، عندما عرف أنه جليلى ، وأنه — لذلك — « من سلطنـة هيرودس ، أرسله الى هيرودس ، اذ كان هو أيضـا فى تلك الأيام فى أورشليم •

وأما هيرودس ، فلما رأى يسوع فرح جدا ، لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه ، لسماعه عنه أشياء كثيرة ، وترجى أن يرى آية تصنع منـه • وسـأله بكلام كثير ، فلم يجبـه بشىء ••• فاحتقره هيرودس مع عسكره ، واستهزءوا به وألبسه لباسا لامعا ، ورده الى بيلاطس » (٢) •

ونال السيد المسيح — فى هذه المرحلة — من الاهانات •• الكثير ، على حـد ما ترويه الأناجيل المختلفة :

— « فأخذ عسكر الوالى يسوع الى دار الولاية ، وجمعوا عليه كل الكتيبة ، فعـروه ، وألبسـوه رداء قرمزيا • وضفروا اكليلا من شوك . ووضعوه على رأسه ، وقصبة فى يمينه ، وكانوا يجثون قدامه ، ويستهزئون به قائلين : السلام يا ملك اليهود • وبصقوا عليه ، وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه ، وبعد ما استهزءوا به ، نزعوا عنه الرداء ، وألبسوه ثيابه ، ومضوا به للصلب ••• » (٣) ، و « صلب معه لصان » •

(١) العهد الجديد : انجيل لوقا — ٣ : الاصحاح الثالث والعشرون : ١ — ٣ •

(٢) العهد الجديد : انجيل لوقا — ٣ : الاصحاح الثالث والعشرون : ٦ — ١١ •

(٣) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح السابع والعشرون : ٢٧ — ٣١ •

« وكان المجتازون يجدفون عليه ، وهم يهزون رءوسهم ، قائلين : يا ناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام ، خلص نفسك . ان كنت ابن الله ، فانزل عن الصليب .. وبذلك أيضا ، كان اللصان اللذان صلبا معه ، يعيرانه » [١] .

ويتفق مرقس مع متى فى هـذه الرواية ، بشـكل لافت للنظـر ... [٢] .

ويزيد لوقا على مرقس ومتى ، بالحـديث عن الاهـانات التى لحقت به أثناء الجلد :

ـ « والرجال الذين كانوا ضابطين يسـوع ، كانوا يستهزئون به وهم يجلدونه . وغطوه ، وكانوا يضربون وجهه ، ويسألونه ، قائلين : تنبـأ . من الذى ضربك ؟ وأشياء أخرى كثيرة ، كانوا يقولون عليه مجدفين » [٣] .

كما يزيد عليهما تفصيلات حدثت أثناء الصلب ، تتصل بالمجرمين المعلقين عن يمينه وشماله :

ـ « وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلا : ان كنت أنت المسيح ، فخلص نفسك وايانا . فأجاب الآخر وانتهره قائلا : أولا أنت تخاف الله ، اذ أنت تحت هـذا الحكم بعينه ؟ أما نحن ، فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلناه ، وأما هـذا ، فلم يفعل شيئا ليس فى محله . ثم قال ليسوع : اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك ، فقال له يسوع : الحق أقول لك : انك اليوم تكون معى فى الفردوس » [٤] .

---

(١) العهد الجديد : انجيل لوقا ـ ٣ : الاصحاح الثالث والعشرون : ٣٨ ـ ٤٤ .

(٢) العهد الجديد : انجيل مرقس ـ ٢ : الاصحاح الخامس عشر : ١٦ ـ ٣٢ .

(٣) العهد الجديد : انجيل لوقا ـ ٣ : الاصحاح الثانى والعشرون : ٦٣ ـ ٦٥ .

(٤) العهد الجديد : انجيل متى ـ ١ : الاصحاح السابع والعشرون : ٣٩ ـ ٤٣ .

ومثلما تتفق الأناجيل المعترف بها من الكنيسة ، على قصة الصلب، وان اختلفت فيما بينهـا فى بعض تفصيلاتهـا الدقيقة . فان هـذه الأناجيل ، تعود فتتفق على سـاعة صعود روحـه الى السماء ، وان اختلفت فى بعض التفصيلات المتصلة بها أيضا . اختلافا يصل هنا الى حد التناقض أحيانا ، على نحو ما سنرى ، لأن هـذه الأناجيل ، يبدو أنهـا كانت مشغولة هنا بالذات ، بتوضيح ما صـاحب صعود روحه من ( ظواهر طبيعية ) ، لا تصدق ، لأنهـا لو حدثت بالفعل : لدعت الكثيرين الى الايمان بالمسيح ، ولهزت عروش الظلم هزا .

ويحكى متى قصة صعود روحه على هـذا النحو :

— « ومن الساعة السادسة ، كانت ظلمة على كل الأرض ، الى الساعة التاسعة ، ونحو الساعة التاسعة ، صرخ يسوع بصوت عظيم ، قائلا : ايلى ! ايلى ! لمـا شبقتنى ؟ أى الهى الهى ، لمـاذا تركتنى ؟ .. فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم ، وأسلم الروح . واذا حجاب الهيكل قد انشق الى اثنين ، من فوق الى أسفل ، والأرض تزلزلت ، والصخور تشققت ، والقبور تفتحت ، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين ، وخرجوا من القبور ، بعـد قيامته ، ودخلوا المدينة المقدسة ، وظهروا لكثيرين » [١] .

ويتفق مرقس ولوقا مع متى ، فى أحـداث القصـة ، والساعات التى حددها فيها لمـا حدث ، وان كانا لا يذكران من هـذه المعجزات ، سوى انشقاق الهيكل — يقول مرقس :

— « وانشق حجاب الهيكل الى اثنين ، من فوق الى أسفل » [٢] .

---

(١) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح السابع العشرون : ٤٥ — ٥٣ .

(٢) العهد الجديد : انجيل مرقس — ٢ : الاصحاح الخامس عشر : ٣٨ .

ويقــول لوقا :

ــ « وانشق حجاب الهيكل من وسطه » [١] •

وفى الوقت الذى يرى متى ــ كما سبق ــ أنه « صرخ يسوع أيضا بصوت عظيم ، وأسلم الروح » [٢] ، يرى يوحنا أنه « نكس رأسه وسلم الروح » [٣] ــ هكذا فى هدوء •

ثم تعود الأناجيل ، فتتفق ــ بعد ذلك ــ حول مسألة قيامه من الأموات •

وكان السيد المسيح قــد وعد ــ على حد قول الأناجيل ــ وكما سنرى فيما بعد ــ بهذا القيام من بين الأموات •

ونرى الأناجيل ــ مجتمعة ــ أن « يوسف ، الذى من الرامة ، وهو تلميذ يسوع ، ولكن خفيــة ، لسبب الخوف من اليهــود ، سأل بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع • فأذن بيلاطس ، فجاء وأخذ جســد يسوع • وجاء أيضــا نيقوديموس ••• فأخذا جسد يسوع ، ولفاه بأكفان مع الأطياب ، كمــا لليهود عادة أن يكفنوا • وكان فى الموضع الذى صلب فيه بستان ، وفى البستان قبر جديد ، لم يوضع فيه أحــد قط ، فهنــاك وضعا يســوع ، لسبب استعداد اليهود ، لأن القبر كان قريبــا » [٤] •

ويتفق متى مع يوحنا ، فيمــا يذكره بخصوص الدفن ، وان كان لم يذكر مجىء نيقوديموس ، ثم يذكر أن يوسف هــذا ، قــد « وضعه فى قبره الجديد ، الذى كان قــد نحته فى الصخر ، ثم دحرج حجرا

---

(١) العهد الجديد : انجيل لوقا ــ ٣ : الاصحاح الثالث والعشرون : ٤٥ .

(٢) العهد الجديد : انجيل متى ــ ١ : الاصحاح السابع والعشرون : ٥٠ .

(٣) العهد الجديد : انجيل يوحنا ــ ٤ : الاصحاح التاسع عشر : ٣٠ .

(٤) العهد الجديد : انجيل يوحنا ــ ٤ : الاصحاح التاسع عشر : ٣٨ ــ ٤٣ .

كبيرا على باب القبر ومضى • وكانت هنـاك مريم المجـدلية ، ومريم الأخرى جالستين تجاه القبر » (١) •

وتتفق الأناجيل ، على أن السيد المسيح قـد قام من الأموات ــ ويمهد متى لهـذا القيام بقوله :

ــ « وفى الغـد ، الذى بعـد الاستعداد ، اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون الى بيلاطس ، قائلين : يا سيد ، قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حى : انى بعد ثلاثة أيام أقوم • قم بضبط القبر الى اليوم الثالث ، لئلا يأتى تلاميذه ليلا ويسرقوه ، ويقولوا للشعب : انه قام من الأموات ، فتكون الضـلالة الأخيرة ، أشر من الأولى • فقال لهم بيلاطس : عندكم حراس • اذهبوا واضبطوه ، كما تعلمون • فمضوا وضبطوا القبر بالحراس ، وختموا الحجر » (٢) •

ثم يتم متى حديثـه بقوله :

ــ « وبعد السبت ، عند فجر أول الأسبوع ، جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى ، لتنظرا القبر • واذا زلزلة عظيمة حدثت ، لأن ملاك الرب نزل من السماء ، وجاء ودحرج الحجر عن الباب ، وجلس عليه • وكان منظـره كالبرق ، ولباسه أبيض كالثلج • فمن خـوفه ، ارتعد الحراس ، وصاروا كأموات • فأجاب الملاك ، وقال للمرأتين : لا تخافا أنتما • فانى أعلم أنكما تطلبان يسـوع المصلوب • ليس هو ها هنا ، لأنه قام كما قال • هلما انظرا الموضع الذى كان الرب مضطجعا فيه ، واذهبا سريعـا قولا لتلاميذه : انه قـد قام من الأموات • ها هـو يسبقكم الى الجليل • هناك ترونه • ها أنا قلت لكما • فخرجا سريعا

---

(١) العهد الجديد : انجيل متى ــ ١ : الاصحاح السابع والعشرون : ٦٠ ، ٦١ •

(٢) العهد الجديد : انجيل متى ــ ١ : الاصحاح السابع والعشرون : ٦٢ ــ ٦٦ •

من القبر بخوف وفزع عظيم ، راكضتين ، لتخبرا تلاميذه • وفيما هما منطلقتان ، لتخبرا تلاميذه ، اذا يسوع لاقاهما وقال : سلام لكما • فتقدمتا وأمسكتا بقدميه ، وسجدتا له • فقال لهما يسوع : لا تخافا • اذهبا قولا لاخوتى أن يذهبوا الى الجليل ، وهناك يروننى ••• » (١) •

ويتفق مرقس مع متى فى الفكرة ، وان اختلف عنه فى تفصيلاتها ، اذ يرى أن مريم المجدلية ، ومريم أم يعقوب ، وسالومة ، قد اشترت « حنوطا ، ليأتين ويدهنه • وباكرا جدا ، فى أول الأسبوع ، أتين الى القبر اذ طلعت الشمس • وكن يقلن فيما بينهن : من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر • فتطلعن ورأين أن الحجر قد دحرج ، لأنه كان عظيما جدا • ولما دخلن القبر ، رأين شابا جالسا عن اليمين ، لابسا حلة بيضاء ، فاندهشن ••• » (٢) — ثم يتفق فيما يلى ذلك من تفصيلات ، مع متى •

أما لوقا ، فانه يرى أنهن قد « وجدن الحجر مدحرجا عن القبر • فدخلن ، ولم يجدن جسد الرب يسوع • وفيما هن محتارات فى ذلك ، اذا رجلان وقفا بهن ، بثياب براقة • واذ كن خائفات ، ومنكسات وجوههن الى الأرض ، قالا لهن : لماذا تطلبن الحى بين الأموات ؟ ليس هو هنا ، لكنه قام ••• » (٣) •

وأما يوحنا ، فانه يذكر أن مريم المجدلية قد جاءت وحدها « الى القبر باكرا ، والظلام باق ، فنظرت الحجر مرفوعا عن القبر • فركضت وجاءت الى سمعان بطرس ، والى التلميذ الآخر ، الذى كان يسوع يحبه ، وقالت لهما : أخذوا السيد من القبر ، ولسنا نعلم :

---

(١) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح الثامن والعشرون : ١ — ١٠ •

(٢) العهد الجديد : انجيل مرقس — ٢ : الاصحاح السادس عشر : ١ — ٥ •

(٣) العهد الجديد : انجيل لوقا — ٢ : الاصحاح الرابع والعشرون : ٢ — ٦ •

أين وضعوه ؟ فخــرج بطرس والتلميــذ الآخر ، وأتيــا الى القبر • وكان الاثنان يركضان معــا • فسبق التلميذ الآخر بطرس ، وجــاء أولا الى القبر • وانحنى فنظر الأكفان موضوعة ، ولكنه لم يدخل ••• أما مريم ، فكانت واقفة عند القبر خارجا تبكى • وفيما هى تبكى ، انحنت الى القبر ، فنظرت ملاكين بثياب بيض ، جالسين ، واحدا عند الرأس ، والآخر عند الرجلين ، حيث كان جســد يسوع موضــوعا • فقالا لها : يا امرأة ، لمــاذا تبكين ؟ قالت لهما : انهم أخذوا سيدى ، ولست أعلم : أين وضعوه ؟ ولمــا قالت هــذا ، التفتت الى الوراء ، فنظرت يسوع واقفا ، ولم تعلم أنه يسوع ••• قال لهــا يسوع : لا تلمسينى ، لأنى لم أصعد بعد الى أبى ••• ولمــا كانت عشية ذلك اليوم ، وهو أول الأسبوع ، وكانت الأبواب مغلقة ، حيث كان التلاميذ مجتمعين ، لسبب الخوف من اليهود ، جاء يسوع ، ووقف فى الوسط ، وقال لهم : سلام لكم • ولمــا قال هــذا ، أراهم يديه وجنبه • ففرح التلاميذ ، اذ رأوا الرب » [١] •

ولسنا ندرى : أى هذه الروايات نقبل ، وأيهما نرفض ؟

أو بعبارة أكثر صراحة ووضوحا : أيها نصدق ، وأيها نكذب ؟

ومما تجــدر الاشارة اليه ، أن القــرآن الكريم ، على طريقته فى حسم المسائل ، قد حسم لنا هذه المسألة المعقدة ، فى كلمات محدودات ، حيث قرر سبحانه أن الذى صلب ، لم يكن المسيح عيسى بن مريم ، بل كان شخصا آخر ، شبه لليهود :

ـ « وقولهم ( أى اليهــود ) : انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم ، رســول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شــبه لهم ، وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، مالهم به من علم الا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا • بل رفعــه الله اليه ، وكان الله عزيزا حكيما » [٢] •

---

(١) العهــد الجــديد : انجيل يوحنا ـــ ٤ : الاصحاح العشرون : ١ ـــ ٢٠ •

(٢) قرآن كريم : النساء ـــ ٤ : ١٥٧ •

أما تفصيلات هذا (الرفع) ، والتشبيه لهم ، فلم يوردها القرآن الكريم ، على طريقته فى عرض مثلها ، وانما يورد بعضها برنابا فى انجيله ، الذى لا تعترف به الكنيسة ، أو ربما أوردتها أناجيل أخرى ، غير انجيل برنابا ، من تلك الأناجيل التى لا تعترف بها الكنيسة ، وهى كثيرة كثيرة ، كما سبق •

واذا كانت الأناجيل المختلفة ، تتفق على أن يهوذا ، كان هو التلميذ الذى خان أستاذه من بين الاثنى عشر تلميذا ، فان برنابا يوافقها على تحديد هذا الخائن • كما يتفق برنابا مع الأناجيل المختلفة ، فى أن السيد المسيح كان قد لمح ليهوذا هذا ، بما سيفعله ، وبما سيناله نتيجة لذلك من العقاب — وان اختلف ( أى برنابا ) ، مع الأناجيل الأخرى ، فى ( عبارة ) واحدة ، هى الأخيرة من هذه الآيات :

— « قال هذا يسوع ، لأنه علم من سيسامه • فحزن التلاميذ لهذه الكلمات • فقال يسوع أيضا : ( الحق أقول لكم : ان واحدا منكم سيسلمنى ، فأباع كخروف • ولكن ويل له ، لأنه سيتم كل ما قال داود أبونا عنه : انه سيسقط فى الهوة ، التى أعدها للآخرين ) » (١) •

ثم يتفق برنابا مع الأناجيل المعترف بها ، فى مسألة عودة يهوذا مع كتيبة الجنود ، ليدلهم على من سيسلمه • ولكنه يختلف معهم ، فى ذكره ، أنه « لما دنت الجنود مع يهوذا ، من المحل الذى كان فيه يسوع ، سمع يسوع دنو جم غفير • فلذلك انسحب الى البيت خائفا • وكان الأحد عشر نياما • فلما رأى الله الخطر على عبده ، أمر جبريل وميخائيل وروفائيل وأوريل ( وفى النسخة الأسبانية عزريل ) ، سفراءه ، أن يأخذوا يسوع من العالم •

فجاء الملائكة الأطهار ، وأخذوا يسوع من السيدة المشرفة على الجنوب ، وحملوه ووضعوه فى السماء الثالثة ، فى صحبة الملائكة ، التى

(١) انجيل برنابا : الفصل الثالث عشر بعد المئتين : ٢٢ — ٢٥ .

تسبح الله الى الأبد » (١) .

ثم يتمم برنابا قصته :

— « ودخل يهوذا بعنف ، الى الغرفة التى أصعد منها يسوع .
وكان التلاميذ كلهم نيـاما . فأتى الله العجيب ، بأمر عجيب . فتغير
يهوذا فى النطق وفى الوجـه ، فصار شبها بيسوع ، حتى أننا اعتقدنا
أنه يسوع . أما هو ، فبعد أن أيقظنا ، أخذ يفتش لينظر : أين كان
المعلم ؟ لذلك تعجبنا وأجبنا : ( أنت يا سيد هو معلمنا . أنسيتنا الآن؟ ).
أما هو فقـال مبتسما : ( هل أنتم أغبيـاء ، حتى لا تعرفون يهوذا
الأسخريوطى ؟ ) . وبينمـا كان يقول هـذا ، دخلت الجنود ، وألقوا
أيديهم على يهوذا ، لأنه كان شبيها بيسوع ، من كل وجه » (٢) .

وهكذا ، حل لنا القرآن الكريم ، ذلك ( اللغز ) الذى حير الكنيسة
ورجالهـا ، ولا يزال يحـيرها ويحيرهم ، ويحير من ورائهم — ملايين
المسيحيين .. وحفظ على السيد المسيح كرامته ، وحمى تلاميـذه من
( تهمة ) تنكرهم له ، فى ساعة العسرة .. حل اللغز — وأيده فى حله
انجيل برنابا ، وغيره من الأناجيل ، التى رفضت الكنيسة الاعتراف بها —
بأن عزا ذلك كله الى قدرة الله سبحانه .. تلك القدرة ، التى بدت أول
الأمر فى خلق المسيح ، وفى انطاقه طفلا ، وفى انزال مائدة من السماء
عليه وعلى تلاميذه ، وفى تمكينه من ابراء المرضى واحياء الموتى ...

وقـد تجلت قدرة الله سبحانه هنا ، فى رفع المسيح الى السماء ،
معـززا مكرما ، وايقاعها بالمجرم الخائن يهوذا ، لينال عقاب خيانته
لمعلمـه .

ولو كان السيد المسيح هو الذى علق على الصليب ، ما وقف هذا

(١) انجيل برنابا : الفصل الخامس عشر بعد المئتين : ١ — ٨ .
(٢) انجيل برنابا : الفصل السادس عشر بعد المئتين : ١ — ٩ .

الموقف المخزى ، يصيح ويصرخ ، مع أنه كان يعلم بمصيره ، كما تقول الأناجيل فيما سبق [١] • ولو كان هو ، لاستغلها فرصة لنشر آرائه وأفكاره ، ليرد كيد اليهود الى صدورهم ، كما فعل معهم دوما [٢] — ولو كان هو ما أقسم بطرس ، أقرب حوارييه اليه ، على أنه لا يعرفه ، كما تتفق على ذلك كل الأناجيل [٣] •

ان مجرد تنكر الحواريين له ، يدل على أنه لم يكن هو — ولندع واحدا منهم — هو برنابا — يوضح لنا ما حدث :

— « الحق أقول : ان صوت يهوذا ووجهه وشخصه ، بلغت من الشبه بيسوع ، أن اعتقد تلاميذه ، والمؤمنون به كافة ، أنه هو يسوع • لذلك خرج بعضهم من تعليم يسوع ، معتقدين أن يسوع كان نبيا كاذبا ، وأنه انما فعل الآيات التى فعلها ، بصناعة السحر • لأن يسوع قال : انه لا يموت ، الى وشك انقضاء العالم • لأنه سيؤخذ فى ذلك الوقت من العالم »[٤] •

وربما فسر صراخ السيد المسيح ، ساعة الصلب ، على حد ما يورد متى [٥] ، أنه كان يهوذا ، ولم يكن السيد المسيح ، لأن السيد المسيح لم يكن ليصرخ على هذا النحو المخزى • أمام قدر الله الذى نزل به • والذى كان يعلمه مقدما ، على حد ما تقول الأناجيل •

---

(١) ارجع الى ص ١٧٤ — ١٧٦ من الكتاب •

(٢) ارجع الى ص ٧٨ — ٨٠ من الكتاب •

(٣) ارجع الى ص ١٧٩ ، ١٨٠ من الكتاب •

(٤) انجيل برنابا : الفصل السابع عشر بعد المئتين : ٨٠ — ٨٣ •

(٥) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح السابع والعشرون : ٤٦ ، ٥٠ •

ويحل لنا برنابا هـذا اللغـز ، وحديثه هنـا عن يهـوذا ، لا عن يسوع :

— « فقادوه الى جبل الجمجمة ، حيث اعتادوا شنق المجرمين ، وهناك صلبوه ، عريانا ، مبالغـة فى تحقيره . ولم يفعل يهوذا شـيئا سوى الصراخ : ( يا الله ، لمـاذا تركتنى ؟ فان المجرم قـد نجـا ، أما أنا فأموت ظلمـا ) .

فالذين ثبتوا راسخين فى تعليم يسـوع ، حاق بهم الحـزن ، اذ رأوا من يموت ، شبيها بيسوع كل الشبه ، حتى أنهم لم يذكروا ما قاله يسوع . وهكذا ذهبوا فى صحبة أم يسـوع ، الى جبـل الجمجمة . ولم يقتصروا على حضـور موت يهـوذا ، باكين على الدوام ، بل حصـلوا ، بواسطة نيقوديموس ويوسف الأباريماثيائى ، من الوالى ، على جسد يهوذا ، ليدفنوه ، فأنزلوه من ثم عن الصليب ، ببكاء لا يصدقه أحـد . ودفنوه فى القبر الجـديد ليوسف ، بعد أن ضمخوه بمئة رطل من الطيوب » (١) .

ولعلنـا — برواية برنابا هـذه — نعرف مصير يهـوذا ، الذى لا تشير اليه الأناجيل المعترف بهـا من الكنيسة ، الا اشـارة عابرة سريعة ، نجدها فى انجيل متى ، الذى يقول انه « ندم ، ورد الثلاثين من الفضة الى رؤساء الكهنة والشيوخ ... فطرح الفضة فى الهيكل وانصرف ، ثم مضى وخنق نفسه » (٢) .

ولو كان ذلك قـد حدث بالفعل ، لأشارت اليه بقية الأناجيل ، لأنهـا مفتاح هـذا ( اللغز ) الكبير فى هـذه القصة .

---

(١) انجيل برنابا : الفصل السابع عشر بعد المئتين : ٧٨ — ٨٨ .
(٢) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح السابع والعشرون : ٣ — ٦ .

ولو أنه حــدث بالفعــل ، لخصص له منى اصحاحا كاملا ... لا آيتين قصيرتين من آيات اصحاح ، ولخصص له كل انجيل اصحاحا كاملا أيضــا .

ولا ينسى برنابا أن يتم لنا فصول القصة حتى نهايتها .

ونهاية الفصول — كما سبق — هى بعثه من الأموات .

يقول برنابا :

— « أما التلاميذ الذين لم يخــافوا الله ، فذهبوا ليلا ، وسرقوا جسد يهوذا ، وخبأوه ، وأشاعوا أن يسوع قام . فحدث بسبب هذا اضطراب » (١) .

— « وصعد الملائكة ، الذين كانوا حراسا على مريم ، الى السماء الثالثة ، حيث كان يسوع فى صحبة الملائكة وقصوا عليه كل شيء . لذلك ضرع يســوع الى الله ، أن يأذن له بأن يرى أمه وتلاميــذه . فأمر حينئذ الرحمن ملائكته الأربعــة المقــربين . الذين هم جبريل وميخائيل ورافائيل وأوريل ، أن يحملوا يســوع الى بيت أمه ، وأن يحرسوه هناك مدة ثلاثة أيام متوالية ، وأن لا يسمحوا لأحد أن يراه ، خلا الذين آمنوا بتعليمه . فجــاء يسوع محفوفا بالسناء الى الغرفة التى أقامت فيها مريم العذراء مع ... فقالت حينئذ العذراء باكية : ( قل لى يا بنى : لمــاذا سمح الله بموتك ، ملحقــا العــار بأقربائك وأخلائك ، وملحقا العار بتعليمك ، وقد أعطاك قوة على احياء الموتى ؟ فان كل من يحبك ، كان كميت » (٢) .

« أجاب يسوع ، معانقا أمه : ( صدقينى يا أماه ، لأنى أقول لك بالحق أنى لم أمت قط ، لأن الله حفظنى الى قرب انقضاء العالم .

---

(١) انجيل برنابا : الفصل الثامن عشر بعد المئتين : ٣ ، ٤ .
(٢) انجيل برنابا : الفصل التاسع عشر بعد المئتين : ٥ — ١٧ .

ولما قال هـذا ، رغب الى الملائكة الأربعة أن يظهروا ، ويشهدوا ، كيف كان الأمر ؟ » • « ثم قص الملائكة الأربعة على العذراء . كيف أن الله أرسل الى يسوع ، وغير ( صورة ) يهوذا ، ليكابد العذاب الذى باع له آخر » (١) •

**البشـارة :**

حدد متى وغيره من أصحاب الأناجيل المعترف بها من الكنيسة ، منذ البداية ، وجهة رسالة المسيح ، فيما ينسبونه اليه ، محدثا تلاميذه :

— « الى طريق أمم لا تمضوا ، والى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة » (٢) •

كما حدد متى وغيره من أصحاب الأناجيل المعترف بها من الكنيسة ، ( وضع ) المسيح على خريطة النبوة ، فيما ينسبونه اليه محدثا تلاميذه أيضـا :

— « لا تظنوا أنى جئت لأهدم الناموس أو الأنبياء • ما جئت لأنقض ، بل لأكمل • فانى الحق أقول لكم : الى أن تزول السماء والأرض ، لا يزول حرف واحد ، أو نقطة واحدة من الناموس ، حتى يكون الكل » (٣) •

وتفرض هـذه العبارة الأخيرة ( حتى يكون الكل ) علينا هـذا السـؤال :

هـل ينتهى الكل ، بنزول المسيح ، الى بنى اسرائيل ، دون غيرهم ، كما تحدد الأناجيل المعترف بهـا من الكنيسة ذاتها — برغم

(١) انجيل برنابا : الفصل العشرون بعد المئتين : ١ — ١١ .
(٢) العهد الجديد : انجيل متى ١ : الاصحاح العاشر : ٥ ، ٦ .
(٣) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح الخامس : ١٧ : ١٨ .

( ادعائها ) فيما بعـــد ، أن المسيح أمرهم بالتبشير خارج اسرائيل — أم ينتهى الكل ، بنزول الرسالة الخاتمة ، التى جاء المسيح مبشرا بهـــا فى الحقيقـــة ؟

ولندع متى ذاته ، يجيب على هـــذا السؤال ، حيث يقول متى :

— « قال لهم يســـوع ، أما قرأتم قط فى الكتب : الحجر الذى رفضه البناؤون ، هو قـــد صار رأس الزاوية . من قبل الرب ، كان هـــذا . وهو عجيب فى أعيننا . لذلك أقول لكم : ان ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل أثماره . ومن سقط على هذا الحجر يترضض ، ومن سقط هو عليه ، يسحقه » [1] .

واذا كان متى يستخدم الكناية على طريقته فى الحديث ، فربمـــا كان مفيدا أن نلجأ الى برنابا ، الذى عودنا ( التصريح ) بما يريد قوله ، لا الاكتفاء بمجرد ( التلميح ) ، ولو أن الكنيسة لا تعترف بانجيله — يقول برنابا ، على لسان المسيح :

— « كل ما ينطبق على كتاب موسى ، فهو حق فاقبلوه . لأنه لمـــا كان الله واحدا ، كان الحق واحـــدا . فينتج من ذلك ، أن التعليم واحد ، وأن معنى التعليم واحد ، فالايمان اذا واحـــد . الحق أقول لكم : انه لو لم يمح الحق من كتاب موسى ، لمـــا أعطى الله داود أبانا الكتاب الثانى ، ولو لم يفسد كتاب داود ، لم يعهد الله بانجيله الى ، لأن الرب الهنا غير متغير ، ولقـــد نطق رسالة واحـــدة لكل البشر . فمتى جاء رسول الله ، يجىء ليطهر كل ما أفسده الفجار من كتابى »[2] .

واذا كان برنابا هنا يبشر ( برسول الله ) ، دون ذكر اسمه ؛ فانه يبشر به فى أماكن كثيرة من انجيله .. بالاسم ، فى مثل قوله : « ان

---

(١) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح الحادى والعشرون : ٤٢ — ٤٤ .

(٢) انجيل برنابا : الفصل الرابع والعشرون بعد المئة : ٥ — ١٠ .

اسمه المبارك محمد » [١] ، أو « انه محمد رسول الله ... فهو غمامة بيضاء ، ملأى برحمة الله ، وهى رحمة ينثرها الله رذاذا على المؤمنين كالغيث » [٢] .

وفى مكان آخر من انجيل برنابا ، يضع المسيح النقط على الحروف ، فيما يتصل برسالته هو ، وبرسالة ( محمد رسول الله ) ، ذى ( الاسم المبارك ) ، فيقول :

— « ان كل نبى متى جاء ، فانه انما يحمل لأمة واحدة فقط ، علامة رحمة الله . ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذى أرسلوا اليه . ولكن رسول الله متى جاء ، يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده ، فيحمل خلاصا ورحمة لأمم الأرض ، الذين يقبلون تعليمه ، وسيأتى بقوة على الظالمين ، ويبيد عبادة الأصنام ، بحيث يخزى الشيطان » [٣] .

أو يقول :

— « انى حقا أرسلت الى بيت اسرائيل نبى خلاص ، ولكن سيأتى بعدى مسيا ، المرسل من الله لكل العالم ، الذى لأجله خلق الله العالم » [٤] .

ويحدد المسيح — عند برنابا — أن محمدا المخلص ، مخلوق قبل آدم ، وأن آدم وجد فيه عزاء وراحة نفس :

— « فلما انتصب آدم على قدميه ، رأى فى الهواء كتابة تتألق كالشمس ، نصها ( لا اله الا الله ، محمد رسول الله ) » ، ولما سأل آدم ربه عن معناها ، قال له :

---

(١) انجيل برنابا : الفصل السابع والتسعون : ١٧ .
(٢) انجيل برنابا : الفصل الثالث والستون بعد المئة : ٨ — ١١ .
(٣) انجيل برنابا : الفصل الثالث والأربعون : ١٣ — ١٨ .
(٤) انجيل برنابا : الفصل الثانى والثمانون : ١٦ ، ١٧ .

« .. وهذا الذى رأيته ، انما هو ابنك ، الذى سيأتى الى العالم بعد الآن بسنين عديدة . وسيكون رسولى ، الذى لأجله خلقت كل الأشياء . الذى متى جاء ، سيعطى نورا للعالم ... » (١) .

وقد زاد عزاء آدم بابنه محمد — عند برنابا — عندما طرد من الجنة :

— « ثم قال الله لآدم وحواء ، اللذين كانا ينتحبان ( اخرجا من الجنة ، وجاهدا أبدانكما ، ولا يضعف رجاؤكما ، لأنى أرسل ابنكما على كيفية يمكن بها لذريتكما أن ترفع سلطة الشيطان عن الجنس البشرى ، لأنى سأعطي رسولى الذى سيأتى كل شىء ) ، فاحتجب الله ، وطردهما الملاك ميخائيل من الفردوس . فلما التفت آدم ، رأى مكتوبا فوق الباب : ( لا اله الا الله ، محمد رسول الله ) . فبكى عند ذلك وقال ( أيها الابن ، عسى الله أن يريد أن تأتى سريعا ، وتخلصنا من هذا الشقاء ) » (٢) .

واذا كان الأمر كذلك ، فهل يكون غريبا أن يتمنى المسيح أن يكون واحدا من خدامه :

— « ما أسعد الزمن الذى سيأتى فيه الى العالم . صدقوا ، أنى رأيته ، وقدمت له الاحترام ، كما رآه كل نبى ، لأن الله يعطيهم روحه نبوة . ولما رأيته امتلأت عزاء ، قائلا : ( يا محمد . ليكن الله معك ، وليجعلنى أهلا أن أحل سير حذائك ، لأنى اذا نلت هذا ، صرت نبيا عظيما وقدوس الله ) » (٣) .

وهذا الذى يفصله برنابا ، على طريقته ، فى انجيله ، يوجزه القرآن الكريم ، على طريقته أيضا ، فى عرضه لما يريد عرضه من حقائق ، حيث يقول الله سبحانه :

---

(١) انجيل برنابا : الفصل التاسع والثلاثون : ١٤ — ٢١ .
(٢) انجيل برنابا : الفصل الحادى والأربعون : ٢٥ — ٣١ .
(٣) انجيل برنابا : الفصل الرابع والأربعون : ٢٧ — ٣١ .

— « واذ قال موسى لقومه : يا قوم لم تؤذونني ، وقد تعلمون أني رسول الله اليكم ، فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم . والله لا يهدي القوم الفاسقين . واذ قال عيسى بن مريم : يا بني اسرائيل ، اني رسول الله اليكم ، مصدقا لما بين يدي من التوراة ، ومبشرا برسول يأتي من بعدي ، اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات ، قالوا : هذا سحر مبين » (١) .

ويؤكد ناشر انجيل برنابا ، أن البشارة بمحمد ، واردة في الأناجيل ، بنصها القرآني ، حيث يقول في تقديمه له : « نقل الشيخ محمد بيرم ، عن رحالة انكليزي ، أنه رأى في دار الكتب البابوية في الفاتيكان ، نسخة من الانجيل ، مكتوبة بالقلم الحميري ، قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيها يقول المسيح ( ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ) ، وذلك موافق لنص القرآن بالحرف » . ثم يعلق على ذلك بقوله : « فظهر أن في مكتبة الفاتيكان من بقايا تلك الأناجيل والكتب ، التي كانت ممنوعة في القرون الأولى ، ما لو ظهر ، لأزال كل شبهة عن انجيل برنابا وغيره » (٢) .

ويعرض الدكتور محمود محمد مزروعة ، لما أورد لوقا في انجيله ، متصلا بالليلة التي ولد فيها المسيح ، حيث يقول لوقا ، عن تلك الليلة :

— « وظهر بغتة مع الملاك ، جمهور من الجند السموي ، مسبحين الله وقائلين : المجد لله في الأعالي ، وعلى الأرض السلام ، وبالناس المسرة » (٣) .

---

(١) قرآن كريم : الصف — ٦١ : ٥ ، ٦ .
(٢) انجيل برنابا ، ص ت ( من مقدمة الناشر ، محمد رشيد رضا الحسيني ، منشىء المنار ) .
(٣) العهد الجديد : انجيل لوقا — ٣ : الاصحاح الثاني : ١٣ ، ١٤ .

يعرض الدكتور مزروعة لهـذه الآيات الواردة فى انجيل لوقا ، فيرى فيها بشارة بحمد أيضا ، مستندا فى ذلك الى « الباحث المحقق ، السـيد ( عبد الأحـد داود ) ، الذى كان من رجال الدين النصرانى ، المتخصصين فى اللاهوت وعلم اللغـات ، ثم أسلم » ، والذى « يذهب الى أنهـا بشارة بمجىء محمد عليه السلام بالاسلام » [1] .

« يقول السيد عبد الأحد ، أن هؤلاء الملائكة ، لم ينشدوا هـذا النشيد باللغـة العربية ، أو اليونانية ، والا لمـا فهمها الرعاة ، الذين سـمعوا النشيد ، لأن الرعاة لم يكونوا يفهمون الا السريانية ، التى هى لغتهم » [2] .

ويرى الباحث أن ( السلام ) العربية ، هى ( ايرينى ) السريانية ، وأن ( المسرة العربية ) ، هى ( ايودوكيا ) السريانية ، وأن من غير المعقول « أن يقصد الملائكة أن الأرض عليها السلام ، بمعنى المصالحة والمسالمة، فأن ذلك منقوص ومرفوض ، بنص كلام المسيح نفسه ، من واقع حياة البشر ، وسيرة الكنيسة » ، وأن « كلمة ( ايرينى ) ، معناها (الاسلام)، وليس السلام ، أو سلامة ، كما تزعم الأناجيل المحرفة ، وأما كلمـة ( ايودوكيا ) ، فمعناها : فعل التفضيل من الحمد ، أى ( أكثر الحمد ) ، أو ( أحمد ) ، وهو العلم الذى أطلقه الكتاب العزيز ، على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فى آية البشارة فى القـرآن ، حيث يقول تعالى: ومبشرا برسول يأتى من بعدى ، اسـمه ( أحمـد ) .

والترجمة الكاملة لنشيد الملائكة ، الذى أورده لوقا فى رأى الباحث هى : ( الحمد لله فى الأعالى — اقترب أن يجىء الى الأرض الاسلام — ينشره بين الناس أحمد ) » [3] .

---

(١) دكتور محمود محمد مزروعة ( مرجع سابق ) ، ص ٨١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٨٢ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٨٣ ، ٨٤ .

ويتخذ عبد الله يوسف على من موقف بنى اسرائيل الدائم ، من الرسل والرسالات ، ( مبررا ) لانتقال خاتم الرسالات منهم ، الى غيرهم ، لأن خاتم الرسالات ، لم يكن ممكنا أن تتنزل على قوم ، قلوبهم بهذا المرض .. الاسرائيلى [١] .

كما ينظر الشهيد سيد قطب الى القضية ، من منظور آخر ، هو منظور تلك ( الوحدة ) الظاهرة ، فى الخط الواحد العام ، فيرى الآيات « تصور حلقات الرسالة المترابطة ، يسلم بعضها الى بعض ، وهى متماسكة فى حقيقتها ، واحدة فى اتجاهها » ، « وهى الصورة اللائقة بعمل الله ومنهجه ، فهو منهج واحد فى أصله ، متعدد فى صوره ، وفق استعداد البشرية وحاجاتها وطاقاتها ، ووفق تجاربها ورصيدها من المعرفة ، حتى تبلغ مرحلة الرشد العقلى والشعورى ، فتجىء الحلقة الأخيرة ، فى الصورة الأخيرة ، كاملة شاملة ، تخاطب العقل الراشد ، فى ضوء تلك التجارب ، وتطلق هذا العقل ، يعمل فى حدوده ، داخل نطاق المنهج المرسوم للانسان فى جملته ، المتفق مع طاقاته واستعداداته » [٢] .

---

(1) ALI, ABDULLAH YUSUF : The Holy Qur-an, Text, Translation and Commentary, Volume Two ; Hafner Publishing Company, New-York, U.S.A., 1946, p. 1540.

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد السادس ( الأجزاء : ٢٦ — ٣٠ ) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ٣٥٥٦ ، ٣٥٥٧ .

## وللمسلم أن يفخر بمسيحه

منذ خلق الله الانسان ، وكرمه على بقيـــة خلقه ، باستخلافه له فى الأرض ، والمعركة بين الخير والشر قائمة ، وستظل قائمـــة ، حتى تقــوم الساعة .

ذلك أن الله سبحانه قـــد ( أراد ) للانســـان أن يتبع ســـبيل الشيطان ، وأن يستغفر ربه بعـــدها ، لتتم ارادة الله « نصـــالح هـــذا الانسان » [1] — فيهبط الى الأرض ، ويميز « بين الخـــير والشر ، ولم يكن بين الخير والشر من تمييز ، قبل أن يعرف الشيطان ، بصـــفاته وأعماله ، وضروب قدرته ، وخفايا مقاصـــده ونياته » [2] — « ولولا ذلك ، لمـــا كان فضل على الملائكة ولا على الجـــان » [3] ، التى تعرف الخير وحـــده ، ولا تعرف الشر ، لأنه ليس من طبعها .

والاسلام ، الذى يعنى ( التسليم ) الكلى لله وحـــده ، هو الذى يستطيع وحده ، أن يضمن للانسان ، أنه فى ( معركة ) حياته ، انمـــا يحارب فى صف الله ، لا فى صف الشيطان ، طالمـــا كانت قضية الانسان الأساسية ، فى هذه الحياة ، هى « قضية عقيدة ، ومعركة عقيدة » [4] .

واذا كانت المسيحية تقــوم — فى عقيدتها — على ( الخطيئـــة الأولى ) ، على نحو ما سبق فى الفصل الثالث ، عند حديثنا عن ( الاطار الأيديولوجى للمسيحية ) [5] ، فان الاسلام — شأنه فى ذلك شأن كل

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : التربية الاسلامية ، والقرن الخامس عشر الهجرى — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٩٨٢ ، ص ١٤٥ .
(٢) عباس محمود العقاد : ابليس ( بحث فى تاريخ الخير والشر ، وتمييز الانسان بينهما ، من مطلع التاريخ ، الى اليوم ) ( مرجع سابق ) ، ص ٣ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٥ .
(٤) سيد قطب : معالم فى الطريق — ١٣٨٨هـ — ١٩٦٨م ، ص ١٨٥ .
(٥) ارجع الى ص ١٠١ وما بعدها من الكتاب .

دين حق ، نزل من السماء ، بما فى ذلك المسيحية الحقة ، قبل أن تمتد اليها أيدى التحريف ، بعد المسيح — يقوم على أساس مغفرة الله سبحانه لآدم ، من هذه الخطيئة الأولى :

— « ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما » (١) .

— « .. وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتباه ، فتاب عليه وهدى » (٢) .

ومن ثم تكون هذه ( الخطيئة الأولى ) ذاتها ، بداية التكريم الحق لآدم ، لأنها هى التى أنزلته الى الأرض ، ليجاهد ضد الشيطان وزبانيته ، وليكتمل له كماله ، بهذا الجهاد .

ولم يكن الله سبحانه ليترك خليفته وحيدا ، فى جهاده ضد الشيطان ، ومن ثم كان لابد من تأييده ، بشتى السبل ، حتى يظل — دوما — على طريق الله .

و ( فطرة ) الانسان ، تقوده حتما ، الى طريق الله .. أى الى الاسلام .

ولكن الشيطان لم يكن ليسكت على الانسان ، حتى يطاوع فطرته تلك :

— « واذ قلنا للملائكة : اسجدوا لآدم ، فسجدوا الا ابليس ، قال : أأسجد لمن خلقت طينا ؟ قال : أرأيتك هذا الذى كرمت على ، لئن أخرتنى الى يوم القيامة ، لأحتنكن ذريته الا قليلا . قال : اذهب ، فمن تبعك منهم ، فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا . واستفزز من استطعت منهم بصوتك ، وأجلب عليهم بخيلك ورجلك ، وشاركهم فى

---

(١) قرآن كريم : طـه — ٢٠ : ١٢١ ، ١٢٢ .
(٢) قرآن كريم : طـه — ٢٠ : ١١٥ .

الأموال والأولاد ، وعدهم ، وما يعدهم الشيطان الا غرورا • ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ، وكفى بربك وكيلا » [١] •

ونتيجة لحب الله سبحانه لخليفته — آدم وبنيه ، كانت (سلسلة الأنبياء لهم ، تعيدهم الى طريق الفطـرة ، بعد أن يكونوا قـد ضلوا عنهـا • • •

ومع كل نبى كانت معجزة ، تناسب المقـام ، لا لتدل على قـدرة النبى ذاته ، ولكن لتدل على قدرة من بعثه الى قومه ، ليهـديهم الى سـواء السبيل •

وفى حالة السيد المسيح ، كانت المعجزة التى تناسب مقامه — كما رأينا — من خلال حديثنا عن ( عصره ) فى الفصل الأول — كانت معجزة الخروج على القـانون الطبيعى ، لأنه ظهـر فى عصر ، كان التقـدم العلمى ، والوصول الى ( القوانين الطبيعية ) التى تحكم العـالم ، من خلاله ، قـد وصل مدى بعيدا [٢] •

وقـد مهد لمعجزة مولد المسيح غير العادى ، معجزات أقل شأنا رأيناها فى الفصل الثانى ، فى أسرته التى انتسب اليها [٣] •• لعل القوم يستوعبون هـذه المعجزة •

ومع ذلك ، فان الفطرة الانسانية المستقيمة ، لم تكن بحاجة الى هـذه المعجزات ، الأقل شأنا ، والتى مهدت لها ، لأن خلق آدم ذاته ، معجزة أخطر وأكبر •

ومن ثم كان ذلك الربط القـرآنى الرائع ، بين الخلقين :

---

(١) قرآن كريم : الاسراء — ١٧ : ٦١ — ٦٥ •
(٢) ارجع الى ص ١٩ ، ٢٠ من الكتاب •
(٣) ارجع الى ص ٥٢ — ٥٩ من الكتاب ، لتقف على هذه المعجزات ،

— « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ، ثم قال له ، كن فيكون » (١) .

بل ان العلامة ابن كثير ، فى تفسير هـذه الآية ، يجعل ميـلاد عيسى ، على النحو الذى ولد عليه ، مكملا سلسلة ، كان يجب أن تتم ، حيث « يقول جل وعلا : ( ان مثل عيسى عند الله ) ، فى قدرة الله ، حيث خلقه من غير أب ( كمثل آدم ) ، حيث خلقـه من غير أب ولا أم ، بل خلقه من تراب ، ثم قال له : كن فيكون ، فالذى خلق آدم من غير أب ، قادر على أن يخلق عيسى ، بطريق الأولى والأحرى ... ولكن الرب جل جلاله ، أراد أن يظهر قدرته لخلقه ، حين خلق آدم ، لا من ذكر ولا من أنثى ، وخلق حواء ، من ذكر بلا أنثى ، وخلق عيسى ، من أنثى بلا ذكـر ، كما خلق بقية البرية ، من ذكر وأنثى » (٢) .

فقانون التوالد من ذكر وأنثى ، هو قانون من صنع الله سبحانه ، وقدرة صانع القانون ، تبدو فى دقة القانون المصنوع ، كما تبدو — عند اللزوم — فى هدم جزئية من جزئياته ، لأن ( اطراد ) القانون ، قـد يوحى الى العقل المريض ، بما يوحى به عند الماديين المعاصرين ، وعند الذين كانوا موجودين فى الوقت الذى ولد فيه المسيح ... من أنه قانون صنعته الطبيعة ، ومن ثم فهو يسير سيرا ذاتيـا .

ومن ثم كان الخـروج على هـذا القـانون وتعطيله فى بعض الحالات ، ضرورة .. كما نرى فى كل معجزة من المعجـزات التى أتى بهـا الأنبيـاء .

وعندما تفسر قضية المسيح ، على أنها أكثر من ( معجزة ) ، سبقتها على الطـريق معجزات .. فان الشيطان لابد أن يكون قـد نجـح فى أن يتسلل الى صلب العقيـدة ، ليبـاعد بين ( المؤمنين ) بهـا وبين ما ( يدعونه ) من ايمـان .

---

(١) قرآن كريم : آل عمران — ٣ : ٥٩ .
(٢) تفسير القرآن العظيم — الجزء الأول (مرجع سابق) ، ص ٣٦٧ .

وصحيح أن الذى بلور هــذا التصور الجديد للمسيح ، فباعد بينــه وبين وضـــعه الطبيعى : يهودى ، يســمى بولس ، تسلل الى الدين ، ليخربه من داخله ، وساعده على ذلك امبراطور وثنى ، اســمه قسطنطين ، ولكننا يجب ألا ننسى هنا ، أن ( الشيطان ) عندما يريد أن ( يفعل ) ، فانه يتجسد انسانا ، يحارب — من خلاله — معركة الباطل ، التى نذر نفسه لهــا ، ولن يجد هذا الشيطان اسانا يتجسده ، خيرا من يهودى ، أو وثنى •

فللمسلم أن يفخر بمسيحه ، الذى عاش لله عبدا ، يعتز بهـــذه العبودية ، وبذلك حمى المؤمنين به وبرسالته ، من ذلك التنـــاقض الصارخ ، حــول شخصه ، كمــا خلقته أيدى التحريف والتخريف ، حين يرون أن « رب العالمين ، نزل عن كرسى عظمته ، فالتحم ببطن أنثى ، وأقام هناك مدة من الزمان ، بين دم الطمث فى ظلمات الأحشاء ، تحت ملتقى الأعكان ، ثم خرج صبيا رضيعا ، يشب شيئا فشيئا •• » ، « ثم جعل اليهود يطردونه ويشردونه ، من مكان الى مكان ، ثم قبضوا عليه ، وأحلوه أصناف الذل والهوان ، فعقدوا على رأسه من الشـــوك تاجا ، من أقبح التيجان » ، « ثم ساقوه الى خشبة الصلب ، مصفوقا ، مبصوتا فى وجهه » ، « وهو يستغيث : يا قوم ارحمونى ! فلم يرحمه منهم انسان • هــذا ، وهو مدبر العــالم العلوى والســفلى ، الذى يسأله من فى السموات والأرض »[1] • « وهو الذى اختار هــذا كله ، لتتم له الحيلة على ابليس ، ليخلص آدم وسائر الأنبياء ، من سجنه ، ففداهم بنفسه ، حتى خلصوا من سجن ابليس »[2] •

أو كما لخص الشيخ محمد الغزالى ، ( مأساة ) أولئك المحرفين والمخرفين بقــوله : « ان المسيحيين يقولون : ان الله ( الآب ) صلب ،

---

(١) الامام العلامة ، شمس الدين محمد بن ابى بكر بن قيم الجوزية ( المتوفى سنة ٧٥١ ) ( مرجع سابق ) ، ص ٣ ، ٤ •
(٢) المرجع السابق ، ص ١٥ •

لكنهم يقولون كذلك : ان الآب هو الابن ، وهما — والروح القدس جميعا — شيء واحد .

ان كان الأمر كذلك ، فالقاتل هو القتيل ! ! وذاك سر ما قاله أحد الفرنجة المفكرين :

( خلاصة المسيحية ، أن الله قتل الله لارضاء الله !! )[١] .

ولم يكن غريبا ، أن نرى شاعرا موهوبا ، كجبران خليل جبران ، يؤمن بمسيحنا ، لا بمسيحهم ، وأن يحزن « أصدقاؤه المسيحيون ، لرفضه طقوسهم الكنسية ، وهو على فراش الموت » ، « فقد رفض أن يعترف للكاهن المارونى ، أو يسمح له بأداء الطقوس المسيحية ، ساعة احتضاره »[٢] ، وذلك لأنه أراد « أن يحطم الصورة التى صورها المؤرخون للمسيح ، كما لو كان ( سيدة بلحية ) ، لأنه كان يؤمن أن المسيح رجل العزم والرأفة ، وأنه لم يكن مسكينا و ضعيفا و مشعوذا أو ساحرا ، بل بشرا كسائر البشر جميعا »[٣] .

والدين — منذ كان الدين — وقبل أن تتنزل حتى ديانات السماء — « لازمة من لوازم الجماعات البشرية » ، لا « لأنه مصلحة وطنية ، أو حاجة نوعية .. لأن الدين قد وجد ، قبل أن توجد الأوطان ، ولأن الحاجة النوعية ( بيولوجية ) ، تتحقق أغراضها فى كل زمن ، وتتوافر أسبابها فى كل حالة ، ولا يزال الانسان بعد تحقق أغراضها ، وتوافر وسائلها ، فى حاجة الى الدين »[٤] — وانما هو لازمة

---

(١) محمد الغزالى : قذائف الحق — منشورات المكتبة العصرية — بيروت — صيدا — ١٣٩٣ هـ ، ص ٤١ .

(٢) جبران خليل جبران : النبى — من روائع جبران خليل جبران — نقله الى العربية وقدم له : ثروت عكاشة — الطبعة الرابعة — دار المعارف ، ص ٥٥ ( من المقدمة ، للدكتور ثروت عكاشة ) .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦١ (من المقدمة ، للدكتور ثروت عكاشة) .

(٤) عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية ( مرجع سابق ) ، ص ٥ ، ٦ ( من المقدمة ) .

من لوازم الجماعة البشرية ، لأنه ( حاجة كونية ) لها ، ومن ثم سعت الجماعات البشرية اليه ، قبل أن يتنزل هــو عليها .. ومن ثم فان « تجارب التاريخ تقرر لنا أصالة الدين ، فى جميع حركات التـــاريخ الكبرى » ، « ويقرر لنـــا التاريخ ، أنه لم يكن قط لعامل من عوامل الحركات الانسانية ، أثر أقوى وأعظم ، من عامل الدين . وكل ما عداه من العوامل المؤثرة فى حركات الأمم ، فانما تتفاوت فيه القوة ، بمقدار ما بينــه وبين العقيدة الدينية ، من المشابهة ، فى التمكن من أصـــالة الشعور ، وبواطن السريرة ...

هــذه القوة ، لا تضارعها قــوة العصبية ، ولا قــوة الوطنية ، ولا قوة العرف ، ولا قوة الأخلاق ، ولا قوة الشرائع والقوانين » [١] .

وقيمة الدين فى هــذا المجال ، أنه كان ــ دوما ــ العامل الأساسى فى ( الجمع ) بين أفراد المجتمع الواحد ، على طريق لابد أن يجتمعوا عليه . فتتوحد خطاهم على الطريق ، فيكون لتجمعهم عليه قيمة ، وبدون هــذا التجمع على هذا الطريق ، تتنافر الخطى ، وتتضارب الأهداف ، وتكون النتيجــة أن تتبدد الطاقات ، وأن يتمزق الشمل ، وأن تضيع المقاصــد .

ولا نملك هنا الا أن نفرق بين دين حق ، ودين باطل ، وان كنـــا لا نستطيع أن ننكر أهميــة الدين على عمومه ، فى جمــع شمل الأمة على طريق .

والدين الحــق ، هو ذلك الدين الذى يكون مستجيبا ( للفطرة ) الانسانية ، التى فطر الله الناس عليها ، فيربط الانسان ــ المخلوق ــ برب العرش سبحانه ... والدين الباطل ، هو ذلك الدين ، الذى يتنافى

---

(١) عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام واباطيل خصومه ( مرجع سابق ) ، ص ١٩ ، ٢٠ .

مع ( الفطرة ) ، الكامنة فى الانسان ، فيربطه بغير الخالق ... انسانا كان ، أو ظاهرة طبيعية ، أو غير ذلك .

والدين الحق عادة يكون قـد نزل من السماء ، ولم تمتد اليه بالتحريف يـد .

والدين الباطل عادة يكون من ( اختراع ) انسان ، اختراعا تقبله الناس عن رضا وطواعية ، أو اختراعا يفرض على الناس فرضا ، وقـد يكون هـذا الدين الباطل فى أصله صحيحا ... ثم امتدت اليه الأيدى عابثة ، فيصير الدين غير الدين ، ويصير الانسان به غير انسان .

والملاحظ فى حركات التاريخ الطويل للانسانية ، أنه ما من دين حق ظهر ، الا وكانت الحملة ضـده ضارية .

والملاحظ فى هـذه الحركات أيضا ، أن هـذه الحملات الضارية ، التى كانت توجه ضـد الأديان ، كانت هى السبب الرئيسى ، فى اظهار هـذه الأديان .

وينطبق هـذا الكلام على المسيحية ، انطباقه على غيرها ، فلقـد كانت الحـرب العنيفة ، التى اتجهت الى المسيحية بعد المسيح ، هى التى دفعت المؤمنين بها ، الى ( الهروب ) بهـا ، بعيدا عن المجتمعات الكافرة ، المعـاندة فى كفرها ، ومن ثم كانت ( الرهبنة ) فى المسيحية فى تاريخها المبكر ، عملا ( ايجابيا ) فعـالا ، ولم تكن مجـرد عمل ( سلبى ) ، كما يبدو بالنظرة السريعة ، اذ أن المسيحية لم تستطع أن تنمو ، وتتحول الى ( قوة ) فعالة ، الا من خلال هـذا العمل .

ولعل أشهر هؤلاء الفارين بدينهم الحق .. هم ( أهل الكهف ) ، الذين تحدث عنهم القرآن الكريم ، بكل اعزاز ، بوصفهم ( مثلا أعلى ) للانسانية ، عندما تضيق بهـا كل السبل :

— « اذ أوى الفتية الى الكهف ، قالوا : ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهيىء لنا من أمرنا رشدا • فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا ، ثم بعثناهم لنعلم : أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا ؟ نحن نقص عليك نبأهم بالحق : انهم فتية آمنوا بربهم ، وزدناهم هدى • وربطنا على قلوبهم ، اذ قاموا فقالوا : ربنا رب السموات والأرض ، لن ندعو من دونه الها ، لقد قلنا اذا شططا • هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة ، لولا يأتون عليهم بسلطان بين ، فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا»[1]•

ويرى العلامة أبو الحسن الندوى ، أن « قصة هؤلاء الفتية المؤمنين بربهم ، تعود الى فجر التاريخ المسيحى ، بعدما ظهرت الدعوة الى التوحيد ، ورفض الأوثان ، عن طريق أتباع المسيح عليه السلام » ، وأنها « من أعظم القصص غرابة ، وأشدها دلالة على صرامة أتباع المسيح الأولين ، وقوة ايمانهم ، وتفانيهم فى سبيل العقيدة والمبدأ ، وغيرتهم على تعاليم المسيحية النقية الأولى »[2] •

ويبدو أن جيل ( الغيوريون ) على العقيدة الدينية المسيحية الأصلية ، كما تنزلت من السماء ، قد انتهى ، وتلاهم جيل آخر ( الموادعة ) و ( المسالمة ) ، فساير السلطة ، وساير العقائد الوثنية ، التى كانت منتشرة •• فكانت سلسلة ( المجامع الكنسية ) ، التى تحدثنا عنها فى الفصل الثالث[3] ، التى فرض سلطان وثنى من خلالها ، وجهة نظر الأقلية الضئيلة ، المشبعة بالوثنية ، على الأكثرية الكاثرة ، من الموحدين — كما رأينا عند حديثنا ثمة ، عن مجمع نيقية[4] •

ومن ثم بدأت ( الفرق ) المسيحية فى الظهور ، وبدأت الحروب بين هذه الفرق •

---

(١) قرآن كريم : الكهف — ١٨ : ١٠ — ١٥ .

(٢) أبو الحسن الندوى : تأملات فى سورة الكهف — الطبعة الثالثة — المختار الاسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٣) ارجع الى ص ٨٧ — ٩٤ من الكتاب .

(٤) ارجع الى ص ٨٨ — ٩٠ من الكتاب .

وهكذا جمع ( الاضطهاد ) و ( المطاردة ) ، بين المؤمنين ، وفرق بينهم السلطان ، يوم جمعهم على رأى واحد ، يتفق ووثنيته ، فاذا بالرأى الواحد ، الذى يجتمعون عليه ، يكون من أسباب فرقتهم ، الى يوم الدين .

ولا ينكر المتحمسون للمسيحية ، بل والمتعصبون لها ، ما آل اليه حال المسيحية ، قبل ظهور الاسلام ، من حال ، سبب هذا ( التفرق ) ، الذى نتج عن تجميعهم على ضلال ، فان « الشرق — وقت ظهور الاسلام — كان مرتعا خصيبا للاضطرابات الدينية ، والخلافات المذهبية ، فقد كانت الحرب لا تزال مستعرة نارها ، بين اليهودية والمسيحية من جهة ، وكانت الفرق المبتدعة ، الخارجة عن النصرانية ، تتناوأ مع بعضها من جهة ثانية ، كما كانت الوثنية تتنازع هاتين الديانتين — اليهودية والمسيحية — من جهة ثالثة »[1] .

كما أن الاضطهادات ( باسمها ) ، كانت قد وصلت الى درجة ، لا يملك المسيحى المتعصب ، سوى أن يأسف لحدوثها ، كما فعل القائمقام الفرنسى ، ترتن[2] — هكذا بكل بساطة !!

وهكذا صارت المسيحية المحرفة ، سببا من أسباب ( التفريق ) بين المسيحيين ، فاختلفت — بذلك — مع كل دين ، غير المسيحية ، حتى ولو كان دينا وضعيا .

وصارت الحاجة ماسة ، الى ( مسيحية جديدة ) ، تجمع الناس على الحق .. فكان الاسلام .. لأن المسيحية الحقة ، لابد أن تكون هى الاسلام ، بمعنى ( تسليم الأمر لله وحده ) .

---

(١) الايغومانس ابراهيم لوقا ( مرجع سابق ) ، ص ٢ ( من التمهيد ) .
(٢) كتاب البراهين العقلية والعلمية ، فى صحة الديانة المسيحية ( مرجع سابق ) ، ص ٤٣١ .

ولنتدبر قول الله سبحانه ، مشيرا الى هـذه القضية :

— « فلما أحس عيسى منهم ( أى من بنى أسرائيل ) الكفر ، قال : من أنصارى الى الله ، قال الحواريون : نحن أنصار الله ، آمنا بالله ، واشهد بأنا مسلمون • ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول ، فاكتبنا مـع الشـاهدين • ومكروا ومكر الله ، والله خير المـاكرين • اذ قال الله : يا عيسى ، انى متوفيك ، ورافعك الى ، ومطهرك من الذين كفروا ، وجاعل الذين اتبعـوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ، ثم الى مرجعكم ، فأحكم بينكم ، فيما كنتم فيه تختلفون » [١] •

ويرى ابن تيمية ، أنه « لمـا بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، بالدين الذى بعث به المسيح ، وسائر الأنبياء قبله ، وكان محمد صلى الله عليه وسلم ، مصدقا لمـا جاء به المسيح ، مبشرا برسول يأتى من بعده اسمه ( أحمد ) ، صارت أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، أتبع للمسيح عليه السلام ، من النصارى ، الذين غيروا شريعته ، وكذبوه فيما بشر به ، فجعـل الله أمـة محمد صلى الله عليه وسـلم ، فوق النصارى ، الى يوم القيامة ، كمـا جعلهم أيضا ، فوق اليهود ، الى يوم القيامة •

والنصارى ، بعد النسخ والتبديل ، ليسوا متبعين المسيح ، لكنهم أتبع له من اليهود ، الذين بالغوا فى تكذيبه وسبه ، فانهم كذبوه أولا ، وكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم ثانيا ، فصاروا أبعد عن المسيح من اليهود ، فكانوا مجعولين فوق اليهود » •

« ولهذا ، لمـا جاء المسلمون يقاتلون النصارى ، غلبوهم ، وأخذوا منهم خيار الأرض ، الأرض المقدسة ، وما حولها من مصر والجزيرة وأرض العرب ، ولم يزل المسلمون منتصرين على النصارى ، ولا يزالون الى يوم القيامة » ، و « لم تنتصر النصارى قط على جميع المسلمين ،

---

(١) قرآن كريم : آل عمران ـــ ٣ : ٥٢ ـــ ٥٥ .

وانما تنتصر على طائفـة من المسلمين ، بسبب ذنوبهم ، ثم يؤيد الله المؤمنين عليهم » [١] .

ولنـا عود تفصيلى الى ذلك بعد قليل — نرى : الى أى مـدى يثبت التاريخ صحة رأيه ، رغم ظواهر الأحداث ، كما تبدو لنا اليوم .

يضاف الى قول ابن تيمية ، أن المقصود بالذين اتبعوا المسيح — عند الشيخ عبد المتعال الصعيدى — ليسوا « أصحاب هذه النصرانية المحرفة ، وحاشا لله أن يريدهم منه ، وانما الذين اتبعوه هم المسلمون ، أتباع محمد صلى الله عليه وسلم » ، « والمراد أن الذين اتبعوه فوق غيرهم ، بقوة الحجة ، فى كل الأزمان والأحوال ، وبالغلبة والسلطان ، عند ظهورهم ، وتمسكهم بدينهم ، وقـد صح حمل هذا على المسلمين ، لأنهم اتبعوه فى أصل الاسلام ، وان خالفوه فى فروعه ، ويجـوز أن يضاف النصارى قبل الاسلام ، الى المسلمين ، فى هـذه التبعية ، لأن النصارى اتبعوه فى الجملة ، الى ظهور الاسلام ، فلما جاء الاسلام ، وبين لهم ما حرفوه فى دينـه ، زال عنهم هـذا الوصف ، وانتقل الى المسلمين ، لأنهم صاروا أولى به منهم ، كما أنهم أولى بسائر الأنبياء ، من غيرهم » [٢] .

فللمسلم أن يفخر بمسيحه ، الذى رفعه الله الى السماء .. عبدا لله ، ورسولا من عنده ، ومبشرا برسول يأتى من بعده اسمه أحمد — من آمن به ، ايمانه بالمسيح عبد الله ورسوله ، قبله — كان من المفلحين .

* * *

جاء الاسلام اذن مصححا للمسيرة المسيحية العقائدية ، بعد أن اختلت هـذه المسيرة ، فصارت عبئا على المسيحيين أنفسهم ، بايقاعها التفرقة بين صفوفهم ، بدلا من أن تكون سببا من أسباب توحيد هـذه الطوائف .

---

(١) شيخ الاسلام ، ابن تيمية ( مرجع سابق ) ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(٢) عبد المتعـال الصعيدى : لمـاذا أنا مسلم — مكتبـة الآداب ومطبعتها بالجماميز — ١٩٧٦ ، ص ١٦٦ .

ونتيجـــة لذلك ، ســـارع الخيرون من المسيحيين ، الى اعتناق الاسلام ، كما حدث فى مصر ، حيث أخذ « الأقباط يقبلون على الاسلام وتعلم العربية » ، و « كان تحول المصريين الى الاسلام هادئا ، لم يتبعه تضحية واستشهاد ، كما حدث عند اعتناق المسيحية .

كذلك كان دخول المصريين فى الاســـلام ، أسرع من دخولهم فى المسيحية ، بحيث أن مصر كانت من أكثر الأقاليم التى فتحها العرب ، اقبالا على اعتناق الاسلام » [١] .

وهذا الذى حدث فى مصر ، حدث فى كل مصر وصل اليه الاسلام ، فلم يفرض المسلمون دينهم على المسيحيين ، على حـــد تعبير السير توماس أرنولد ، وانما وفروا لهم حماية وأمنا ، والأمثلة — عنده — كثيرة على « ذلك التســـامح ، الذى بسطه المسلمون الظافرون ، الى العرب المسيحيين ، فى القرن الأول من الهجرة ، واستمر فى الأجيـــال المتعاقبة » ، بحيث نستطيع أن نستخلص بحق ، « أن هـــذه القبائل المسيحية ، التى اعتنقت الاسلام ، انما فعلت ذلك ، عن اختيار ، وارادة حرة . وأن العرب المسيحيين ، الذين يعيشون فى وقتنا هذا بين جماعات مسلمة ، لشاهد على هـــذا التسامح » [٢] — على حـــد تعبيره .

ويرى الدكتور عبد الحميد ابراهيم ، أن الجزيرة العربية قـــد عرفت « فى مرحلة الارهاص — اليهودية والنصرانية ، ولكن لم يكتب لهما النجاح ، لأنهمـــا لم يفجرا عبقرية المكان ، ولم يعبرا عن الروح العربى ، الذى لا يكتفى بالبعد الواحد » . « لقـــد وجـــد اليهودية مادية عنيفة ، كأنها رمال سيناء المحرقة ، أو كأنها الأحجار القاسية ، التى لا تبض . ووجد المسيحية نسمة رقيقة ، كتلك النسمات الشمالية ،

---

(١) دكتور سعيد اسماعيل على : الازهر ، على مسرح السياســـة المصرية ، دراسة تطور العلاقة بين التربية والسياسة — دار الثقافة ، للطباعة والنشر بالقاهرة — ١٩٧٤ ، ص ٥٠ ، ٥١ .

(٢) سير توماس و . ارنولد ( مرجع سابق ) ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

التى تأتيه من أرض الشام » • و « لقد تجاور الشيئان فى الاسلام ، والتقت على أرضه اليهودية والمسيحية • انه لا ينكر المادة ، ولكنه لا يعبدها » ، و « ان المسلم يعمل للدنيا ، كأنه يعيش أبدا ، ويعمل للآخرة ، كأنه يموت غدا » [1] •

واذا كان هذا هو ( منطق ) الاسلام فى انتشاره ، فى المنطقة التى ظهر فيها — أى فى الجزيرة العربية وما حولها ، فقد كان هو نفس منطق انتشاره ، فى المناطق الأخرى ، القريبة منها ، والبعيدة عنها •• على نحو ما توصل اليه السير توماس أرنولد ، من خلال تتبع ( الدعوة الى الاسلام ) •

يتجه السير توماس أرنولد مع الاسلام شرقا ، حتى يصل الى الفليبين مثلا ، فيقارن بين انتشار الاسلام وانتشار المسيحية هناك ، من خلال ( الصورة ) التى عرض بها الدينان ، حيث يلاحظ أن الصورة التى ظهرت عليها المسيحية عند القوم ، كانت هى « فقد الحرية السياسية كلها ، والاستقلال القومى ، ومن هنا أصبح الناس ينظرون اليها ، على أنها رمز العبودية • وقدر قدر للوسائل التى اتخذها الأسبان لنشر دينهم ، أن تجعل هذا الدين منذ البداية ، غير محبب لدى الشعب • وكان عنفهم وتعصبهم ، على طرفى نقيض ، مع سلوك التسامح الذى ظهر به دعاة المسلمين » • « ومن جهة أخرى ، كان الأسبان يجهلون لغة الأهالى وعاداتهم وأحوالهم • وقد أدى فساد أخلاق هؤلاء الأسبان ، بل شحهم وجشعهم ، الى جعل دينهم مبغضا الى النفوس ، كما كان المقصود من نشر دينهم ، استخدامه أداة لتقدمهم السياسى • ولهذا فانه ليس من العسير أن ندرك المعارضة ، التى أظهرها الأهالى ، ازاء دخول المسيحية » ، وعندما فرضت عليهم ،

---

(١) دكتور عبد الحميد ابراهيم : الوسطية العربية ، مذهب وتطبيق — دار المعارف — ١٩٧٩ ، ص ٧٢ ، ٧٣ •

« عوملوا معاملة أطفال المدرسة ، سواء بسواء ، وكانت مملكة دينـاو الاسلامية ، حتى زمن احتلال الأمريكيين جزائر الفليبيين ، ملجأ لهؤلاء الذين رغبوا فى التخلص من الحكومة المسيحية البغيضة » [١] .

ثم يتجه السير توماس أرنولد ، مع الاسلام غربا ، فيعبر معـه البحر الأحمر ، الى أفريقية ، ليرى « أن نجاح الاسلام قـد تقـدم فى أفريقيا الزنجية Nigrita تقـدما جوهريا ، بسبب عدم احساس باحتقار الأسود — وفى الحق ، يظهر أن الاسلام لم يعامل الأسـود قط . على أنه من طبقة منحطة ، كما كانت الحال ، لسوء الحظ ، فى كثير من الأحيان ، فى العالم المسيحى . وان هــذه الملاحظة ، لتفسر الى حد ما ، نجاح المسلم ، اذا ما قورن بالارساليات المسيحية ، بين الشعوب الزنجيـة » [٢] .

« وبذلك أصبح الزنوج اليوم ، ينظرون الى الاسلام ، على أنه دين السود ، والمسيحية على أنهـا دين البيض ، ويرون أن المسيحية تدعو الزنجى الى الخلاص ، ولكنها تضعه فى مكان منحط ، الى حد أنه يقول فى نفسه ، وقـد استولى عليه القنوط : ليس لى نصيب ولا حظ ، فى هـذا الدين . أما الاسلام ، فانه يدعو الناس الى الخلاص ، ويقول له : ان بلوغك أسمى الدرجات الممكنة ، انما يتوقف عليك . ومن ثم أقبل الزنجى بدافع من الحماسة ، على هذا الدين ، بروحه وجسده» [٣] .

« ولذلك كان بعيدا كل البعد ، عن انتشار السيادة الأوربية ، أن تعوق نشاط الدعاة المسلمين ، بل ان انتشار هـذه السيادة ، قـد ساعد

---

(١) سير توماس و . ارنولد ( مرجع سابق ) ، ص ٤٤٠ ، ٤٤١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٩٤ ، ٣٩٥ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٣٩٥ ( من الهامش ) .
ونذكر هنا بظاهرة انتشـار الاسـلام بشكل كاسح . بين السـود الامريكيين ، الذين يسمون انفسهم ( البلاليين ) ، نسبة الى سيدنا بلال — العبد الاسود ، الذى حرره الاسلام ، وكرمه ورفع من شانه ، كما هـو معروف فى التاريخ الاسلامى .

الى حد كبير ، على تقدم الاسلام » . « وليس فى القول ، بأن الاسلام انما يتقــدم بقوة السلاح ، الا قليل جــدا من الحقيقة » [١] .

ودين كالاسلام هذا شأنه ، فى معاملة أهل الديانات الأخــرى ، وعلى رأسها المسيحية ، منطقى أن يجد أتبــاع الديانات الأخرى فى ظله كل ما يطلبونه من فرص الرقى الاجتماعى ، بالاضــافة الى أمنهم على أنفسهم وأموالهم ، حتى لقد وصل هؤلاء المسيحيون فى أواخر القــرن الرابع الهجرى ( العاشر الميلادى ) ، الى « أن كثيرا منهم قــد تمكن فى أعمال الدولة ، حتى صاروا كالوزراء ، وتعاظموا لاتساع أحوالهم ، وكثرة أموالهم ، فاشتد بأسهم ... » [٢] — على حد ما يرويه المقريزى فى خططه ، عما حدث فى مصر سنة ٣٩٣ هـ — فى أيام الخليفة الفاطمى ، الحــاكم بأمر الله .

والحديث عن تسامح الاسلام ، مع المسيحيين خاصــة ، حديث يطول ، وهو حديث تفيض به صفحات كتب التاريخ ، ســواء فى ذلك ما كتبــه المسلمون أنفسهم من هــذا التــاريخ ، أو ما كتبــه غير مسلمين ، على ألا يكونوا متعصبين ، أو متحاملين على الاسلام ، تحاملا يعميهم عن الحقيقة .

ولكن الذى يعنينا ، هو الوقوف على رد فعــل هــــذا التسامح الاسلامى ، ازاء المسيحيين .

ولنعد الى المقريزى أولا — لنتم معه مســيرته فى أحداث ســنة ٣٩٣ هـ ، ولنبتدىء معه هنا ، من حيث انتهينا معه فيما سبق . يقــول

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٩٩ ، ٤٠٠ .

(٢) خطط المقريزى ( كتــاب المواعظ والاعتبــار ، بذكــر الخطط والآثار ) — تأليف ســيدنا الشــيخ الامام ، علامة الانام ، تقى الدين احمد بن على بن عبــد القادر بن محمد ، المعروف بالمقريزى — الجــزء الثالث — عن طبعة بولاق سنة ١٢٧٠ هجرية — دار التحــرير ، للطبع والنشر ، ص ٥٤١ .

المقريزى : « ... فاشتد بأسهم ، وتزايد ضررهم ، ومكايدتهم للمسلمين ، فأغضب الحاكم بأمر الله ذلك — وكان لا يملك نفسه اذا غضب — فقبض على عيسى بن نسطورس النصرانى ، وهو اذ ذاك فى رتبة تضاهى رتبة الوزراء ، وضرب عنقه ، ثم ... » ، « وتشدد على النصارى ، وألزمهم بلبس ثياب الغيار ، وشد الزنار فى أوساطهم ، و ... » ، « وألزم رجال النصارى ، بتعليق الصلبان الخشب ... »(١) الخ .

ولا يسع قارىء هذه السطور اليوم ، بعد عشرة قرون هجرية بالضبط من حدوثه ، الا أن يرى أنه التاريخ يعيد نفسه ، بصورة تكاد أن تكون حرفية .. مع فارق واحد ، هو غياب الحاكم بأمر الله ، كحاكم مسلم . غيور على الاسلام .

وهذا الذى حدث فى مصر ، فى نهايات القرن الرابع الهجرى ، حدث شىء شبيه له ، فى الأندلس ، على الجانب الآخر ، من البحر الأبيض المتوسط ، فقد زاد بشكل ملحوظ ، تحول مسيحيى الأندلس الى الاسلام ، بلا ضغط ولا ارغام ، على حد تعبير السير توماس أرنولد ، الذى يجد أنه لا يسعه « الا الاعتراف بأن تاريخ أسبانيا فى ظل الحكم الاسلامى ، يمتاز ببعده بعدا تاما عن الاضطهاد الدينى » (٢) .

ولكن ترى ، كيف قابل المسيحيون هناك روح التسامح الاسلامى تلك ؟

لقد قابلوها ، بنفس ما قابلوها به فى مصر المعز ، فان تحول المسيحيين الاختيارى الى الاسلام ، كان هو الذى أدى الى « الحقد ، الذى غلا فى صدور المسيحيين ، حتى دبروا المؤامرات ، بمؤازرة اخوانهم فى الدين ، الذين كانوا يقيمون خارج حدود بلادهم » ، مما أدى الى ظهور حالة من « الجنون ، الذى استولى على عقول بعضهم ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٤١ ، ٥٤٢ .
(٢) سير توماس و . أرنولد ( مرجع سابق ) ، ص ١٦٤ .

تدفع بهم الى التطوع للاستشهاد ، الذى فشا بقرطبة ، فى القرن التاسع • ففى ذلك الوقت ، ظهر فى هذا الجزء من أسبانيا » ، « جماعة دينية ، اشتهرت بتعصبها للمسيحية ، وانتهكت حرمة ديانة المسلمين جهرا ، وبغير سبب ، ورمت نبيهم بالكفر ، وأصرت على تخدى هذه الديانة ، وعرضوا أنفسهم للقتل ، على أيدى مواطنيهم ، الذين ضلوا السبيل ، ومرقوا عن الدين ، بتحولهم الى الاسلام ، وتعصبهم له » (١) •

أى أن الذى أدى الى ظهور هذه الحالة — عند السير توماس أرنولد — هو ما « آل اليه نفوذ المسيحية من ضعف ، وما بلغته الحمية الدينية من وهن وانحلال » ، مما « دفع بهم الى السعى وراء شرف الاستشهاد — الذى سلبهم اياه ، تسامح حكامهم الكفار » (٢) — أى المسلمين ، كما يحب المسيحيون أن يصفوا المسلمين فى كتاباتهم — بوصفهم يكفرون بالمسيح الها ، وان آمنوا به نبيا •

وقوم يقابلون تسامح المسلمين معهم هذه المقابلة ، لا يستغرب عليهم أن يضعوا أيديهم فى أيدى أعدى أعدائهم ، للقضاء على الإسلام — وهذا ما يشهد به تاريخ المسيحيين الطويل ، على نحو ما سنرى •

ففى أثناء هجمة التتار البربرية على العالم الإسلامى ، فى القرن السابع الهجرى ، يحكى لنا المقريزى ، فيما يحكيه من حوادث سنة ٦٥٨ هـ ، حين سيطر التتار على الشام ، عن تحالف مسيحيي الشام مع التتار ، حيث « استطال النصارى بدمشق على المسلمين ، وأخذوا فرمانا من هولاكو ، بالاعتناء بأمرهم ، وإقامة دينهم ، فتظاهروا بالخمر فى نهار رمضان ، ورشوه على ثياب المسلمين فى الطرقات ، وصبوه على أبواب المساجد ، وألزموا أرباب الحوانيت بالقيام اذا مروا بالصليب عليهم ، وأهانوا من امتنع من القيام للصليب ، وصاروا يمرون

(١) المرجع السابق ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٥ .

به فى الشوارع الى كنيسة مريم ، ويقفون به ويخطبون ، فى الثناء على دينهم ، وقالوا جهرا ( ظهر الدين الصحيح ، دين المسيح ) ، فقلق المسلمون من ذلك ، وشكوا أمرهم لنائب هولاكو ( وهو كتبغا ) ، فأهانهم ، وضرب بعضهم ، وعظم قدر قسوس النصارى ، ونزل الى كنائسهم ، وأقام شعائرهم » [١] .

ويكون منطقيا بعد ذلك ، أن نرى المسيحيين ، يشعلون « النار » ، « فى منابر الجوامع ، وحيطان المساجد والمدارس » ، باستخدام « نفط ، قد لف عليه خرق مبلولة ، بزيت وقطران » [٢] .

ولما كثرت الحوادث ، وزادت الشكوى ، ثار الناس على السلطان ، فاضطر الى أن يأخذ المسيحيين بالشدة ، « فنودى فى القاهرة ومصر : من وجد نصرانيا بعمامة بيضاء ، حل له دمه وماله ، ومن وجد نصرانيا راكبا ، حل له دمه وماله . وخرج مرسوم بلبس النصارى العمامة الزرقاء ، وألا يركب أحد منهم فرسا ولا بغلا ، ومن ركب حمارا ، فليركبه معكوسا ، ولا يدخل نصرانى الحمام ، الا وفى عنقه جرس ، ولا يتزيا أحد منهم بزى المسلمين » [٣] .

واذا كان المسيحيون قد فعلوا ذلك مع التتار ، أعداء الاسلام والمسيحية معا فى الشام ، وفعلوه مع المصريين فى عصرهم ، رغم أن التتار لم يكونوا قد دخلوا مصر .. فكيف يكون ما يفعلونه ، مع الصليبيين ، شركائهم فى الدين ، ولو على مذهب آخر ؟

ولنبدأ قصتهم مع الصليبيين ، بالخطاب الذى وجهه لويس ، ملك

---

(١) المقريزى ( احمد بن على ) : كتاب السلوك ، لمعرفة دول الملوك — صححه ووضع حواشيه : محمد مصطفى زيادة — الجزء الأول ، من القسم الثانى — الطبعة الثانية — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٥٧ ، ص ٤٢٥ .

(٢) خطط المقريزى — الجزء الثالث ( مرجع سابق ) ، ص ٥٧٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٧٧ .

فرنسا ، الى سلطان مصر ، الملك نجم الدين أيوب ، كما يعرضه المقريزى فى حوادث سنة ٦٤١ هـ : « أما بعد ، فانه لم يخف عنك أنى أمين الأمة العيسوية ، كما أنى أقول انك أمين الأمة المحمدية . وانه غير خاف عنك ، أن أهل جزائر الأندلس ، يحملون الينا الأموال والهدايا ، ونحن نسوقهم سوق البقر ، ونقتل منهم الرجال ، ونرمل النساء ، ونستأسر البنات والصبيان ، ونخلى منهم الديار . وقد أبديت لك ما فيه الكفاية ، وبذلت لك النصح الى النهاية ، فلو حلفت لى بكل الأيمان ، ودخلت على القسوس والرهبان ، وحملت قدامى الشمع ، طاعة للصلبان ، ما ردنى ذلك عن الوصول اليك ، وقتلك فى أعز البقاع عليك »[1] .

واذا كانت ( أغراض ) الحملة واضحة منذ البداية ، على هذا النحو ، فان الصليبيين كانوا يعتمدون على مسيحيى الداخل ، منذ البداية — وصورة هذا التعاون ، أوضح فى الشام ، حيث نزل الصليبيون بالفعل ، وحيث كانت « الأقسة ( أى القساوسة ) تصلب ، وبأيديهم أوانى الخمر ، تسقى الفرسان »[2] .

ولم تسلم مصر من هذا الأذى ، حيث يحكى لنا المقريزى فى حوادث سنة ٧٢١ هـ ، أنه لوحظ « كثرة تعاظم النصارى ، وتعديهم فى الشر والاضرار بالمسلمين ، لتمكنهم من أمراء الدولة »[3] .

ويلقى لنا ارنست باركر ، ضوءا على كل هذا الذى يحدث ، طوال هذه العصور ، التى وجدها المسيحيون جميعا ، فرصة للقضاء على الاسلام والمسلمين ، رغم ما تمتعوا به من أمن فى ظله وظلهم ، حيث أنه يرى أنه « فى سنة ١٢٧٤ ، وفى مجمع ليون ، دعا البابا جريجورى العاشر ، الذى صحب الأمير ادوارد الى الأراضى المقدسة ، الى تجريد

---

(١) المقريزى ( احمد بن على ) : كتاب السلوك ، لمعرفة دول الملوك — الجزء الأول ، من القسم الثانى ( المرجع الأسبق ) ، ص ٣٣٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣١٧ .
(٣) خطط المقريزى — الجزء الثالث ( المرجع الأسبق ) ، ص ٥٤٨ .

حملة صليبية ، فى اجتماع شهده رسل ، من قبل خان المغول ، ومن قبل ميخائيل باليوجوس ، امبراطور الدولة البيزنطية ، وكذا من قبل كثير من أمراء الغرب . وأقسم كل أمراء غرب أوربا ، على أن يشتركوا فى حرب صليبية ، ولم يحدث هذا فحسب ، بل ان جريجورى نجح أيضا ، فى أن يوحد الكنيستين ، الشرقية والغربية . فترة من الزمن، وأن يكفل للحملة الصليبية الجديدة ، المساعدة » [1] . ثم يوضح « أن جريجورى العاشر ، هلك سنة ١٢٧٦ ، وبموته ، انطوت كل المشروعات » [2] .

غير أن الباحث المدقق ، يصعب عليه أن يصدق ، أن كل المشروعات قد ماتت بموت جريجورى العاشر ، لأنه من المعروف تاريخيا ، أن مثل هذه ( المشروعات ) الهادفة الى القضاء على الاسلام ، قد ولدت قبل مولد جريجورى العاشر بقرون ، ومن ثم لم يكن ممكنا أن تموت بموته .

وصحيح أن هذه ( المشروعات ) ، كانت تخبو نارها فترة ، ويزداد اشتعال هذه النار فترة أخرى ، ولكن هذه النار — نار الحقد على الاسلام ، المنتصر منذ وجد — كانت موجودة دائما ، وكانت مستعدة لأن تعمل ، اذا هى وجدت الجو مناسبا لعملها .

ولم يكن يجعل هذه النار تخبو ، الا أن يكون الاسلام قويا ، فعالا — ولم يكن يتيح لهذه النار أن تشتعل الا أن يخبو نور الاسلام ذاته ، فى قلوب متبعيه ، وفى حركة الحياة فى المجتمع الاسلامى .

ولكن وقائع التاريخ تدل ، على أن هذه النار كانت تشتعل ،

---

(١) ارنست باركر : الحروب الصليبية — نقله الى العربية : الدكتور السيد الباز العرينى — مكتبة النهضة المصرية — ١٣٧٩ هـ — ١٩٦٠ م ، ص ١٦٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

عندما يخبو نور الاسلام فى القلوب ، وعلى أن هذا الاشتعال ذاته ، كان هو الذى يحــرك نور الاسلام فى القلوب ، ( فيثور ) المسلمون ، ليثأروا لكرامتهم ، وليستردوا أرضا خسروها ، أو كرامة ضيعوها ... وليوسعوا — فى النهاية — للاسلام أرضا .

لقد انتهت الحروب الصليبية بالفعل بسقوط الأندلس ، وليخسر الاسلام رقعــة فى الجنوب الغربى من القــارة الأوربيــة ، ولكنهــا انتهت أيضا ، بجلاء الصليبيين عن الأراضى المقدسة ، وباقتحام الاسلام أوربا من بوابة أوسع ، هى بوابتها الشرقية ، وليكسب أرضا أوســع من الأرض التى خسرها فى الأندلس .. فى الوقت الذى بدأت فيـــه مشاكل الكنيسة فى أوربا كلهــا .. بعد هذه الحروب .

وكانت فترة الحــروب الصليبية ، التى امتدت الى ما يقرب من قرنين من الزمان ، هى فترة الحيوية الاسلامية ، بعد فترة من الركود . ذلك أنه « عندما تتعرض شجرة غالية ، فيها كل الحيــاة ، الى اعصار كله ظلمات ، من تحتها حقــد متأجج ، ومن ورائها دمار ماض ، عندئذ يهرع ذو الحس السليم ، والعقل الراجح ، والارادة الواثقة ، والنظرة الممتدة الى غيب المستقبل ، يهرع الى الأصول ، الى الجذور ، يريد أن يتأكد من سلامتها وتماسكها . وكانت فترات الحــروب الصليبية ، فى المشرق المسلم ، تجديدا للحضارة الاسلامية ، وكان رد الفعل الثقافى ، هو الرجوع الى القرآن والسنة ، وكان هــذا دليلا على سلامة الفكر الاسلامى ، وغناه بعناصر القوة والثبات ، أمام التهديد الخارجى » [١] .

وكأن الله سبحانه ، كان يعد المسلمين فى هــذه الحروب الصليبية ، ليقوى عودهم ، لمواجهــة الخطر الأكبر القــادم ... خطر المغول ، أو التتــار ، الذين تحــالف معهم الصليبيون ، والمسيحيون المحليون

---

(١) دكتور سيد أحمد عثمان : التعلم ، عند برهان الاسلام الزرنوجى ( المتوفى سنة ٥٩١ هـ — ١١٩٥ م ) — مكتبة الأنجلو المصرية — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ٢٦ .

الموتورون ، ولكنهم كسروا على الساحة الاسلامية ، لأول مرة فى تاريخهم ، ثم « اختفى آخر أمل وهمى عندهم ( أى عند المسيحيين والصليبيين ) ، حين اعتنق المغول آخر الأمر الاسلام ، فى نهاية القرن الرابع عشر الميلادى » [١] — على حد تعبير أرنست باركر .

ثم جاء الاستعمار الحديث ، بعد فترة طويلة من الحروب الصليبية وهجمات التتار ، ولكن هؤلاء المسيحيين المحليين ، يبدو أنهم لم يتعظوا من دروس الماضى ، وأنهم لا يريدون أن يتعظوا .

لقد تصوروا ساعة الخلاص من الاسلام قد اقتربت ، كما تصور أجدادهم فى الماضى ، دون أن يستفيدوا من درس هؤلاء الأجداد، فراحوا — كما راح أجدادهم من قبل — يساعدون المستعمرين — الفرنسيين فى مصر مثلا — ضد اخوانهم المسلمين ، وينتهزونها فرصة لاذلالهم ، وها هو الجبرتى يحكى فى حوادث سنة ١٢١٥ هـ ، أن الفرنسيين تشددوا فى شهر ربيع الثانى فى طلب المال من المصريين ، و « عين لذلك ، رجل نصرانى قبطى ، يسمى شكر الله ، فظهر فيه للناس ، ما لا يوصف ، فكان يدخل الى دار أى شخص كان ، لطلب المال ، وصحبته العساكر من الفرنسيس الفعالة . وبأيديهم آلات الهدم . فيأمرهم بهدم الدار ، ان لم يدفعوا له المقرر وقت تاريخه ، من غير تأخير ، وخصوصا ما فعله ببولاق » [٢] .

« واستهل شهر رجب ، والطلب والهدم والنهب والسلب ، مستمر ومتزايد ، وأبرزوا أوامر أيضا ، بتقرير مليون على الصنايع والحرف ، يقومون بدفعه كل سنة » ، « وأشيع أن يعقوب القبطى ، هو الذى

---

(١) ارنست باركر ( المرجع الأسبق ) ، ص ١٧٤ .

(٢) العلامة المؤرخ الشيخ ، عبد الرحمن الجبرتى : مظهر التقديس ، بذهاب دولة الفرنسيس — تحقيق وشرح : حسن محمد جوهر ، وعمر الدسوقى — الطبعة الأولى — لجنة البيان العربى — ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م ، ص ٢٥٦ .

تكافل يقبض ذلك من المسلمين ، ويقلد ذلك الى شكر الله وأقرانه ، من شياطين أقباط النصارى » (١) .

ويذكر الجبرتى أيضا ، « أن يعقوب القبطى اللعين ، لما تظاهر مع الفرنساوية ، وقلدوه صارى عسكر القبطة ، جمع شبان القبط ، وحلق لحاهم ، وزياهم بزى مشابه لعسكر الفرنساوية ، مميزا عنهم بقبعات يلبسونها على رءوسهم ، مشابهة لشكل البرنيطة ، وعليها قطعة فروة سوداء ، من جلد الغنم ، فى غاية البشاعة ، مع ما يضاف اليها من قبح صورهم ، وسواد أجسامهم ، وزفارة أبدانهم ، وجعلهم عسكره وعزوته ، وجمعهم من أقصى الصعيد ، وهدم الأماكن المجاورة لحارة النصارى ، التى هو ساكن بها ، خلف الجامع الأحمر » (٢) .

وفى الوقت الذى نرى فيه المسيحيين المحليين ، يصيبهم كل هذا العمى ، عندما يرون بارقة أمل ، فى القضاء على اخوانهم فى الوطن ، من المسلمين ... نرى قائد الحملة نفسه — نابليون — يبدأ غزوه لمصر ، برسالة بعث بها الى زعماء مصر ، ينشد ودهم فيها ، على عكس ما فعله جده لويس ، كما رأينا فى رسالته ، التى بدأ بتوجيهها الى الملك الصالح ، نجم الدين أيوب ، فيما سبق (٣) . يقول نابليون : « بسم الله الرحمن الرحيم . لا اله الا الله ، لا ولد له ، ولا شريك فى ملكه . من طرف الجمهور الفرنساوى ، المبنى على أساس الحرية والتسوية ، السرعسكر الكبير ، بونابارته ، أمير الجيوش الفرنساوية » . « أيها القضاة والمشايخ والأئمة ، ويا أيها الشورباجية ، وأعيان البلد ، قولوا لأمتكم ، أن الفرنساوية هم أيضا مسلمون خالصون . واثباتا لذلك ، قد نزلوا فى رومية الكبرى ، وخربوا فيها كرسى البابا ، الذى كان يحث دائما النصارى على محاربة الاسلام ، ثم قصدوا جزيرة مالطة ، وطردوا منها الكوالرية ، الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٦١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣١١ ، ٣١٢ .
(٣) ارجع الى ص ٢١٩ من الكتاب .

المسلمين ، ومع ذلك ، الفرنساوية فى كل وقت من الأوقات ، صاروا المحبين الأخلصين لحضرة السلطان العثملى ( أى العثمانلى ) ، وأعداء أعدائه ، أدام الله ملكه ، وبالمقلوب المماليك ، امتنعوا من اطاعة السلطان ، غير متمثلين لأمره » [1] .

ثم يضيف نابليون : « ونخبركم أن الطائفة الفرنساوية بالخصوص عن بقية الطوائف الافرنجية ، دائما يحبون المسلمين وملتهم ، ويبغضون المشركين ، وطبيعتهم أحباب لمولانا السلطان ، قائمون بنصرته ، وأصدقاء له ، ملازمون لمودته وعشرته ومعونته ، يحبون من والاه ، ويبغضون من عاداه ، ولذلك بين الفرنساوية والموسقوف ( أو الموسكوف — أى الروس ) غاية العداوة الشديدة ، من أجل عداوة الموسقوف القبيحة الردية ، والطائفة الفرنساوية يعاونون حضرة مولانا السلطان » [2] .

ونابليون يكذب ، فى ادعائه حب الاسلام ومناصرة سلطانه ، بطبيعة الحال ، ولكنه يناور ولا يجابه .. كما فعل جده لويس .

وقد كانت هذه ( المناورة ) ، هى الأسلوب الجديد ، الذى أدخله الصليبيون المحدثون — منذ نابليون — على نحو ما سنرى — فى حروبهم الصليبية .

وهكذا ، كان إبتعاد المسيحيين عن المسيح الحق — عبد الله ورسوله — عاملا من عوامل التفرقة بين المسيحيين .. وقد زادت هذه التفرقة ، بزيادة عدد الفرق التى انقسم اليها المسيحيون ، مع ظهور الاسلام .

---

(١) العلامة المؤرخ الشيخ ، عبد الرحمن الجبرتى : مظهر التقديس ، بذهاب دولة الفرنسيس ( المرجع السابق ) ، ص ٢٨ — ٣٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٩١ .

والمسيحيون المتنافرون ، منذ ألهوا المسيح .. لا يجتمعون على شيء ، الا على محاربة الاسلام ، وانتهاز الفرصه ، للاجها زعليه . بل انهم فى عداوتهم للاسلام ، قد أظهروا استعدادهم ، لأن يضعوا أيديهم ، مع أشد الناس عداوة للمسيحية ، من تتار ، وبوذيين ، وشيوعيين ... بل لقد صار المسيحيون اليوم ، ينسقون اليوم خططهم مع اليهود ، « رغم ما بينهما من عداء وتناقض » [١] — كما يدل على ذلك ما يحدث اليوم ، فى فلسطين .. وفى جنوب لبنان على وجه الخصوص .

فللمسلم أن يفخر بمسيحه ، الذى تكالبت عليه قوى الشر كلها فى عهده ، من وثنيين ويهود ، ومن مسيحيين من أمثال يهوذا الأسخريوطى ، فواجه الكل ببشريته ، وتأييد الله له ، صابرا محتسبا .. والمسلم اليوم يعيش صبره واحتسابه .. حتى يأتى نصر الله له ، وانه — باذن الله — لقريب .

* * *

وهكذا ، جربت المسيحية الصليبية مع الاسلام — والمسلمين — حرب المواجهة المكشوفة ، فكان ما « فعلوه يوم دخلوا بيت المقدس ، فذبحوا فيه سبعين ألفا من المسلمين » ، وما « فعلوه فى الجزائر حين قتلوا مليون شهيد .. » ، وكان اقتراح « أحد فلاسفتهم » ، « أن يباد ثلثا المسلمين ، وينفى الثلث الثالث ، وتهدم الكعبة ، وينقل قبر الرسول صلى الله عليه وسلم الى متحف اللوفر » ، وكان ما يحدث الآن « فى الفلبين » ، « وفى أثيوبيا » ، و « فى تايلاند » [٢] ، وفى غيرها من بلاد الاسلام .. ولما فشلت الصليبية فى تحقيق أهدافها ،

---

(١) ابو الحسن الندوى : تاملات فى سورة الكهف ( مرجع سابق ) ، ص ١٧ .

(٢) د. على محمد جريشة ، ومحمد شريف الزيبق ( مرجع سابق ) ، ص ٩٢ — ٩٤ .

بالمواجهة مع المسلمين ، لجأت الى أسلوب ( المناورة ) والمداورة ، كما رأينا نابليون يفعل ، فى خطابه الذى رأيناه يوجهه الى الأمة المصرية ، من خلال قادتها وزعمائها .

لقد ثبت للصليبيين ، أن ( المجابهة ) مع الاسلام ، تزيد الاسلام قوة ، وأن ( المناورة ) معه قد تؤدى الى اضعافه ، ومن ثم لجأوا الى هذه .. المناورة أو المداورة .

ويرى الشيخ محمد الغزالى ، أن « للصليبية الحديثة ، مآرب واضحة . انها تحاول أن تجعل من انكسار المسلمين عسكريا ، ارتدادا عن الاسلام .

ولما كان تغيير هذا الجيل من المسلمين مستحيلا ، فهى تعمل ابتداء ، على خلخلة يقينه ، وتشكيكه فى فكرة التدين على العموم .

والمرحلة الثانية ، تقوم على حركة تقارب وموادة ، بين جيل منسلخ عن عقائده الحقة ، وبين أبناء الدول المسيحية الغالبة .

أما المرحلة الأخيرة ، فالمفروض فيها أن تمحى معالم الاسلام ، من أقطاره العتيدة ، وأن ينصر ما يمكن تنصيره ، ويستأصل ما يستعصى على الردة ، وبهذا الأسلوب ، تنجح الصليبية الحديثة ، حيث عجزت جرثومتها فى القرون الوسطى » (١) .

وهكذا بدأت حملة ( الغزو الثقافى ) ، العالم الاسلامى ، حيث « بدأ الغزو التربوى والتعليمى والثقافى للعالم الاسلامى ، من نقطة واحدة ، هى ( مدرسة الارساليات ) ، وامتد منها الى الجامعة ، ثم امتد من الجامعة الى الصحافة ، ومجالات الثقافة المختلفة » ، « ثم تقدمت

---

(١) محمد الغزالى : التعصب والتسامح ، بين المسيحية والاسلام — دار الكتاب العربى بمصر ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

الارساليات على خطين : خط الارساليات البروتستانتية الأمريكية ، وخط الارساليات الكاثوليكية » (١) .

وهكذا ، « كانت نهاية الحروب الصليبية ، بداية حرب الفكر والكلمة » ، على أساس أنه « اذا لم يكن السيف قادرا على السيطرة على المسلمين ، فليكن ذلك ، عن طريق الكلمة » (٢) .

ويرى الدكتوران ، مصطفى خالدى وعمر فروخ ، أنه « لما بدأ المبشرون عام ١٩٣٤ يفتحون المدارس فى بلادنا ، كان معظمهم يقصر التعليم على التوراة والانجيل فقط ، لا يريد أن يتعداهما ، اذ أن غاية المبشرين الحقيقية ، كانت اعداد شبان للتعليم فى مدارسهم ، أو للعمل فى مكاتبهم ، توسيعا لحركة التبشير » . « ولما أراد المبشرون أن يجعلوا التعليم قاصرا على التبشير فقط ، من غير أن يطلعوا على سر ذلك أحدا ، اشترطوا أن يكون المعلم فى هذه المدارس أجنبيا ، غير وطنى . أما اذا دعت الحاجة الى معلم وطنى ، فليكن مسيحيا فى الدرجة الأولى ، ولكن يجب أن يكون متمرنا على التبشير » .

« وأخيرا ، جاءت العلوم الحديثة ، ولم يبق بالامكان أن تتجاهل المدارس الأجنبية علوما عظيمة نافعة ، كالرياضيات والكيمياء والحقوق والاجتماع والاقتصاد والرسم ، وما شابهها ، فلجأت تلك المدارس حينئذ الى سياسة جديدة ، الى سياسة الدس على الاسلام ، والتاريخ الاسلامى » (٣) .

---

(١) أنور الجندى : التربية ، وبناء الأجيال ، فى ضوء الاسلام — رقم (١٦) من ( الموسوعة الاسلامية العربية ) — الطبعة الأولى — دار الكتاب اللبنانى — بيروت — ١٩٧٥ ، ص ٢١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢ ، ١٣ .

(٣) الدكتور مصطفى خالدى ، والدكتور عمر فروخ : التبشير والاستعمار ، فى البلاد العربية ( عرض لجهود المبشرين ، التى ترمى الى اخضاع الشرق ، للاستعمار الغربى ) — الطبعة الخامسة — المطبعة العصرية — بيروت — صيدا — ١٩٧٣ ، ص ٧٠ — ٧٢ .

وقـد كان أسلوب الدس على الاسلام ، والتاريخ الاســلامى ، و (التشكيك) فى كل شىء يتصل به ، هو أسلوب المستشرقين — ومعظمهم من المبشرين — الذين تولوا التدريس فى الجامعات الاسلامية الحديثة ، أول انشائهــا [١] — بالاضــافة الى المبشرين ، الذين كانوا يعملون بالتدريس ، فى المدارس التبشيرية المختلفــة . وعلى أيــدى هؤلاء وهؤلاء ، جاء الجيل الأول من ( الأساتذة ) المسلمين ، الذين راحــوا يتمون رسالة أساتذتهم ، دسا وتخريبا ، دروا بذلك ، أم لم يدروا .

ولعل أوضح النماذج لهؤلاء ( الأساتذة ) المسلمين ، طه حسين ، الذى عرف « طلائع المستشرقين فى الجامعة المصرية القديمة ، ثم ألقى بنفسه فى أحضانهم ، عندما سافر الى فرنسا للدراسة بها ، فى الفترة ما بين ١٩١٤ — ١٩١٩ ، حيث تتلمــذ عليهم فى جامعتين : « مونبلييه والسوربون » ، « وقــد أعجب طــه بطريقة المستشرقين ، وتأثر بها ، وخضع لها ، ودافع عنها بعد ذلك ، دفاعا واسعا ، فى كل كتاباته » [٢] .

وقد كان من أوضح هــذه الكتابات ، وأشدها فضحا لطه حسين ، كتابه ( الشعر الجاهلى ) ، الذى أثار الأزهر والرأى العام عليه ، فظهر فى طبعــاته التالية تحت عنوان ( فى الأدب الجاهلى ) ، وفيه يشكك فى أن يكون القرآن قــد نزل من عند الله ، على قلب النبى ، ويراه من مؤلفات العصر العباسى ، شأنه فى ذلك شأن الأدب الجاهلى كله ، الذى سبق نزول القرآن [٣] .

ثم جاء بعد ذلك ، يدعى فى ( مستقبل الثقــافة فى مصر ) — أن

---

(١) وأوضح النماذج عليها ، الجامعة المصرية ، التى انشئت اهلية بالقاهرة سنة ١٩٠٨ ، ثم تحولت الى جامعة حكومية سنة ١٩٢٥ تحت اســم جامعة فؤاد الأول ، ثم تحولت — أخيرا — الى جامعة القاهرة .

(٢) أنور الجندى : طه حسين ، حياته وفكره ، فى ميزان الاسلام — الطبعة الثانية — دار الاعتصام — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ٣٣ .

(٣) طه حســين : فى الأدب الجاهلى — الطبعــة الرابعــة — دار المعارف بمصر — ١٩٤٧ ، ص ٧٨ وما بعدها .

مصر ليست عربية ، وانما هى فرعونية ، تنتمى فكريا الى الاغريق — أى الى الأصل الذى ينتمى اليه الأوربيون المحدثون [١] .

وتكاد المدرسة الفكرية التى عاصرت طه حسين كلها ، أن تكون على غراره ، وان لم يصل أفرادها الى ما وصل هو اليه من تبجح ، ومجاهرة بالعدوان على الاسلام ، وأكثرهم اعتدالا — ربما — هو ذلك الذى يشك فى تراثنا الماضى ، ويدعونا بالتالى الى الانسلاخ منه ، والارتباط بالغرب ، لأنه « لم يكن فى ساحة الفكر عند الأسلاف ( حوار ) حر ، الا فى القليل النادر ، وفى مواقف لم تكن بذى خطر كبير على سلطة الحاكم . وكيف يكون ، والحوار انما يتم بين أنداد ، ذوى قامات متقاربة ، وأوزان متكافئة ؟ » ، « وكل الذى تعرفه ، هو أن تعلو فيها نخلة واحدة ، أو قلة من نخيل ، ليحيط بها كلأ قصير » . « لتزيد على كل هذه الأحياء والأشياء والظواهر ، فى الفطرية ، درجة ، فقد ورد فى ( التراث ) ، أن من الكائنات ما لا يصلح الا بأمير ، يؤمر عليه » [٢] .

ولا يرى أمثال هؤلاء بطبيعة الحال موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من أصحابه ، ولا موقف عمر بن الخطاب مثلا من الأعرابى الذى يستعد لتقويمه بحد السيف ، لو رأى فيه اعوجاج ، أو موقفه من المرأة التى خطأته فى المسجد ، فاعترف بخطئه وصوابها .. ولا حتى موقف صلاح الدين الأيوبى — وهو من المتأخرين — من أصحابه .. لأن المستشرقين والمبشرين لم يروا مثل هذه المواقف .

وعلى يد هذا الجيل الأول من ( الأساتذة ) ، تخرجت أجيال وأجيال من الأساتذة ، أخذت تقود حركة الحياة الفكرية ، ناقلة أفكار

---

(١) طه حسين : مستقبل الثقافة فى مصر ( مرجع سابق ) ، ص ١٨ .

(٢) الدكتور زكى نجيب محمود : تجديد الفكر العربى — الطبعة الثانية — دار الشروق — ١٩٧٣ ، ص ٤٦ ، ٤٧ .

المبشرين ، الى تلاميذها ، ممن صاروا يقودون حركة الحياة فى المجتمعات الاسلامية المعاصرة ، بعد أن تم غزوهم فكريا ، من خلال أساتذتهم ، أصبحنا نرى « فى التنظيم الاجتماعى سحابات من الالحاد » ، « وفى قضايا التشريع ، نزوع الى الالحاد » ، « وفى تدوين التاريخ ، تيارات من الالحاد » ، « وفى أساليب التربية ، نزوع الى الالحاد » ، « وفى فنون الأدب ، ارشادات الى الالحاد » ، « وفى بعض البحوث الاسلامية ( كذا ) تطلعات الى الالحاد » ، « وفى تكييف العلاقة بين الاسلام والأديان الكتابية الأخرى ، تورط فى الالحاد » .

« وتقف وراء تيارات الالحاد هذه منظمات ومؤسسات وقوى ، تتسم بالضراوة والحنكة والتنظيم والعمل الدائب ، والكراهية العميقة للاسلام بخاصة » [١] .

وعلى يد هذه الأجيال ايضا ، تخرج حكام العالم الاسلامى ، الذين أخذوا يقودون بلادهم ، وعيونهم على ( الفكرة الغربية ) ، سواء فى شكلها الرأسمالى ، أو فى شكلها الاشتراكى ( أو الشيوعى ) ، اذ أن « الحضارة الأوربية » ، « قد تبلورت » « أخيرا ، فى تيارين رئيسيين ، هما التيار الرأسمالى ، الذى تقف على قمته أمريكا ، ثم التيار الاشتراكى ، الذى تقف على قمته روسيا » [٢] ، وهما « على الرغم من صراعهما ، يرتدان الى جذور واحدة ، ويعكسان الروح الاغريقى الأوربى » [٣] .

وعلى يد هؤلاء الحكام ، متخذين المخططات الصليبية العالمية ، أرادوا ذلك أم سيقوا اليه ، تم القضاء على الخلافة الاسلامية ، كما

---

(١) الدكتور يحيى هاشم حسن فرغل : معالم شخصية المسلم ( التكوين الأساسى ) — المكتبة العصرية — صيدا — بيروت ، ص ٢٠٥ — ٢٠٧ .

(٢) دكتور عبد الحميد ابراهيم ( مرجع سابق ) ، ص ٢٧٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٨ .

تم « خلق المشـكلات الطائفيـة فى ( لبنـان ) ، متـذرعا باحصاءات واعتبارات ، تتلاعب فى تقـديرها الأهواء ، ليحول وجودها دون تكتل شعوب الشرق الأدنى ، على أساس من الاسلام •• » ، كما تم انشاء « ( اسرائيل ) ، كدولة يهودية •• ليحول انشـاؤها دون تكتل هـذه الشعوب ، على أساس من مقومات اللغـة العربية ، والتاريخ العربى المشترك • وقرار تدويل ( القـدس ) •• ليس سوى عمـل سياسى استعمارى غربى ، لتحقيق فكرة الكتلة الصليبية ، فى ابعـاد المسلمين ( البرابرة ) ، عن مهـد ( الانسانية ) ! ! » (١) •

وتعيش الحضارة الغربية المسيحية ، كلهـا على نفط المسلمين ، وعلى المعـادن المستخرجة من باطن أرضهم ولكنها تمـد يـد العون لليهود ، الذين سرقوا فلسطين ، وشردوا أهلها •• وتمد كل أسباب الفرقة بين أبناء الأمة العربية •• الواحدة ، وتعتبر كل تفكير فى الوحدة ، عملا من أعمال العدوان على اسرائيل ، وعلى الغرب من ورائها • « والغـرب لا يرهب وحدتنا ، لمجرد أننا سنصبح مائة مليون •• فالهنـد أضعاف هـذا الرقم ، وليس من يأبه لها •• لأن الهند لا رسالة لها •• » ، بينما « ( العروبة ) رسالة » ، و « رسالة أمتنا •• هى الاسـلام •• بهـا خرجنا للعالم •• وأسهمنا فى تطـوير الحضارة البشرية ، وأثرينا تاريخ الانسان ، ودفعنا بالقيم الفاضلة ، الى مدارج أعلى •• ومفاهيم أنبـل » (٢) •

وكان العالم الاسلامى قـد وصل عند الحرب العالمية الثانية ، بفعل المخطط الصليبى ، وسهر الاستعمار على تنفيذه ، أيام سيطرته على بلاد العـالم الثالث ، ومن بينها بلاد العـالم الاسلامى •• الى

---

(١) الدكتور محمـد البهى : الفكر الاسـلامى الحـديث ، وصلته بالاستعمار الغربى — الطبعة الثانية — مكتبة وهبة — رمضان ١٣٩٥ هـ — سبتمبر ١٩٧٥ م ، ص ١٠٩ .

(٢) محمد جـلال كشـك : الغزو الفكرى — من سلسلة ( مفاهيم اسلامية ) — الطبعة الثانية — الدار القومية ، للطباعة والنشر بالقاهرة — مارس ١٩٦٦ ، ص ٨ .

درجة من التهتك ، والبعــد عن خط السماء ، الذى سار عليه أبناؤه ، طــوال عصــور تاريخهم •

وأول هــذه الهجمــة الصليبية الاستعمارية الشرسة ، ظهــرت أصوات أمثال محمد بن عبد الوهاب ، وجمال الدين الأفغانى ، وأحمد عرابى وعبد القــادر الجــزائرى وعمر المختــار •• أرقت الصليبية والاستعمار معــا •

وطلع القرن العشرون على العــالم الاسلامى ، وروح المقاومة للصليبية والاستعمار تتصاعد •• يذكى نارها ، أصوات مصطفى كامل وحسن البنــا وأبى الحسن النــدوى وأبى الأعلى المودودى وســيد قطب . وغيرهم وغيرهم ، ممن حملوا الراية ، التى سلمهــا لهم قادة الكفاح ، الذين استشهدوا على طريق الكفاح ، أو وافتهم المنية عليه •

ويجلو الاستعمار بجيوشه ، ولكن بعد أن يكون قــد وضع على كراسى الحكم فى هــذه البلاد ، عملاء له اختارهم على عينه ؛ وأخذ يوجــه البــلاد من خلالهم [1] ، لتحقيق أهداف الصليبية الحديثة ، المتحالفة مع اليهودية العالمية ، والشيوعية •• ولكن صوت الاســلام يعلو ويعلو •• برغم كل الضغوط عليه ؛ وعلى الداعين اليه ، حتى صار الرأى العام الاسلامى يعلن اليوم كله ، « رفض الأفكار الأجنبية »[2] ،

---

(١) ارجع الى كتاب رئيس وزراء الاردن الأسبق — سعد جمعة :
— سعد جمعة : الله ، أو الدمار — الطبعــة الثالثة — المختــار الاسلامى ، للطبــاعة والنشر والتوزيع — ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م ، ص ٧ ( من التقديم ) .

والى كتاب رجل المخابرات المركزية الأمريكية — مايلز كوبلاند :
— COPELAND, MILES : The Game of Nations, The Amorality of Power Politics; Sixth Edition, Weidenfeid and Nicolson, London, October 1970, p. 76.

(٢) تاريخ البشرية — المجلد السادس ( القرن العشرين ) — التطور العلمى والثقافى — الجزء الثانى — ١ ( تطور المجتمعات ) — اعداد اللجنة الدولية ، باشراف منظمة اليونسكو — الترجمة والمراجعــة : عثمان نويه وآخرار — الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر — ١٩٧١ ، ص ٣١١ .

التى تمثل وجهة نظر الصليبية / اليهودية / الشيوعية ، من خلال وسائل متعددة ، على رأسها أجهزة الاعلام ، والثقافة . والتعليم ، خاصة فى الجامعات .

وتفقد الصليبية / اليهودية / الشيوعية رشدها ، فتشدد قبضتها — من خلال عملائها فى الداخل — على المشتغلين بالعمل الاسلامى ، فيكون رد الفعل : تطرف شبابى نحو الدين [1] ، يكاد أن يعم عالمنا الاسلامى ...

وهكذا يحاصر الاسلام — الذى دعا اليه المسيح ، ورفاقه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام — من كل جانب ، فتكون اقبالة الجميع عليه ، بشكل صار يحير أعداءه : ما الذى يمكن أن يفعلوه به ، وقد جربوا معه كل الطرق ففشلوا ؟

فللمسلم أن يفخر بمسيحه ، الذى اعتصم باسلامه لله سبحانه ، برغم كل الخطوب ، فراح يعتصم مثله به ، بعد أن أيقن — كما أيقن المسيح قبله — أن « ( المستقبل لهذا الدين ) .

لقد صمد الاسلام فى حياته المديدة ، لما هو أعنف وأقسى ، من هذه الضربات الوحشية ، التى توجه اليوم ، الى طلائع البعث الاسلامى ، فى كل مكان . وكافح ، وهو مجرد من كل قوة ، غير قوته الذاتية — وانتصر وبقى ، وأبقى على شخصية الجماعات والأوطان ، التى كان يحميها ، وهو مجرد من السلاح !

ان الاسلام ، هو الذى حمى الوطن الاسلامى فى الشرق ، من هجمات التتار ، كما حماه من هجمات الصليبيين ، على السواء » .

---

(١) الدكتور محمد عبد الظاهر الطيب : « شبابنا وظاهرة التطرف » — **مؤتمر تربية الشباب** — كلية التربية ، جامعة عين شمس — فى الفترة من ٢/٢٨ — ١٩٨١/٣/٢ — الاثنين ٢ مارس ١٩٨١ ، ص ١ .

« والاسلام ، هو الذى كافح فى الجزائر ، مائة وخمسين عاما » [1] .

ولذلك لم يكن من باب التفاؤل وحـده ، أن يرى الكثـيرون أن « كل الدلائل والعلامات ، تدل على أن حضارة المجتمعات الغربيـة ، سوف تنهـار ، وتندك معاقلها ، وسوف ترد أصولها ومقوماتها العلمية، الى أيدى المسلمين » ، وذلك لأن « المسلمين اليوم ، هم المؤهلون لهـذا الدور ، الذى يقترب حثيثا ، ولكنهم فى حاجة الى استعداد كبير لحمـل الأمانة ، والى فهم عميق ، لضرورة تحويل الحضارة ، فى اتجاه العمل الانسانى ، القائم على الاخاء البشرى ، وعلى المساواة بين الناس ، وعلى هدم العبوديات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وعلى أن تكون ثروة المسلمين ، فى سبيل اسعاد البشرية كلهـا ، وليست لخـدمة حفنـة من أباطـرة الاستعمار والصهيونية ، المسـيطرين الآن على مقدرات الشعوب » ، وأنه « ليست المسألة أكثر من مسألة وقت ، حتى يتملك المسلمون فى أيديهم ، تلك الأسرار العلميـة بقـوة ، ويحولوه الى أحضان لغتهم ... » . « وسوف تعيش حضارة الاسلام الصاعدة، حضارة التوحيد ، الى جانب حضارة الغرب الغاربة ، حضارة الوثنية ، فلا عيب أن تتجاور الحضارات ، ولكن الحضارات ، سوف ترى نموذجا فـريدا » [2] .

* * *

واذا كان الاسلام يحارب فى داخل حدوده حربا ضارية ، كمـا سبق [3] ، فان ضراوة هذه الحرب ، لن تكون من عوامل القضاء على الاسـلام ، كما يتوهمون ، بل انهـا ربمـا تكون من عوامل ظهـوره وانتشاره وانتصاره .

---

(١) سيد قطب : المستقبل لهذا الدين — دار الشروق — ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م ، ص ١١٠ ، ١١١ .
(٢) انور الجندى : الاسلام والغرب ( مرجع سابق ) ، ص ٣٦٠ .
(٣) ارجع الى ص ٢٣٠ — ٢٣٣ من الكتاب .

والذين عاشوا أيام التتار ، كانوا يتصورون الساعة قد اقتربت ، ونهاية الاسلام قد بدأت .. على نحو ما نرى من كتابات المؤرخين ، المسلمين وغير المسلمين ، عن هذه الفترة من التاريخ الاسلامى .

والذين عاشوا أيام الصليبيين ، كانوا يتصورون نفس التصور .

ولكن الاسلام خرج من المعركتين الرهيبتين منتصراً ، وأكثر عددا وعدة ، وأوسع رقعة .. بل ان تأثيره قد امتد الى داخل ( حدود ) أعدائه ، الذين أرادوا القضاء عليه .. فكانت سلسلة الثورات المتنوعة ضد الكنيسة الكاثوليكية ، التى انتهت ( بالاصلاح الدينى ) فى الغرب سنة ١٥١٥ ، على نحو ما رأينا ، عند حديثنا عن ( الحروب الصليبية ) فى الفصل الرابع [١] .

فليست حروب اليوم ، اذن ، أشد ضراوة من حروب الأمس ، وان كانت أشد ايلاما ، لأن المسلم فيها يحارب مسلما ، بسبب اختلاف الرايتين اللتين يقف تحتهما كل مسلم .

ولكننا لاننسى هنا ، أن ( المنافقين ) ، الذين يحسبون على الاسلام ، وهم أشد عداوة له من خصومه العديدين .. موجودون فى المجتمع الاسلامى ، منذ وجد المجتمع الاسلامى ، فقط ، فى المدينة ، بعد هجرة المسلمين اليها .

ولكن هؤلاء المنافقين السابقين ، لم يؤد تحالفهم مع كل خصوم الاسلام ، الى القضاء على الاسلام ، وانما أدى الى ( تطهير ) الجبهة الاسلامية من أمثالهم .. فكانت سلسلة انتصاراته المتتابعة .

انه الدين المنتصر باذن الله ، لأنه وعد الله لعباده الصالحين :

— «كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ، ان الله قوى عزيز . لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يوادون من حاد الله ورسوله ،

---

(١) ارجع الى ص ١٣١ وما بعدها من الكتاب .

ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشــيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الايمــان ، وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجــرى من تحتها الأنهــار ، خالدين فيها ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ، أولئــك حزب الله ، ألا ان حزب الله هم المفلحون » [١] .

— « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ، أن الأرض يرثها عبادى الصالحون • ان فى هــذا لبلاغا لقــوم عابدين • وما أرسلناك الا رحمة للعــالمين » [٢] .

فهى دعوة لاخواننا ، الذين ضــلوا طريقهم الى الله •• أن يعودوا الى هــذا الطريق ، حتى لا يكونوا ممن ينطبق عليهم قوله سبحانه :

— « أفحسب الذين كفــروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء ؟ انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا • قل : هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ؟ الذين ضــل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحســنون صنعا » [٣] .

وهى دعوة لاخواننا المسيحيين •• ليكونوا — بحق — مسيحيين ، على النحــو الذى أراده الســـيد المسيح ، قبل أن تمتد الى ما قاله بالتحريف يــد :

— « قل : يا أهل الكتاب ، تعالوا الى كلمــة سواء بيننا وبينكم : ألا نعبــد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا ، فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون » [٤] .

* * *

(١) قرآن كريم : المجادلة — ٥٨ : ٢١ ، ٢٢ .
(٢) قرآن كريم : الأنبياء — ٢١ : ١٠٥ — ١٠٧ .
(٣) قرآن كريم : الكهف — ١٨ : ١٠٢ — ١٠٤ .
(٤) قرآن كريم : آل عمران — ٣ : ٦٤ .

— « .. ربنـــا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا ، ربنـــا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقـــة لنـــا به ، واعف عنا واغفر لنـــا وارحمنا ، أنت مولانا ، فانصرنا على القـــوم الكافرين » [1] .

وصـــدق الله العظيم .

---

(١) قرآن كريم : البقرة — ٢ : ٢٨٦ .

## مراجـع الكتـاب

### أولا : المراجع العربيـة :


١ ــ القمص ابراهيم جبرة : المولود من الآب ــ رقم (١) من ( المكتبة اللاهوتية ) ــ مكتبـة المحبة بالقاهرة ــ ١٩٧٥ .

٢ ــ القمص ابراهيم جبرة : المولود من العذراء ــ رقم (٢) من ( المكتبة اللاهوتيـة ) ــ مكتبـة المحبة بالقاهرة ــ ١٩٧٥ .

٣ ــ ابراهيم خليل أحمـد : محمد ، فى التوراة والانجيل والقرآن ــ الطبعة الثالثة ــ مكتبـة الوعى العربى ( بدون تاريخ ) .

٤ ــ الايغومانس ابراهيم لوقا : المسيحية فى الاسلام ــ الطبعة الأولى ــ مطبعـة النيـل المسيحية ــ يوليو ١٩٣٨ .

٥ ــ شيخ الاسـلام ، ابن تيميـة ( ٦٦١ ــ ٧٢٨ ) : الجـواب الصحيح ، لمن بدل دين المسيح ــ قـدم له ، وأشرف على طبعه : على السـيد صبح المدنى ــ الجـزء الأول ــ مكتبـة المدنى ومطبعتها ــ جدة ( بدون تاريخ ) .

٦ ــ أبو الحسن الندوى : تأملات فى سورة الكهف ــ الطبعة الثالثة ــ المختار الاسـلامى ، للطبـاعة والنشر والتوزيع ــ ١٣٩٧هـ ــ ١٩٧٧ م .

٧ ــ أبو الحسن الندوى : رجال الفكر والدعوة فى الاسلام ــ الطبعة الرابعة ــ دار القلم بالكويت ــ ١٣٩٤ هـ ــ ١٩٧٤ م .

٨ ــ أبو الحسن الندوى : ماذا خسر العـالم ، بانحطاط المسلمين ــ مطابع على بن على ــ الدوحة ــ ١٣٩٤ هـ ــ ١٩٧٤ م .

٩ ــ أحمـد أمين : « الانسانية والقومية » ــ **فيض الخـاطر** ــ الجزء الثالث ــ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ ١٩٤٢ .

١٠ ــ الدكتور احمد زكى صالح : علم النفس التربوى ــ الطبعـة الثامنة ــ مكتبـة النهضة المصرية ــ ١٩٦٥ .

١١ ــ أحمـد عبد الوهاب : اسرائيـل حرفت الأناجيـل والأسـفار المقدسة ــ الطبعة الأولى ــ مكتبـة وهبة ــ أكتوبر ١٩٧٢ .

١٢ ــ أحمد فهمى القطان بك : تاريخ التربية ــ الجزء الأول ــ التربية قبل الاسلام ــ مطبعة مدرسة طنطا الصناعية ــ ١٣٤٢ هجرية ــ ١٩٢٣ ميلادية .

١٣ — ارنست باركر : الحروب الصليبية — نقله الى العربية : الدكتور السيد الباز العرينى — مكتبة النهضة المصرية — ١٣٧٩هـ — ١٩٦٠ م .

١٤ — اسوالد اشبنغلر : تدهور الحضارة الغربية — الجزء الثانى — ترجمة احمد الشيبانى — منشورات دار مكتبة الحياة — بيروت — ١٩٦٤ .

١٥ — اسوالد اشبنغلر : تدهور الحضارة الغربية — الجزء الثالث — ترجمة احمد الشيبانى — منشورات دار مكتبة الحياة — بيروت — ١٩٦٤ .

١٦ — الأعمال الكاملة ، للامام محمد عبده — جمعها وحققها وقدم لها : محمد عمارة — الجزء الثالث ( الاصلاح الفكرى والتربوى والالهيات ) — الطبعة الأولى — المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت — أيلول ( سبتمبر ) ١٩٧٢ .

١٧ — البير كامى : المتمرد — ترجمها عن الفرنسية : عبد المنعم الحفنى — مطبعة الدار المصرية ( بدون تاريخ ) .

١٨ — التلمود ، شريعة بنى اسرائيل ، حقائق ووقائع — ترجمة واعداد : محمد صبرى — مكتبة مدبولى ( بدون تاريخ ) .

١٩ — الدومييلى : العلم عند العرب ، واثره فى تطور العلم العالمى — نقله الى العربية : الدكتور عبد الحليم النجار ، والدكتور محمد يوسف موسى — قام بمراجعته على الأصل الفرنسى : الدكتور حسين فوزى — جامعة الدول العربية — الادارة الثقافية — الطبعة الأولى — دار القلم — ١٩٦٢ .

٢٠ — السيد محمود أبو الفيض المنوفى : أصالة العلم ، وانحراف العلماء — رقم (٤) من ( موسوعة وحدة الدين والفلسفة والعلم ) — دار نهضة مصر ، للطبع والنشر — ١٩٦٩ .

٢١ — العهد الجديد .

٢٢ — العهد القديم .

٢٣ — المقريزى ( أحمد بن على ) : كتاب السلوك . لمعرفة دول الملوك — صححه ووضع حواشيه : محمد مصطفى زيادة — الجزء الأول ، من القسم الثانى — الطبعة الثانية — مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر — ١٩٥٧ .

٢٤ — انجيل برنابا — ترجمه من الانكليزية : الدكتور خليل سعادة — طبع على نفقة مطبعة المنار ، لصاحبها : السيد محمد رشيد رضا — مكتبة ومطبعة محمد على صبيح واولاده — القاهرة — ١٩٥٨ .

٢٥ — أنور الجندى : الاسلام والتكنولوجيا — دار الاعتصام — ١٩٧٧ .

٢٦ — أنور الجندى : الاسلام والغرب — دار الاعتصام بالقاهرة — ١٩٧٦ .

٢٧ — أنور الجندى : التربية وبناء الأجيال ، فى ضوء الاسلام — رقم (١٦) من ( الموسوعة الاسلامية العربية ) — الطبعة الأولى — دار الكتاب اللبنانى — بيروت — ١٩٧٥ .

٢٨ — أنور الجندى : طه حسين ، حياته وفكره فى ميزان الاسلام — الطبعة الثانية — دار الاعتصام — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

٢٩ — الدكتور بول منرو : المرجع ، فى تاريخ التربية — الجزء الأول — ترجمه صالح عبد العزيز — راجعه حامد عبد القادر — الطبعة الثانية — مكتبة النهضة المصرية — ١٩٥٨ .

٣٠ — بيتر م. بلاو : البيروقراطية ، فى المجتمع الحديث — ترجمة اسماعيل الناظر ، ومعد كيالى — دار الثقافة — بيروت — ١٩٦١ .

٣١ — تاريخ البشرية — المجلد السادس ( القرن العشرون ) — التطور العلمى والثقافى — الجزء الثانى — ١ ( تطور المجتمعات ) — إعداد اللجنة الدولية ، باشراف منظمة اليونسكو — الترجمة والمراجعة : عثمان نويه وآخران — الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر — ١٩٧١ .

٣٢ — تفسير القرآن العظيم ، للامام الجليل ، الحافظ عماد الدين ، أبى الفداء ، اسماعيل بن كثير ، القرشى الدمشقى ، المتوفى سنة ٧٧٤ هجرية — الجزء الأول — ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م ( بدون ناشر ) .

٣٣ — سير توماس و. أرنولد : الدعوة الى الاسلام ، بحث فى تاريخ نشر العقيدة الاسلامية — ترجمه الى العربية وعلق عليه : الدكتور حسن ابراهيم حسن وآخران — الطبعة الثانية — مكتبة النهضة المصرية — ١٩٥٧ .

٣٤ — ج. برونوفسكي : ارتقـــاء الانســـان — ترجمـــة د. موفــق شخاشيرو — مراجعـــة زهـــير الكرمى — رقم (٣٩) من ( عالم المعرفة ) — سلسلة كتب شــهرية ، يصـــدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت — ربيع الثانى / جمادى الأولى ١٤٠١ هـ — مارس (آذار) ١٩٨١ م .

٣٥ — جبران خليل جبران : النبى — من روائع جبران خليل جبران — نقله الى العربية وقـــدم له : ثروت عكاشـــة — الطبعة الرابعـــة — دار المعارف ( بدون تاريخ ) .

٣٦ — جمال الدين الأفغانى ، والشيخ محمد عبده : العروة الوثقى — الطبعة الأولى — دار الكتاب العربى — بيروت — لبنـــان — ذو الحجة هـ — شباط ( فبراير ) ١٩٧٠ م .

٣٧ — جمهورية افلاطون — ترجمة ودراسة الدكتور فؤاد زكـــريا — راجعها على الأصل اليونانى : الدكتور محمد سليم سالم — الهيئة المصرية العامة للكتاب — ١٩٧٤ .

٣٨ — جورج سباين : تطـــور الفكر السياسى — الكتاب الثالث — ترجمـــة الدكتور راشد البراوى — تقـــديم الدكتور احمـــد سويلم العمرى — دار المعـــارف بمصر — ١٩٧١ .

٣٩ — جورج سول : المذاهب الاقتصادية الكبرى — ترجمـــة وتقديم : راشد البراوى — الطبعة الثالثة — مكتبـــة النهضة المصرية — ١٩٦٢ .

٤٠ — جـــون كينيث جالبريث : اضـــواء جـــديدة ، على الفـــكر الاقتصادى — ترجمـــة الدكتور خليل حسن خليـــل — مراجعـــة الدكتـــور سعيد النجار — دار المعرفة — ١٩٦٢ .

٤١ — الدكتور حسن ظاظا : الفكر الدينى الاسرائيلى ، أطواره ومذاهبه — معهد البحوث والدراسات العربية — ١٩٧١ .

٤٢ — خطط المقريزى ( كتـــاب المواعظ والاعتبار ، بذكر الخطط والآثار)— تاليف سيدنا الشيخ الامام ، علامة الأنام ، تقى الدين ، احمـــد ابن على بن عبد القادر بن محمد ، المعروف بالمقريزى — الجـــزء الثالث — عن طبعـــة بولاق سنة ١٢٧٠ هجرية — دار التحرير ، للطبع والنشر ( بدون تاريخ ) .

٤٣ — خليل طاهر : الأديان والانسان ، منذ مهبط آدم ، حتى : اليهودية— المسيحية — الاسلام — قدم له وراجعه : فضيلة الامام الأكبر ، الشيخ عبد الحليم محمود — دار الفكر والفن — ١٩٧٦ .

٤٤ — د. م. تيريز : الكشف العلمى — ترجمة أحمد محمد سليمان — مراجعة د. محمد جمال الدين الفندى — العدد (٥) من ( العلم للجميع ) — دار الكاتب العربى ، للطباعة والنشر ( بدون تاريخ ) .

٤٥ — رالف ت. فلوولنج : « الفلسفة الشخصانية » — **فلسفة القرن العشرين** — مجموعة مقالات ، فى المذاهب الفلسفية المعاصرة — نشرها : داجوبرت د. رونز — ترجمة عثمان نويه — مراجعة الدكتور زكى نجيب محمود — رقم ( ٤٦٤ ) من ( الألف كتاب ) — مؤسسة سجل العرب — ١٩٦٣ .

٤٦ — دكتور رءوف سلامة موسى : فى أزمة العلم والجامعات — دار ومطابع المستقبل ( بدون تاريخ ) .

٤٧ — الشيخ رحمت الله الهندى ( ١٢٣٣ — ١٣٠٨ هـ ) : اظهار الحق — تقديم وتحقيق وتعليق : الدكتور أحمد حجازى السقا — الجزء الأول — دار التراث العربى ، للطباعة والنشر — ١٩٧٨ .

٤٨ — الدكتور زكى نجيب محمود : تجديد الفكر العربى — الطبعة الثانية — دار الشروق — ١٩٧٣ .

٤٩ — سر التجسد — محاضرات وندوات ، للشباب الجامعى — رقم (١٧) من مطبوعات ( مكتبة المحبة ) — اعداد كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بالظاهر — مكتبة المحبة ( بدون تاريخ ) .

٥٠ — سعد جمعة : الله ، أو الدمار — الطبعة الثالثة — المختار الاسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع — ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م .

٥١ — دكتور سعيد اسماعيل على : الأزهر ، على مسرح السياسة المصرية ( دراسة تطور العلاقة بين الدين والسياسة ) — دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة — ١٩٧٤ .

٥٢ — دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، صفحة مشرقة فى تاريخ الجهاد العربى ، فى العصور الوسطى — الجزء الأول — الطبعة الثانية — مكتبة الأنجلو المصرية — ١٩٧١ .

٥٣ — دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : المدنية الاسلامية ، واثرها فى الحضارة الأوربية — الطبعة الأولى — دار النهضة العربية — ١٩٦٣ .

٥٤ — سلفادور غومث نوغالس : الفلسفة الاسلامية ، وتأثيرها الحاسم فى فكر الغرب ، أثناء العصور الوسطى — نقله من الاسبانية : الأستاذ عثمان الكعاك — الدار التونسية للنشر — ١٩٧٧ .

٥٥ — سليمان نسيم : تاريخ التربية القبطية — باشراف الدكتور أبو الفتوح رضوان — تقديم دكتور باهور لبيب — دار الكرنك ، للنشر والطبع والتوزيع — ١٩٦٣ .

٥٦ — سليمان نسيم ، وكمال حبيب : التربية المسيحية — الطبعة الثانية — مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة — ١٩٧٠ .

٥٧ — سيجموند فرويد : موسى والتوحيد ( اليهودية ، فى ضوء التحليل النفسى ) — ترجمة دكتور عبد المنعم الحفنى — الطبعة الثانية — مطبعة الدار المصرية ، للطباعة والنشر والتوزيع — ١٩٧٨ .

٥٨ — دكتور سيد احمد عثمان : التعلم ، عند برهان الاسلام الزرنوجى ( المتوفى سنة ٥٩١ هـ — ١١٩٥ م ) — مكتبة الأنجلو المصرية — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

٥٩ — سيد امير على : روح الاسلام — نقله الى العربية : عمر الديراوى — الطبعة الأولى — دار العلم للملايين — بيروت — ١٩٦١ .

٦٠ — سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الاسلام — الطبعة الثانية — مطبعة دار الكتاب العربى — ١٩٥٢ .

٦١ — سيد قطب : المستقبل لهذا الدين — دار الشروق — ١٣٩٤ هـ —

٦٢ — سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الأول ( الأجزاء ١ — ٤ ) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

٦٣ — سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الثانى ( الأجزاء : ٥ — ٧ ) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

٦٤ — سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الرابع ( الأجزاء : ١٢ — ١٨ ) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

٦٥ — سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد السادس ( الاجزاء : ٢٦ — ٣٠ ) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

٦٦ — سيد قطب : معالم فى الطريق — ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م ( بدون ناشر ) .

٦٧ — العلامة شمس الدين ، محمد بن ابى بكر بن قيم الجوزية ( المتوفى سنة ٧٥١ ) : كتاب هداية الحيارى ، فى أجوبة اليهود والنصارى — مؤسسة مكة ، للطباعة والاعلام — ١٣٩٦ هـ .

٦٨ — صالح عبد العزيز : تطور النظرية التربوية ( دراسات فى التربية ) — الطبعة الثانية — دار المعارف بمصر — ١٩٦٤ .

٦٩ — صالح عبد العزيز ، وعبد العزيز عبد المجيد : التربية وطرق التدريس — الجزء الأول — الطبعة الخامسة — دار المعارف بمصر — ١٩٥٦ .

٧٠ — دكتور صبرى جرجس : التراث اليهودى الصهيونى ، والفكر الفرويدى ( أضواء على الأصول الصهيونية ، لفكر سجمند فرويد ) — الطبعة الأولى — عالم الكتب — ١٩٧٠ .

٧١ — طه حسين : فى الأدب الجاهلى — الطبعة الرابعة — دار المعارف بمصر — ١٩٤٧ .

٧٢ — طه حسين : مستقبل الثقافة فى مصر — مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر — ١٩٣٨ .

٧٣ — الدكتورة عائشة عبد الرحمن ( بنت الشاطىء ) : القرآن ، وقضايا الانسان — الطبعة الأولى — دار العلم للملايين — بيروت — ١٩٧٢ .

٧٤ — عباس محمود العقاد : ابليس ( بحث فى تاريخ الخير والشر ، وتمييز الانسان بينهما ، من مطلع التاريخ ، الى اليوم ) — الطبعة الخامسة — دار نهضة مصر للطبع والنشر — ١٩٧٤ .

٧٥ — عباس محمود العقاد : الثقافة العربية ، أسبق من ثقافة اليونان والعبريين — رقم (٣٠٩) من ( المكتبة الثقافية ) — الهيئة المصرية العامة للكتاب — ١٩٧٤ .

٧٦ — عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية — دار الاسلام بالقاهرة — ١٩٧٣ .

٧٧ — عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام ، وأباطيل خصومه — دار الاسلام — القاهرة — ١٩٥٧ .

٧٨ — عباس محمود العقاد : حياة المسيح ، فى التاريخ ، وكشوف العصر الحديث — رقم (٢٠٢) من ( كتاب الهلال ) — يناير ١٩٦٨ .

٧٩ — عباس محمود العقاد : عبقرية محمد — دار الكتب الحديثة — القاهرة — ١٩٦٦ .

٨٠ — عباس محمود العقاد : ما يقال عن الاسلام — دار الهلال — ١٩٧٠ .

٨١ — الدكتور عبد الحليم الرفاعي : الاقتصاد السياسى — الجزء الأول — الطبعة الأولى — ١٩٣٦ .

٨٢ — دكتور عبد الحميد ابراهيم : الوسطية العربية ، مذهب وتطبيق — دار المعارف — ١٩٧٩ .

٨٣ — العلامة المؤرخ الشيخ ، عبد الرحمن الجبرتى : مظهر التقديس ، بذهاب دولة الفرنسيس — تحقيق وشرح : حسن محمد جوهر ، وعمر الدسوقى — الطبعة الأولى — لجنة البيان العربى — ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م .

٨٤ — عبد الرحمن عزام : الرسالة الخالدة — الطبعة الأولى — مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر — ١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م .

٨٥ — الدكتور عبد العزيز محمد الشناوى : دراسات فى تاريخ أوربا فى القرن التاسع عشر — دار النهضة العربية — ١٩٦٤ .

٨٦ — دكتور عبد الغنى عبود : الاسلام والكون — الكتاب الثالث من سلسلة ( الاسلام وتحديات العصر ) — الطبعة الأولى — دارالفكر العربى — مايو ١٩٧٧ .

٨٧ — دكتور عبد الغنى عبود : الانسان فى الاسلام ، والانسان المعاصر — الكتاب الرابع من سلسلة ( الاسلام وتحديات العصر ) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — فبراير ١٩٧٨ .

٨٨ — دكتور عبد الغنى عبود : الأيديولوجيا والتربية ، مدخل لدراسة التربية المقارنة — الطبعة الثالثة — دار الفكر العربى — ١٩٨٠ .

٨٩ — دكتور عبد الغنى عبود : التربية الاسلامية ، والقرن الخامس عشر الهجرى — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٩٨٢ .

٩٠ — دكتور عبد الغنى عبود : الحضارة الاسلامية ، والحضارة المعاصرة — الكتاب الحادى عشر من سلسلة ( الاسلام وتحديات العصر ) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — فبراير ١٩٨١ .

٩١ — دكتور عبد الغنى عبود : الدولة الاسلامية ، والدولة المعاصرة — الكتاب الثانى عشر من سلسلة ( الاسلام وتحديات العصر ) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — يونية ١٩٨١ .

٩٢ — دكتور عبد الغنى عبود : العقيدة الاسلامية ، والايديولوجيات المعاصرة — الكتاب الأول من سلسلة ( الاسلام وتحديات العصر ) — الطبعة الثانية — دار الفكر العربى — ١٩٨٠ .

٩٣ — دكتور عبد الغنى عبود : الله ، والانسان المعاصر — الكتاب الثانى من سلسلة ( الاسلام وتحديات العصر ) — الطبعة الثانية — دار الفكر العربى — ١٩٨١ .

٩٤ — دكتور عبد الغنى عبود : اليهود ، واليهودية ، والاسلام — الكتاب الثالث عشر من سلسلة ( الاسلام وتحديات العصر ) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — فبراير ١٩٨٢ .

٩٥ — دكتور عبد الغنى عبود : انبياء الله ، والحياة المعاصرة — الكتاب السادس من سلسلة ( الاسلام وتحديات العصر ) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — سبتمبر ١٩٧٨ .

٩٦ — دكتور عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة ، لتاريخ التربية — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٩٧٨ .

٩٧ — عبد الفتاح الديدى : فلسفة هيجل — مكتبة الأنجلو المصرية — ١٩٧٠ .

٩٨ — الدكتور عبد الفتاح عبد الباقى : القانون والحياة — رقم (٢٨) من ( المكتبة الثقافية ) — وزارة الثقافة والارشاد القومى — الادارة العامة للثقافة — دار القلم بالقاهرة — أول يناير ١٩٦١ .

٩٩ — عبد الكريم الخطيب : الله والانسان ( قضية الألوهية ، بين الفلسفة والدين ) — الطبعة الثانية — دار الفكر العربى — ١٩٧١ .

١٠٠ — عبد الكريم الخطيب : اليهود فى القرآن — الطبعة الأولى — دار الشروق — ١٩٧٤ .

١٠١ — عبد الله التل : خطر اليهودية العالمية ، على الاسلام والمسيحية — الطبعة الثانية — دار القلم — ١٩٦٥ .

١٠٢ — الدكتور عبد الله عبد الدائم : تاريخ التربية — من منشورات كلية التربية ، بجامعة دمشق — مطبعة جامعة دمشق — ١٩٦٠ .

١٠٣ — عبد المتعال الصعيدى : المجددون فى الاسلام ، من القرن الأول الى الرابع عشر ( ١٠٠ هـ — ١٣٧٠ هـ ) — الطبعة الثانية — مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز بمصر — ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٢ م .

١٠٤ — عبد المتعال الصعيدى : لماذا انا مسلم — مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز — ١٩٧٦ .

١٠٥ — الدكتور عبد المحسن صالح : الميكروبات والحياة — رقم (٦٢) من ( المكتبة الثقافية ) — دار القلم بالقاهرة — أول يونية ١٩٦٢ .

١٠٦ — دكتور عز الدين فودة : خلاصة الفكر الاشتراكى — دار الفكر العربى — ١٩٦٨ .

١٠٧ — عصر الأيدولوجية — مجموعة من المقالات الفلسفية ، قدم لها : هنرى د. ايكن — ترجمة الدكتور فؤاد زكريا — مراجعة الدكتور عبد الرحمن بدوى — رقم (٤٨٩) من ( الألف كتاب ) — مكتبة الأنجلو المصرية — ١٩٦٣ .

١٠٨ — الدكتور علي عبد الحليم محمود : الغزو الفكرى ، واثره فى المجتمع الاسلامى المعاصر — الطبعة الأولى — دار البحوث العلمية — الكويت — ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م .

١٠٩ — د. على محمد جريشة ، ومحمد شريف الزيبق : اساليب الغزو الفكرى ، للعالم الاسلامى — الطبعة الأولى — دار الاعتصام بالقاهرة — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

١١٠ — الدكتور عمر فروخ : « اثر الرسالة الاسلامية ، فى الحضارة الانسانية » — **مجلة الأزهر** — مجلة شهرية جامعة ، تصدر عن مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر ، فى أول كل شهر عربى — الجزء الأول — السنة الثانية والخمسون — محرم/صفر ١٤٠٠ هـ — ديسمبر ٧٩ / يناير ٨٠ م .

١١١ — عمر فروخ : تجديد التاريخ ، فى تعليله وتدوينه ( اعادة النظر فى التاريخ ) — الطبعة الأولى — دار الباحث ، للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت — لبنان — ١٤٠١ هـ — ١٩٨٠ م .

١١٢ — الأنبا غريغوريوس : انت المسيح ، ابن الله الحى — رقم (١٩) من ( سلسلة المباحث اللاهوتية والعقائدية ) — مطبعة دار العالم العربى — فبراير ١٩٧٥ .

١١٣ — فتحية حسن سليمان : التربية عند اليونان والرومان — مكتبة نهضة مصر ( بدون تاريخ ) .

١١٤ — قـرآن كـريم .

١١٥ — كتاب البراهين العقلية والعلمية ، فى صحة الديانة المسيحية — تأليف وجمع القائمقام ترتن ، من فرقة المهندسين — ترجمـة حبيب افنـدى سعيد — الطبعـة الثانيـة — طبعة النيل المسيحية ، بالمنـاخ بمصر — ١٩٢٥ .

١١٦ — « كتاب تخليص الابريـز ، فى تلخيص باريـز » ، أو « الديوان النفيس ، بايوان باريس » — **الأعمـال الكاملة ، لرفاعة رافـع الطهطاوى** — دراسة وتحقيق : محمـد عمارة — الجـزء الثانى ( السياسة والوطنية والعربية ) — الطبعـة الأولى — المؤسسة العربية ، للدراسات والنشر — بيروت — تشرين أول ( اكتوبر ) ١٩٧٣ .

١١٧ — كلنتـون هارتلى جراتان : البحث عن المعرفة ، بحث تاريخى ، فى تعلم الراشـدين — ترجمـة عثمان نويه — تقـديم صـلاح دسوقى — مكتبـة الأنجلو المصرية — ١٩٦٢ .

١١٨ — لانسـلوت هوجبن : العـلم للمواطن — ترجمـة دكتور عطيـة عبد السلام عاشور ، ودكتور سيد رمضان هدارة — مراجعـة دكتـور محمد مرسى أحمد — رقـم (١٠١) من ( الألف كتاب ) — الجزء الأول — دار الفكر العربى ( بدون تاريخ ) .

١١٩ — الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ( يبحث الأدوار التى مرت بهـا عقائد النصـارى ، وفى كتبهم ومجامعهم المقدسة وفرقهم ) — الطبعـة الرابعـة — دار الفكر العربى — ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م .

١٢٠ — الدكتور محمد البهى : الفكر الاسلامى الحديث ، وصلته بالإستعمار الغربى — الطبعة الثانية — مكتبة وهبة — رمضان ١٣٩٥ هـ — سبتمبر ١٩٧٥ م .

١٢١ — محمد الغزالى : التعصب والتسامح ، بين المسيحية والاسلام — دار الكتاب العربى بمصر ( بدون تاريخ ) .

١٢٢ — محمـد الغـزالى : قذائف الحق — منشورات المكتبة العصرية — بيروت — صيدا — ١٣٩٣ هـ .

١٢٣ — محمد توفيق خفاجى : أضواء على تاريخ التعليم ، فى الجمهـورية العربية المتحدة — اشراف ومراجعة دكتور ابراهيم حافظ — وزارة التربية والتعليم — مركز الوثائق والبحـوث التربوية — مطبعـة وزارة التربية والتعليم — ١٩٦٣ .

١٢٤ — محمد جلال كشك : الغــزو الفكرى — من سلسلة ( مفاهيم اسلامية ) — الطبعة الثانية — الدار القومية ، للطبـاعة والنشر بالقــاهرة — مارس ١٩٦٦ .

١٢٥ — الدكتــور محمد جــواد رضا : العــرب ، والتربية والحضارة ( دراسة فى الفكر التربوى المقــارن ) — الطبعة الأولى — مكتبة المنهل — الكويت — ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م .

١٢٦ — محمد صبيح : المعتدون اليهــود ، من أيام ( موسى ) ، الى أيام ( ديان ) — مطبعة دار العالم العربى — ١٩٦٨ .

١٢٧ — الدكتور محمد عبد الظاهر الطيب : « شبابنا وظاهرة التطرف » — مؤتمر تربيــة الشباب — كليــة التربية جامعة عين شــمس — فى الفترة من ٢٨/٢/ — ٢/٣/١٩٨١ — الاثنين ٢ مارس ١٩٨١ .

١٢٨ — محمــد قاسم ، وحسين حسنى : تاريخ أوربا الحديثة ، من عهد النهضة الأوربية ، الى نهــاية عهد الثورة الفرنسية ونابليون — المطبعة الأميرية ببولاق — القاهرة — ١٩٣٤ .

١٢٩ — محمد مجدى مرجان : الله واحد ، أم ثالوث — دار النهضة العربية ( بدون تاريخ ) .

١٣٠ — الدكتور محمد محمد حسين : حصوننا مهددة من داخلها — الطبعة الرابعة — المكتب الاســلامى ، للطبــاعة والنشر — بيروت — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

١٣١ — دكتــور محمود عبد الرزاق شفشق ، ومنير عطــا الله سليمان : تاريخ التربية ، دراسة تاريخية ثقافية اجتماعية — دار النهضــة العربيــة — ١٩٦٨ .

١٣٢ — دكتور محمود محمد مزروعة : دراسات فى النصرانية ، مع مقدمة فى دراسة الأديان — ١٩٧٩ ( بدون ناشر ) .

١٣٣ — الدكتور مصطفى خالدى ، والدكتــور عمــر فروخ : التبشــير والاستعمار ، فى البلاد العربية ( عرض لجهــود المبشرين ، التى ترمى الى اخضــاع الشرق ، للاستعمار الغربى ) — الطبعــة الخامسة — المطبعة العصرية — بيروت — صيدا — ١٩٧٣ .

١٣٤ — ميرزا محمد حسين : الاســلام وتوازن المجتمع — ترجمــة فتحى عثمان — رقم (٣٥) من ( سلسلة الثقافة الاسلامية ) — دار الثقافة العربية ، للطباعة — ذو العقدة ١٣٨١ هـ — مايو ١٩٦٢ م .

١٣٥ — هـ. ا. ل. فشر : تاريخ أوربا فى العصر الحديث ( ١٧٨٩ — ١٩٥٠ ) — تعريب أحمد نجيب هاشم ، ووديع الضبع — ( جمعية التاريخ الحديث ) — دار المعارف بمصر — ١٩٥٨ .

١٣٦ — و. د. وول : التربية والصحة النفسية — ترجمة الدكتور ابراهيم حافظ — مراجعة الدكتور عبد العزيز القوصى — رقم (٤٧٧) من ( الألف كتاب ) — دار الهلال ( بدون تاريخ ) .

١٣٧ — ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الأول ، من المجلد الثانى ( حياة اليونان ) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمة والنشر—١٩٥٣ .

١٣٨ — ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثانى ، من المجلد الثانى ( حياة اليونان ) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمة والنشر ( بدون تاريخ ) .

١٣٩ — ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث ، من المجلد الثانى ( حياة اليونان ) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية، فى جامعة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٥٤ .

١٤٠ — ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الأول ، من المجلد الثالث (٩) ( قيصر والمسيح ، أو الحضارة الرومانية ) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م .

١٤١ — ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثانى ، من المجلد الثالث (١٠) ( قيصر والمسيح ، أو الحضارة الرومانية ) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمة والنشر ( بدون تاريخ ) .

١٤٢ — ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث ، من المجلد الثالث (١١) ( قيصر والمسيح ، أو الحضارة الرومانية ) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٥٥ .

١٤٣ — ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الأول ، من المجلد الرابع (١٢) ( عصر الايمان ) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمة والنشر ( بدون تاريخ ) .

١٤٤ — ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث ، من المجلد الرابع (١٤) ( عصر الايمان ) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٥٦ .

١٤٥ — ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الخامس ، من المجلد الرابع (١٦) ( عصر الايمان ) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمة والنشر ( بدون تاريخ ) .

١٤٦ — ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء السادس ، من المجلد الرابع (١٧) ( عصر الايمان ) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٥٨ .

١٤٧ — ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الأول ، من المجلد الخامس (١٨) ( النهضة ) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٥٨ .

١٤٨ — ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث ، من المجلد الخامس (٢٠) (النهضة) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٥٩ .

١٤٩ — الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : الثقافة والتربية ، فى العصور القديمة ، دراسة تاريخية مقارنة ( دراسات فى التربية ) — دار المعارف بمصر — ١٩٦١ .

١٥٠ — الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : الثقافة والتربية ، فى العصور الوسطى ، دراسة تاريخية مقارنة ( دراسات فى التربية ) — دار المعارف بمصر — ١٩٦٢ .

١٥١ — الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : دراسات فى التربية المقارنة — الطبعة الأولى — مكتبة الأنجلو المصرية — ١٩٥٨ .

١٥٢ — الدكتور يحيى هاشم حسن فرغل : معالم شخصية المسلم ( التكوين الأساسى ) — المكتبة العصرية — صيدا — بيروت ( بدون تاريخ ) .

**ثانيا : المراجع الاجنبية :**


1 — AFANASYEV, A. : Marxist Philosophy, A Popular Outline ; Third Edition, Progress Publishers, Moscow, 1968.

2 — ALI, ABDULLAH YUSUF : The Holy Qur - an Text, Translation and Commentary, Volume II : Hafner Publishing Company, New-York, U.S.A., 1946.

3 — BENIANS, SYLVIA : From Renaissance to Revolution, A Study of the Influence of Political Development of Europe; Methuen & Co., Ltd., London, 1923.

4 — BUTTS, R. FREEMAN : A Cultural History of Western Education, Its Social and Intellectual Foundations, Second Edition, McGraw-Hill Company, New-York, 1955.

5 — COPELAND, MILES : The Game of Nations, The Amorality of Power Politics ; Sixth Edition, Weidenfeld and Nicolson, London, October 1970.

6 — COUPLAND, R. (Selected by) : The War Speeches of WILLIAM PITT, the Younger ; Third Edition, Oxford, at the Clarendon Press, 1940.

7 — DEWEY, JOHN : Democracy and Education, an Introduction to the Philosophy of Education ; The Macmillan Company, New-York, 1916.

8 — DEWEY,JOHN : Education To-day ; G.P. Putman's Sons, New-York, 1940.

9 — FORSTER, LANCELOT : The New Culture in China, with an Introduction, by : Sir MICHAEL E. SADLER; Goerge Allen & Unwin Ltd., London, 1936.

10 — GOODSELL, WILLYSTINE : A History of the Familly, as a Social and Educational Institution ; The Macmillan Company, New-York, 1923.

11 — GUEST, GOERGE : The March of Civilisation ; G. Bell and Sons, Ltd., 1951.

12 — **HANS, NICHOLAS** : Comparative Education, A Study of Educational Factors and Traditions ; Routledge & Kegan Paul, Limited, London, 1958.

13 — HITLER, ADOLF : My Struggle, Number II ; The Paternester Library, 1937.

14 — HUDSON, WILLIAM HENRY : The Story of the Renaissance ; Goerge G. Harrap & Company Ltd., London, 1928.

15 — LLOYD, CHRISTOPHER : Democracy and Its Rivals, An Introducion to Modern Political Theories ; Longmans, Green and Co., London, 1940.

16 — SARUP, MADAN : Marxism and Education ; Routledge & Kegan Paul, London, 1978.

17 — SMITH, WILLIAM A. : Ancient Education ; Philosophical Library, New-York, 1955.

18 — THE HOLY BIBLE, Containing the Old and New Testaments ; Set Forth in 1611, and Commonly Known as the KING JAMES Version ; American Bible Society, New-York (Without date).

19 — THUT, I.N. : The Story of Education, Philosophical and Historical Foundation ; McGraw-Hill Company, Inc. New-York, 1957.

20 — ULICH, ROBERT : The Education of Nations, A Comparison in Historical Perspective ; Harvard University Press Cambridge, Massachusetts, 1961.

## للمؤلف

**اولا : من كتب التربيـــة :**

١ — **فى التربية المقارنة** — عالم الكتب — ١٩٧٤ ( مع الدكتورة نازلى صالح ) .

٢ — **الأيديولوجيا والتربية ، مدخل لدراسة التربية المقارنة** — دار الفكر العربى — الطبعة الأولى ١٩٧٦ ، والطبعة الثانية ١٩٧٨ ، والطبعة الثالثة ١٩٨٠ .

٣ — **نحو فلسفة عربية للتربيـــة** — دار الفكر العـــربى ( مع الدكتور عبد الغنى النـــورى ) — الطبعـــة الأولى ١٩٧٦ ، والطبعـــة الثانية ١٩٧٩ .

٤ — **فى التربية الاسلامية** — دار الفكر العربى — ١٩٧٧ .

٥ — **فى التربية المعاصرة** — دار الفكر العـــربى — ١٩٧٧ ( مع الدكتور ابراهيم عصمت مطاوع ) .

٦ — **دراسة مقارنة لتاريخ التربية** — دار الفكر العربى — ١٩٧٨ .

٧ — **ادارة التربية وتطبيقاتها المعاصرة** — دار الفكر العربى — ١٩٧٨ .

٨ — **البحث فى التربية** — دار الفكر العربى — ١٩٧٩ .

٩ — **التربية ومشكلات المجتمع** — دار الفكر العربى — ١٩٨٠ .

١٠ — **فلسفة التعليم الابتدائى وتطبيقاته** ( مع الدكاترة حسن عبد العال ، وعلى خليل ، وشوقى ضيف ) — دار الفكر العربى — ١٩٨٢ .

١١ — **الفكر التربوى عند الامام الغزالى ، كما يبدو من رسالته ( ايهـــا الولد )** — دار الفكر العربى — ١٩٨٢ .

١٢ — **التربية الاسلامية ، والقرن الخامس عشر الهجرى** — دار الفكر العربى — ١٩٨٢ .

**ثانيا : من كتب سلسلة ( الاسلام وتحديات العصر )**
**( وتصدرها كلهــا : دار الفكر العربى )**

١ ـ **العقيدة الاســلامية ، والأيديولوجيات المعــاصرة** ـ الطبعة الأولى ١٩٧٦ ، والطبعة الثانية ١٩٨٠ .

٢ ـ **الله والانسان المعاصر** ـ الطبعــة الأولى ١٩٧٧ ، والطبعة الثانية ١٩٨١ .

٣ ـ **الاسلام والكون** ـ الطبعة الأولى ١٩٧٧ ، والطبعة الثانية ١٩٨١ .

٤ ـ **الانسان فى الاسلام ، والانسان المعاصر** ـ يناير ١٩٧٨ .

٥ ـ **اليوم الآخر ، والحياة المعاصرة** ـ يونية ١٩٧٨ .

٦ ـ **انبيــاء الله ، والحياة المعاصرة** ـ سبتمبر ١٩٧٨ .

٧ ـ **قضية الحرية ، وقضايا اخرى** ـ يناير ١٩٧٩ .

٨ ـ **الأسرة المسلمة ، والأسرة المعاصرة** ـ يونية ١٩٧٩ .

٩ ـ **الملامح العامة ، للمجتمع الإسلامى** ـ نبراير ١٩٧٩ .

١٠ ـ **ديناميات المجتمع الاسلامى** ـ يونية ١٩٨٠ .

١١ ـ **الحضارة الاسلامية ، والحضارة المعاصرة** ـ نبراير ١٩٨١ .

١٢ ـ **الدولة الاسلامية ، والدولة المعــاصرة** ـ يونية ١٩٨١ .

١٣ ـ **اليهود ، واليهودية ، والاسلام** ـ اكتوبر ١٩٨٢ .

١٤ ـ **المسيح ، والمسيحية ، والاسلام** ـ نوفمبر ١٩٨٣ .

**الكتاب التالى من كتب السلسلة :**

**المسلمون وتحــديات العصر**

**يصــدر فى مطلع عام ١٩٨٤ ان شاء الله**